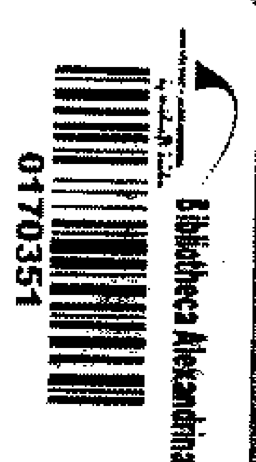
السِّيَاسَةُ المالِيَّة



السياسة المالية لأبي بكر الصديق

تأليف

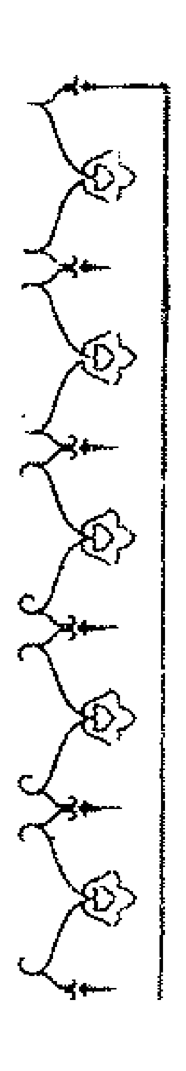
قطب ابراهيم محمد



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٠

الاخراج الفني ماجده البنا

تصميم الغلاف درية محمد علي



بسـم الله الرحمن الرحيم

« الا تنصروه فقد نصـــره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصـــاحبه لا تحزن ان الله معنـا فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها وجعـــل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم »

(التوبة / ٤٠)

صدق الله العظيم

مقدمة

توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن بلغ الرسالة وأدى الأمانة وأسس دولة اسلامية دستورها القرآن ومنهجها السنة ، وأدار تلك الدولة بسياسات عامة منها السياسة المالية التى استمدت بعض عناصرها من آيات من القرآن المجيد والبعض الآخر مما سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم قولا أو عملا ·· وقد أحاط عليه الصلاة والسلام تنفيذ السياسة المالية للدولة الاسلامية باطار من المبادىء واخلاقيات تبغى كفاءة أداء مواطنى الدولة الاسلامية للفرائض المالية وترشيد الانفاق العام ليؤدى دوره فى خدمة الدين وتمويل الخدمات العامة التى تحقق رعاية الأمة ، كما أكد على العدالة المالية وتعفف الحكام وأمانة الجباة ورشد الادارة المالية ·

صاحب أبو بكر الصديق رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ورافقه ، وصدق دعوته ومولها بأمواله ودافع عنها بجهاده ، كما عاصر مراحل تأسيس الدولة الاسلامية الأولى ووعى السياسات العامة التى أدار بها رسول الله تلك الدولة ومنها سياسة المال العام ، فعرف أن الايرادات العامة لتلك الدولة كانت أيام الرسول عليه الصلاة والسلام من حصيلة الزكاة المفروضة بالقرآن وخمس الغنائم طبقاً لآية الخمس وجزية يؤديها أهل الكتاب اذا لم يستجيبوا لدعوة الاسلام وخراج أراض آلت للدولة الاسلامية بعد جهاد المجاهدين وتحقيق نصر الله ··

كما علم الصديق أيضا أن من الانفاق العام انفاق من الزكاة مخصص لوجوه معينة حددها القرآن وأن الانفاق منخمس الغنائم يوجه للفئات المبينة بآية الخمس وأن الانفاق العام من باقي الموارد العامة يوجه للأنشطة العامة للدولة ولمساندة الدين ولتحقيق رعاية الأمة ..

ووعى الصديق رضى الله عنه أيضا مبادىء ادارة رسول الله صلى الله عليه وسلم للأموال العامة وأحاديثه عنها كوجوب أداء الزكاة وشجبه غلول الغنائم وتأثيمه قبول عمال الصدقات الهدايا ونصيحه المؤتمنين منهم بأداء ما اؤتمنوا عليه ، وعدم ظلم أهل الكتاب ، وعدم تعذيبهم عند استئداء الجزية ، وغير ذلك من المبادىء العامة التى تنضبط معها حركة الأموال العامة وتترشد .

فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خلفه صاحبه أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، وأدار الدولة بسياسات عامة ومنها السياسة المالية ..

هذا الكتاب يتناول تلك السياسة فى عهد الصديق ، فيوضح الأوضاع العامة للسياسة المالية للدولة كما تركها رسول الله صلى الله عليه وسلم والعقبات التى صادفتها غداة موته وظروف خلافة أبى بكر وشكل حكومته وسمات سياسته المالية للدولة استنتاجا من خطابه الأول للأمة بعد مبايعته ..

ويوضح الكتاب كيف أزال الصديق العقبات التى اعترضت السياسة المالية فحارب الممتنعين عن اداء الزكاة والمرتدين عن الاسلام وقاتلهم وانتصر عليهم ففاءوا لدين الله وأدوا الزكاة للدولة الاسلامية ، فأدار الصديق أموالها طبقا لكتاب الله وسنة رسوله .

كما يبين الكتاب كيف أحيا الصديق فريضة الجهاد فى سبيل الله وأداره ادارة حازمة مخلصة ، وانضمام صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم لجيوش المجاهدين ، حتى تحقق نصر الله ، وغنم المسلمون مغانم كثيرة آل خمسها للدولة الاسلامية استنادا لآية الخمس .. كما أن الجهاد أفاض الجزية للموارد العامة للدولة ، فدفعها أهل الكتاب طبقا لشروط الصلح التى عقدها معهم قواد

جيوش الاسلام ، ومهد الجهاد كذلك لأيلولة أراضي الغنائم فيما بعد للدولة الاسلامية وتدفق خراجها على بيت مال المسلمين ..

شمل الكتاب أيضا تحليلا للنفقات العامة في عهد الصديق رضي الله عنه سواء كانت نفقات عامة مخصصة لوجوه انفاق محددة بالقرآن أوكانت نفقات عامة غير مخصصة مولتها الموارد العامة للجزية والخراج ..

تناول الكتاب كذلك ادارة الصديق للمال العام بالايضاح والتحليل وأظهر كيف حققت تلك الادارة فائضا ماليا قام الصديق بتوزيعه على المسلمين في شكل عطاء متساو لهم خلال مدة خلافته القصيرة التي بلغت سنتين وثلاثة اشهر كما ابرز الكتاب مسايا الصديق المالية في مرض موته وضربه المثل في التعفف عن المال العام ورده كل ما آل اليه من أموال المسلمين وترشيحه عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي فاضت الأموال العامة في عهده ..

هذا وقد روعي في اعداد الكتاب تحديث تراث السياسة المالية في عهد الصديق رضي الله عنه لتواكب الأوضاع الفنية الحديثة للمالية العامة ليسهل على القراء متابعتها فتم مقارنة الايرادات العامة في عهد الخليفة الأول بأنواع الايرادات العامة الحديثة كما قيست النفقات العامة في عهده بمقياس التعريف الحديث للنفقة العامة وتم كذلك تصوير موازنة عامة للدولة الاسلامية في عصر الصديق على نفس النمط والشكل الذي تعد به الدول حديثا موازناتها العامة فأثبت ذلك أن المالية العامة الاسلامية كما وضعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما طبقها خليفته من بعده ، مالية عامة كاملة الأركان ، قابلة للتطوير والتحديث والتطبيق في جميع العصور .

ولما كانت لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في عهد الصديق مساهمات في نماء المالية العامة للدولة وذلك بمعاونتهم الخليفة الأول في ادارة الدولة وتطوعهم للجهاد في سبيل الله تثبيتا للزكاة وتحقيقا النصر وحصولهم على الغنائم التي آل خمسها للدولة وعقدهم الصلح مع أهل الكتاب لاداء الجزية ، ولما كانوا في عهد

الصديق يمثلون السلطة التشريعية التى تقدم المشورة وتزاول الرقابة العامة ومنها الرقابة على أمور المال العام ، فقد تم تضمين الكتاب تحليلا لشخصيات منهم ممن كانوا حول الصديق ·

وقد استلزم انجاز موضوع الكتاب جهدا مكثفا بسبب قصر عهد الخليفة الأول وعدم وجود مراجع متخصصة للمالية العامة عن عهده ، وتداخل الوقائع المالية تداخلا متواريا مع وقائع الحروب بغير تركيز من المؤرخين على الوقائع المالية ، وغياب الصورة الرقمية لعمليات المالية العامة فى عهد الصديق وهى فى الماليات العامة الحديثة تساعد على التحليل المالى ··

وبهذا الكتاب يكون بعون من الله قد صدرت لى المؤلفات التالية عن المال فى الاسلام :

- النظم المالية فى الاسلام ··
- الاطار الأخلاقى لمالية المسلم ··
- المالية العامة فى الاسلام ··
- السياسة المالية للرسول ··
- السياسة المالية لأبى بكر الصديق ··
- السياسة المالية لعمر بن الخطاب ··
- السياسة المالية لعثمان بن عفان ··
- السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز ··

فاذا كنت بهذا قد قدمت علما نافعا للناس

فانما ذلك كان بتوفيق من الله جل وعلا

انه نعم المولى ونعم النصير ؟

المؤلف

قطب ابراهيم محمد

الباب الأول

تولى الصديق دولة ناشئة
ومالية عامة مهتزة

الفصل الاول

تولى الصديق أمور مالية عامة مهتزة ودولة اسلامية ناشئة

هيكل المالية العامة الاسلامية كما تركه رسول الله :

لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك عناصر هيكل المالية العامة للدولة الاسلامية على النحو التالى :

ايرادات عامة :

وتتكون من :

ـ زكاة مفروضة بالقرآن ومفصلة بسنن رسول الله القولية والفعلية ..

ـ خمس الغنائم مفروضة بالقرآن ومفصلة بسنن رسول الله القولية والعملية ..

ـ جزية مفروضة بالقرآن على أهل الكتاب الذين آثروا الاحتفاظ بدينهم ومفصلة بسنة رسول الله القولية والفعلية ..

- خراج يستأدى من الأرض العامة التي يزرعها أهلها وآلت للدولة كبعض أرض الغنائم .

نفقـات عـامة :

وكانت على النحو التالي :

- انفاق عام من الزكاة على وجوهها الموضحة بالقرآن .
- انفاق عام من خمس الغنائم على وجوهها الموضحة بالقرآن
- انفاق عام من باقي أنواع الايرادات العامة وهي الجزية والخراج على سائر الأنشطة العامة للدولة ..

ادارة الايرادات العامة والنفقات العامة :

ادار رسول الله صلى الله عليه وسلم الايرادات العامة والنفقات العامة للدولة الاسلامية الأولى ..

بالقرآن

وبمبادىء خلقه العظيم(١)

اهتزاز هيكل المالية العامة للدولة الاسلامية بسبب وفاة الرسول :

تعرض هيكل المالية العامة للدولة الاسلامية للاهتزاز بسبب موت رسول الله صلى الله عليه وسلم نتيجة لاهتزاز الدولة الاسلامية واهتزاز بعض القبائل المسلمة كما يتضح مما يلي :

- ادعت بعض القبائل المسلمة أن الزكاة كانت تؤدى لشخص رسول الله صلى الله عليه وسلم وبوفاته لا تؤدى لغيره وامتنع أفراد هذه القبائل عن أدائها ..

---

(١) للتفاصيل يرجع لكتابنا السياسة المالية للرسول - الهيئة المصرية العامة للكتاب - طبعة ١٩٨٨ .

ـ ادعت بعض القبائل المسلمة أن الزكاة اتاوة أو جزية كانوا يؤدونها لمن بالمدينة ولاحق لأهل المدينة فى ذلك ·

ـ ظنت بعض القبائل المسلمة التى دخلت الاسلام فى أواخر عهد الرسول أن بلادها مستقلة عن الدولة الاسلامية ولا ترتبط بعاصمة الدولة الاسلامية وهى المدينة وقتئذ الا برباط الدين الاسلامى دون سائر الروابط السياسية والمالية ، فلا يحق على أفراد هذه القبائل للدولة زكاة ··

ـ تابعت بعض قبائل العرب من ادعوا النبوة ،فكان ولاؤهم للمدعين الكاذبين ، وأسقطت هذه القبائل الولاية العامة للدولة الاسلامية وأسقطوا بالتبعية الزكاة المفروضة بعد أن ارتدوا ·

ـ بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وظهور اتجاهات الامتناع عن أداء الزكاة وادعاءات النبوة ووقوع الردة ، اشرأبت أعناق أهل الكتاب من اليهود والنصارى ليروا أى مصير ينتهى اليه الدين الاسلامى والدعوة الاسلامية ، آملين أن تتفسخ دولة الاسلام . فلا يؤدون ما التزموا به من جزية أو خراج فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ··

ـ أدرك الفرس والروم أن الدولة الاسلامية قوة يزداد نموها ، وأن ذلك مما يهدد سلطانهم ، فانتهزوا وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لاضعاف هذه القوة بالدعاية السياسية بين قبائل العرب المسمعة للاستقلال الذاتى وبالدعاية الدينية للمسيحية تارة ولليهودية تارة ثانية وللوثنية العربية تارة ثالثة خصوصا بين شمال شبه الجزيرة المتصل بالشام وجنوب شبه الجزيرة المتصل بالفرس والقريب من الحبشة ··

ـ أثرت العوامل السابقة تأثيرا نفسيا على بعض قيادات الدولة الاسلامية وقتئذ فجعلتهم غير متحمسين لأى اجراء حربى من الدولة الاسلامية لرأب ما اصابها من تصدع الأمر الذى لو أخذ

برأيهم وقتئذ لانفتحت ثغرة واسعة فى هيكل المالية العامة قد لايمكن سدها اطلاقا أو قد يتعذر سدها الا بعد وقت طويل وجهد جهيد ..

ــ تنافس الأنصار والمهاجرون على الخلافة فور موت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد كل منهم أن يكون الخليفة من بينهم ، وقد أحدث ذلك فى بادىء الأمر خــــلافا فى الرأى وتحمس كل من الأنصار والمهاجرين لرأيهم ،وكاد ينقلب الخلاف الى فتنة حال دون وقوعها قوة ايمان الفريقين وحكمة الصحابة واســــراعهم فى انهاء الخلاف . وعوامل أخرى سنوضحها فيما بعد .

ولو وقعت الفتنة لزلزلت الدولة الاســـــــلامية الوليدة زلزالا شديدا ، ولكان من بين نتائج تلك الفتنة أن تشح الايرادات العامة للدولة وأن تعجز عن تمويل نفقاتها العامة ، وأن ينوء كاهل الدولة الناشئة بعجز مالى كبير له آثاره الاقتصادية والاجتماعية المدمرة .

أيلولة أمور الدولة الناشئة وماليتها العامة المهتزة للصديق :

آل أمر الدولة الاسلامية الوليدة وماليتها العامة المهتزة لأبى بكر الصديق رضى الله عنه ، فقد بويع بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليكون خليفته ، وتمت البيعة كما يلى :

مبايعة ابى بكر الصديق بالخلافة :

توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول(٢) فزلزل الناس زلزالا شديدا وبكوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وود بعضهم لو ماتوا قبله فقد

---

(٢) تاريخ الطبرى لأبى جعفر بن جرير الطبرى ــ الطبعة الثانية لدار المعارف بمصر ــ الجزء الثالث ص ٢٠٠

كانوا يخشون أن يفتتنوا بعده(٣) ، وقام عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقال :

« ان رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله توفى ، وأن رسول الله ما مات ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمران ، فغاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجـــع بعد أن قيل قد مات ، والله ليرجعن رسول الله فليقطعن أيدى رجال وأرجلهم يزعمون أن رسول الله مات » ..

وأقبل أبو بكر الصديق حين بلغه الخبر ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت عائشة أم المؤمنين ورسول الله مسجى فى ناحية البيت عليه برد حبره فكشف عن وجهه وقبله ثم قال :

« بأبى أنت وأمى ! طبت حيا وطبت ميتا أما الموتة التى كتب الله عليك فقد ذقتها ثم لن يصيبك بعدها موتة أبدا » ..

ثم رد الثوب على وجهه وخرج للناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« من كان يعبد الله فان الله حى لا يموت ومن كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات » ..

ثم قرأ : « انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون » (الزمر / ٣٠ ، ٣١) ..

« وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضـــر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين » (آل عمران / ١٤٤) .

وكان الناس لم يعلموا أن هذه الآيات نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تلاها أبو بكر وأخذها الناس عنه ..

وفى ذلك يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

---

(٣) المرجع السابق ص ٢٧ وكان معنى بن عدى يقول « والله ما أحب ان مت قبله حتى اصدقه ميتا كما صدقته حيا » .

« والله ماهو الا أن سمعت أبابكر يتلوها فعقرت حتى وقعت الى الأرض ما تحملنى رجلاى وعرفت أن رسول الله قد مات » ..

وفى ذلك اليوم والرسول لم يدفن بعد ، اجتمع الانصار فى سقيفة بنى ساعدة ليبايعوا سعد بن عبادة ، فبلغ ذلك أبا بكر فأتاهم ومعه عمر وأبو عبيدة بن الجراح ..

فأراد عمر أن يتكلم فنهاه أبو بكر ..

وتكلم أبو بكر وقال للأنصار : ما هذا ؟

فقالوا : منا أمير ومنكم أمير ..

فقال أبو بكر : منا الأمراء ومنكم الوزراء

ولم يترك شيئا نزل فى الانصار ولا ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شأنهم الا وذكره ..

وقال : لقد علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« لو سلك الناس واديا وسلكت الانصار واديا سلكت وادى الأنصار » ..

ولقد علمت ياسعد أن رسول الله قال وأنت قاعد :

« قريش ولاة هذا الامر فبر الناس تبع لبرهم وفاجرهم تبع لفاجرهم » ..

فقال سعد : صدقت فنحن الوزراء وأنتم الأمراء ..

ثم قال أبو بكر : انى قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين : عمر او أبا عبيدة ..

ان النبى صلى الله عليه وسلم جاءه قوم

فقالوا : ابعث معنا أمينا

فقال : لأبعثن أمينا حق أمين

فبعث معهم أبا عبيدة بن الجراح وأنا أرضى لكم أبا عبيدة .

فقام عمر فقال : أيكم تطيب نفســـه أن يخلف قدمين قدمهما النبي صلى الله عليه وسلم ·

وقال لأبى بكر : ابسط يدك يا أبابكر فلأبايعك

فقال أبو بكر : بل أنت ياعمر فأنت أقوى لها منى

وفتح عمر يد أبي بكر وبايعه وقال : ان لك قوتى مع قوتك

فبايع الناس ··

وفي اليوم التالي لبيعة أبى بكر في السقيفة جلس أبو بكر على المنبر وقام عمر وتكلم قبل أبى بكر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ··

ثم قال : « ايها الناس ، انى قد قلت لكم بالأمس مقالة ماكانت الا عن رأيى وما وجدتها في كتاب الله ، ولا كانت عهدا عهده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنى قد كنت ارى أن رسول الله سيدبر أمرنا ، حتى يكون آخرنا ، وأن الله قد أبقى فيكم كتابه الذى هدى به رسول الله ، فان اعتصمتم به هداكم الله لماكان هداه له ، وان الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله وثانى اثنين اذ هما في الغار فقوموا فبايعوا » ··

فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة بعد بيعة السقيفة ·

وكان على ابن أبى طالب فى بيته وعلم بجلوس أبى بكر للبيعة، فخرج فى قميص ماعليه ازار ولا رداء كراهية أن يبطيء عن البيعة وبايع أبا بكر ·

هذه احدى الروايات التي وردت في بيعة على بن أبى طالب لأبى بكر من روايات أخرى كثيرة وردت عن هذه البيعة آثرناها لأنها أكثر الروايات ملاءمة مع موقف على من الاسلام ومؤازرته له وحسن بلائه فيه ··

فمن الروايات الأخرى أن طائفة من المهاجرين تخلفوا عن بيعة أبى بكر ومالوا مع على بن أبى طالب منهم العباس بن عبدالمطلب وأنهم اجتمعوا مع على بن أبى طالب في دار فاطمة بنت الرسول

يدعون الى مبايعته . فبلغ أبو بكر وعمر اجتماعهم بدار فاطمة فذهبا اليه ودار نقاش ..

فقال عمر : انك لست متروكا حتى تبايع ..

فأجاب علي : نحن أحق بهذا الأمر منكم ما كان فينا القارىء لكتاب الله الفقيه فى دين الله العالم بسنن الله ، المضطلع بأمر الرعية الدافع عنهم الأمور السيئة ، القاسم بينهم بالسوية ، والله انه لفينا ، فلا تتبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل الله فتزدادوا من الحق بعداً) .

ومن الروايات أن عليا خرج من الدار ليلا ومعه فاطمة زوجته فحملها على دابة وأخذ يطوف بها مجالس الأنصار تسألهم النصرة .

فكانوا يقولون : « يابنت رسول الله ، قد مضت بيعتنا لهذا الرجل ، ولو أن زوجك وابن عمك سبق الينا قبل ابى بكر ماعدلنا به » ..

فيجيبهم علي : « أفكنت أدع رسول الله فى بيته لم أدفنه وأخرج أنازع الناس سلطانه » .

وتجيب فاطمة : « ماصنع أبو الحسن الا ماكان ينبغى له ، ولقد صنعوا بالله حسيبهم عليه وطالبهم » ..

ومن الروايات ما تقف فى أمر علي وبيعته موقفا وسـطا ، فيقولون ان أبا بكر صعد المنبر عقب البيعة ، فنظر فى وجوه القوم فلم ير عليا فدعا به فجاءه ..

فقال أبو بكر له : ابن عم رسول الله وختنه على ابنته أردت أن تشق عصا المسلمين ؟

فقال علي : لا تثريب يا خليفة رسول الله

فقام فبايعه ..

وقيل ان بنى أمية أرادوا أن يثيروا الشغب بين بنى هاشم وأبى بكر ، فأخذ أبو سفيان بن حرب رأس بنى أمية ..

يقول : والله انى لأرى عجاجة لا يطفئها الا دم . يا آل عبد مناف فيم أبو بكر من أموركم ؟ أين المســــتضعفان ؟ أين الأذلان على والعباس ثم أتى على ..

وقال : أبا حسن ، ابسط يدك حتى أبايعك ، فوالله لأملأنها على أبى فصيل (يعنى أبى بكر) خيلا ورجلا ..

فأبى على وزجره وقال : انك والله ما أردت بهذا الا الفتنة ، وانك والله طالما بغيت الاسلام شرا ! لا حاجة لنا فى نصيحتك(٤) .

رواية لأم المؤمنين عائشة عن بيعة أبى بكر(٥) :

قالت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها :

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات وأبو بكر بالســـنح (يعنى بالعالية)

فقام عمر يقول : والله مامات رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال عمر : والله ما كان يقع فى نفسى الا ذاك وليبعثنه الله فليقطعن أيدى رجال وأرجلهم ..

فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله

فقال : بأبى أنت وأمى ! طبت حيا وميتا والذى نفسى بيده لا يذيقك الله الموتتين أبدا(٦)

ثم خرج فقال : أيها الحالف على رسلك

---

(٤) الوقائع الخاصــة بيوم السقيفة ومبايعة الصــديق مقتبســة من عدة مراجع منها المرجع السابق ص ٢٠٣ حتى ص ٢١١ .

(٥) حديث أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ورد فى صحيح البخـارى ــ الجزء الســادس ــ الصفحات ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ طبعة المجلس الأعلى للشـــئون الاســلامية .

(٦) يعنى انه لن يبعثه فى الدنيا كما قال عمر ثم يموت موتة أخرى .

فلما تكلم أبو بكر جلس عمر ، فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه

وقال : ألا من كان يعبد محمدا صلى الله عليه وسلم فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت ..

وقال : « انك ميت وانهم ميتون » (الزمر / ٣٠)

وقال : « ومامحمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل أنقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين » (آل عمران / ١٤٤) .

فنشج الناس يبكون ..

واجتمعت الأنصار الى سعد بن عبادة فى سقيفة(٧) بنى ساعده

فقالوا(٨) : منا أمير ومنكم أمير

فذهب اليهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح ، فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر ..

وكان عمر يقول : والله ما أردت بذلك الا أنى قد هيأت كلاما قد أعجبنى خشينا أن لا يبلغه أبو بكر ، ثم تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس ..

فقال فى كلامه : نحن الأمراء وأنتم الوزراء ..

فقال حباب بن المنذر(٩) : لا والله لا نفعل ، منا أمير ومنكم أمير ..

فقال أبو بكر : لا ولكنا الأمراء ، وأنتم الوزراء ، هم (أى قريش) أوسط العرب دارا وأعربهم أحسابا ، فبايعوا عمر أو أبا عبيدة ..

---

(٧) موضع مسقوف يجتمع اليه الأنصار .

(٨) أى قال الأنصار للمهاجرين .

(٩) من الأنصار .

فقال عمر : بل نبايعك انت فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس ..

فقال قائل : قتلتم سعد بن عبادة ..

فقال عمر : قتله الله

بيعة الصديق كانت فلتة موفقة(١٠) :

فى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يحج بالناس فبلغه أن أحد الناس قال : « لوقد مات أمير المؤمنين لبايعت فلانا والله ما كانت بيعة أبى بكر الا فلته فتمت »

فغضب عمر ونوى أن يقوم فى الناس ليحذرهم من الناس الذين ينشرون مثل هذه الاراجيف ثم رأى التمهل حتى يقدم المدينة دار الهجرة والسنة وفيها أصحاب رسول الله من المهاجرين والانصار فيكون لمقالته أثرها ..

فلما قدم المدينة جلس على المنبر وكان يوم جمعة ، فلما جلس عمر على المنبر آذن المؤذنون ، فلما قضى المؤذن اذانه قام عمر فحمد الله وأثنى عليه وقال :

« أما بعد فانى أريد أن أقول مقالة قد قدر أن أقولها ، من وعاها وعقلها وحفظها ، فليحدث بها حيث تنتهى به راحلته ، ومن لم يعها فانى لا أحل لأحد أن يكذب على :

ان الله عز وجل بعث محمدا بالحق وأنزل عليه الكتاب ، وكان فيما أنزل عليه آية الرجم ، فرجم رسول الله ورجمنا بعده ، وانى قد خشيت أن يطول بالناس زمان ..

---

(١٠) حديث عمر ورد فى الطبرى ــ مرجع سابق ــ جزء ٣ ص ٢٠٣ حتى ٢٠٣ .

فيقول قائل : والله ما نجد الرجم فى كتاب الله

فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله ..

وقد كنا نقول : لا ترغبوا عن ابائكم فانه كفر بكم أن ترغبوا عن ابائكم ..

ثم انه بلغنى أن قائلا منكم يقول : لو قد مات أمير المؤمنين بايعت فلانا ، فلا يغرن امرأ أن يقول : ان بيعة أبى بكر كانت فلتة .

فقد كانت كذلك ، غير أن الله وقى شرها ، وليس منكم من تقطع اليه الأعناق مثل أبى بكر وانه كان من خيرنا ، حين توفى الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن عليا والزبير ومن معهما تخلفوا عنا فى بيت فاطمة وتخلفت عنا الأنصار بأسرها ، واجتمع المهاجرون الى أبى بكر ..

فقلت لأبى بكر ! انطلق بنا الى اخواننا هؤلاء من الأنصار .

فانطلقنا نؤمهم ، فلقينا رجلان صالحان(١١) قد شهدا بدرا .

فقالا : أين تريدون يامعشر المهاجرين ؟

فقلنا : نريد اخواننا هؤلاء من الأنصار ..

قالا : فارجعوا فاقضوا أمركم بينكم ..

فقلنا : « والله لنأتينهم »

فأتيناهم وهم مجتمعون فى سقيفة بنى ساعدة واذا بين أظهرهم رجل مزمل(١٢) .

---

(١١) الرجلان هما عديم بن ساعدة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه من الشار اليهم فى آية « فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين » (سورة التوبة/١٠٨) والثانى معن بن عدى قال بعد موت الرسول وحين تمنى الناس موتهم قبله خشية الفتنة قال انه ما أحب ان كان مات قبله حتى يصدقه حيا وميتا ، وقتل شهيدا يوم اليمامة فى خلافة أبى بكر يوم مسيلمة الكذاب ــ انظر الطبرى جزء ٣ ــ مرجع سابق ص ٢٠٦ ــ ٢٠٧ .

(١٢) مزمل أى ملتف فى كساء أو فى غيره .

قلت : « من هذا ؟ »

قالوا : « سعد بن عبادة »

فقلت : « ما شأنه » ؟

قالوا : وجيع

فقام رجل منهم فحمد الله

وقال : أما بعد فنحن الأنصار وكتيبة الاسلام وأنتم يامعشر قريش رهط نبينا وقد دفت الينا من قومكم دافة »(١٣) .

فلما رأيتهم يريدون أن يختزلونا من أصلنا ويغصبونا الأمر ، وقد كنت زودت(١٤) في نفسي مقالة أقدمها بين يدى أبى بكر ، وقد كنت أدارى منه بعض الحد(١٥) وكان هو أوقر مني وأحلم فلما أردت أن أتكلم ..

قال : « على رسلك »

فكرهت أن أعصيه ، فقام فحمد الله وأثنى عليه فما ترك شيئا كنت زودت في نفسي أن أتكلم به لو تكلمت ، الا وقد جاء به أو بأحسن منه ..

وقال (أبو بكر) : « أما بعد يامعشر الأنصار ، فانكم لا تذكرون منكم فضلا الا وأنتم له أهل ، وان العرب لا تعرف هذا الأمر الا لهذا الحي من قريش ، وهم أوسط العرب دارا ونسبا(١٦) ، ولكن قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين ، فبايعوا أيهما شئتم » .

---

(١٣) الدافة : القوم يسيرون جماعة سيرا ليس بالشديد .

(١٤) زودت مقاله : هيأتها واعددتها .

(١٥) الحد : اى الحدة .

(١٦) أوسط العرب واشرفهم دارا : اى بلدا يريد مكة .

فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح

وانى (أى عمر) والله ما كرهت من كلامه شيئا غير هذه الكلمة ، أن كنت لأقدم فتضرب عنقي فيما لا يقربني الى اثم أحب الى من أن أؤمر على قوم فيهم أبو بكر ..

فلما قضى أبو بكر كلامه ، قام منهم رجل

فقال : « أنا جذيلها(١٧) المحكك وعذيقها(١٨) المرجب ، منا أمير ومنكم أمير يامعشر قريش » .

فارتفعت الأصوات وكثر اللغط(١٩) . فلما أشفقت الاختلاف .

قلت لأبي بكر : أبسط يدك أبايعك .

فبسط يده وبايعه المهاجرون وبايعه الأنصار .

ثم نزونا(٢٠) على سعد حتى قال قائلهم : « قتلتم سعد بن عبادة » ..

فقلت : « قتل الله سعدا »

وانا والله ما وجدنا أمرا هو أقوى من مبايعة أبي بكر ، خشينا ان فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يحدثوا بعدنا بيعة ، فاما أن نتابعهم على مالا نرضى أو نخالفهم فيكون فسادا .

---

(١٧) الجذيل : تصغير جذل وهو عود يكون في وسط مبرك الابل تحتك به وتستريح اليه ، فيضرب به المثل في الرجل يشتفى برأيه .

(١٨) العذيق : تصغير عذق وهو النخلة نفسها . والمرجب : الذى يبنى الى جانبه دعامة ترفده لكثرة حمله ولعزه على اهله ، فضرب به المثل في الرجل الشريف الذى يعظمه قومه .

(١٩) اللغط : اختلاط الأصوات .

(٢٠) نزونا على سعد : وثبنا عليه ووطئناه .

الصديق أحق الناس بخلافة الرسول :

والواقع أن أبا بكر الصديق كان أحق الناس بخلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم ·

ــ ولو كان الرسول قد كتب لكتب الخلافة من بعده لأبى بكر ولكنه لم يكتب فقد ثبت أنه لما اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه في مرض الموت ·

قال : ائتونى أكتب كتابا لا تضلوا بعدى أبدا ··

فتنازعوا ــ ولا ينبغى عند نبى أن يتنازع ــ

فقالوا : ماشأنه أهجر(٢١) ! استفهموه

فذهبوا يعيدون عليه

فقال : دعونى فما أنا فيه خير ما تدعونى اليه(٢٢) ·

ــ جرى الحديث التالى بين عباس بن عبد المطلب وعلى بن أبى طالب في الأيام الأخيرة من مرض موت الرسول صلى الله عليه وسلم ··

قال العباس : انى أرى رسول الله سيتوفى ق وجعه هذا ، وانى لأعرف وجوه بنى عبد المطلب عند الموت ، فاذهب الى رسول الله فسله فيمن يكون هذا الأمر ؟ فان كان فينا علمنا ذلك ، وان كان فى غيرنا أمر به فأوصى بنا ··

قال على · والله لئن سألناها رسول الله فمنعناها (أى الخلافة) لا يعطيناها الناس أبدا ، والله لا أسألها رسول الله أبدا ·

ولو كان على بن أبى طالب رضى الله عنه يعتقد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيأمر بأن تكون الخلافة فى آل محمد لتقدم وسأل النبى صلى الله عليه وسلم ·

---

(٢١) اهجر : اى اختلف كلامه بسبب المرض ·

(٢٢) الطبرى ــ جزء ٢ ــ ص ١٩٣ مرجع سابق ·

ــ ثبت أنه فى مرض موت الرسول صلى الله عليه وسلم خرج الى المسجد عاصبا رأسه حتى جلس على المنبر ، ثم كان أول ماتكلم به أن صلى على أصحاب أحد واستغفر لهم وأكثر الصلاة عليهم ٠

ثم قال : ان عبدا من عباد الله خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله ففهمها أبو بكر وعلم أن نفسه يريد ، فبكى ٠٠

وقال : بل نفديك بأنفسنا وأبنائنا ٠

فقال : على رسـلك يا أبا بكر ، أنظروا هذه الشـوارع اللافظة(٢٣) فى المسجد ، فسدوها الا باب أبى بكر ،فانى لا أعلم أحدا كان أفضل عندى فى الصحبة يدا منه(٢٤) ٠

فاستثناء باب أبى بكر رضى الله عنه يفصح عن مكانته لدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

ــ توضح أم المؤمنين عائشة أمر رسول الله لما اشتد مرضه بأن يصلى أبو بكر بالناس فقالت : لما استعز برسول الله صلى الله عليه وسلم قال مروا أبابكر فليصل بالناس ٠٠

قلت : يا نبى الله ان أبا بكر رجل رقيق ، ضعيف الصوت كثير البكاء اذا قرأ القرآن ٠

قال : مروه فليصل بالناس ٠

(قالت) : فوالله ما أقول ذلك الا أنى كنت أحب أن يصرف ذلك عن أبى بكر وعرفت أن الناس لا يحبون رجلا قام مقامه أبدا ، وأن الناس سيتشاءمون فى كل حدث كان ، فكنت أحب أن يصرف ذلك عن أبى بكر ٠٠

---

(٢٣) اللافظة فى المسجد : النافذة اليه ٠

(٢٤) الطبرى ــ جزء ٣ ــ ص ١٩١ مرجع سابق ٠

وكان أبو بكر غائبا . فقال أحد المسلمين وهو عبد الله بن زمعة ابن الأسود بن المطلب بن أسد : قم ياعمر فصل بالناس ..

فقام فلما كبر سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته وكان عمر رجلا مجهرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأين أبو بكر ؟ يأبى الله ذلك والمسلمون ، يأبى الله ذلك والمسلمون .

فبعث الى أبى بكر ، فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصـــلاة فصلى بالناس ..

قال عبد الله بن زمعة : قال لى عمر « ويحك ماذا صنعت بى يابن زمعة ، والله ماظننت حين أمرتنى الا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك بذلك ولولا ذلك ما صليت بالناس ..

قال عبد الله بن زمعة : قلت والله ما أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، ولكن حين لم أر أبا بكر رأيتك أحق من حضر بالصلاة بالناس(٢٥) .

فالرسول أناب عنه أبا بكر فى الصلاة ، والصلاة عماد الدين والانابة فى عماد الأمور يكفى للافصاح عن اطمئنان من ينيب للثقة فيمن أنابه ، وأنه كفيل بأن يقوم مقامه فى الأقل من الامور ، وأكد الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك حينما اعترض على صلاة عمر بالناس وسبب اعتراضـــه بأن الله يأبى ذلك والناس وأكد الاباء بالتكرار ..

ـ ومما يؤيد انابة الرسول صلى الله عليه وسلم لأبى بكر عنه ما أورده البخارى عن جبير بن مطعم ان امرأة أتت النبى صلى الله عليه وسلم فأمرها أن ترجع اليه ..

قالت : أرأيت ان جئت فلم أجدك ..

قال : ان لم تجدينى فأتى أبابكر(٢٦) .

---

(٢٥) السير النبوية لابن هشام ـ الجزء الرابـع ـ طبعة دار الجيل بيروت ص ٢٢١ .

(٢٦) البخارى ـ جزء ٦ ـ مرجع سابق ص ٨١ .

ـ وكان أبو بكر رضي الله عنه أول أمير للحج بعث به النبي صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة وكان ذلك سنة تسع من الهجرة ، وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا أحد أركان الاسلام الخمس ، فالرسول صلى الله عليه وسلم أنابه في ركنين من أركان الاسلام لهما صله بامامة المسلمين وهما الصلاة والحج ٠

ـ ثم ان ما قدمه أبو بكر في مؤازرته الرسول والدعوة في حياته صلى الله عليه وسلم تزكي بيعته التي تمت من المهاجرين والأنصار ٠٠

فقد اتفقت الأقوال على انه كان أول من أسلم من الرجال وهناك قول بأنه كان أول من أسلم اطلاقا ، فلما اتصل نبأ الدعوة بأبي بكر جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

فسأله : يا أبا القاسم ما الذي بلغني عنك ؟

فسأله النبي : وما بلغك عني يا أبا بكر ؟

قال : بلغني أنك تدعو الى توحيد الله ، وزعمت أنك رسول الله

قال النبي : نعم يا أبا بكر ٠ ان ربي جعلني بشيرا ونذيرا وجعلني دعوة ابراهيم ، وأرسلني الى الناس جميعا ٠

فقال أبو بكر : والله ما جربت عليك كذبا ، وانك لخليق بالرسالة لعظم أمانتك ، وصلتك لرحمك وحسن فعالك ٠ مد يدك فانى مبايعك(٢٧) ٠

ونوه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استجابة أبي بكر للدعوة فقال :

« ما دعوت أحدا الى الاسلام الا كانت منه عنده كبرة ونظر

(٢٧) عبقرية الصديق ـ عباس العقاد ص ١٠٧ ٠

وتردد ، الا ماكان من أبى بكر ، ماعكم عنه حين ذكرته له ، وماتردد فيه »(٢٨) .

وأسلم على يدى الصديق رهط من أكبر السادة وأكبر القادة فى الاسلام ، فقد أسلم على يديه عثمان بن عفان ، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله وسعد بن أبى وقاص ، وعثمان بن مظعون ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن عبد الأسد أبو سلمة ، وخالد بن سعيد وجعل لا يهدأ أو لا يستريح حتى أدخل فى الاسلام أمه وأباه وذويه(٢٩) .

ومن مواقفه التى كانت لها أثرها فى تأييد دعوة الاســـــلام مايلى :

● صدق أبو بكر رسول الله صلى الله عليه وســلم فى خبر الاسراء ، فلما أذاع رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد أسرى به ، أحاط بعض المشركين بأبى بكر متهكمين ساخرين عابثين وقالوا له : هل لك الى صاحبك ؟ انه يزعم أنه أســـرى به الليلة الى بيت المقدس !

فقال أبو بكر : أو قد قال ذلك ؟ لئن قال ذلك لقد صدق !

فعادوا يسألونه : أتصدق أنه ذهب الليلة الىبيت المقدس وعاد قبل أن يصبح .. ؟

قال أبو بكر : نعم ! انى لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك من خبر السماء فى غدوه أو روحه ..

ثم ذهب أبوبكر الى النبى صلى الله عليه وسلم فطفق يسمع منه ويصدقه .

ويقول : أشهد أنك لرسول الله(٣٠) ..

---

(٢٨) المرجع السابق ص ٩٢ .
(٢٩) المرجع السابق ص ١٢٣ .
(٣٠) المرجع السابق ص ٦٤ ، ٦٥ .

فعل هذا وأهل مكة مكذبون وكان بعض من أسلم قد أرتد لما سمعوا حديث الاسراء ..

● كان أبو بكر رفيق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه فى الهجرة وأقبل عليها بروحه ونفسه وأمدها بماله .

فتقول ابنته السيدة عائشة رضى الله عنها :

« ما شعرت قبل ذلك أحدا يبكى من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكى حين أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بصحبته » .

وقالت ابنته أسماء رضى الله عنها :

« لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهاجر أبو بكر معه احتمل أبو بكر ماله كله خمسة آلاف درهم أو ستة ، فدخل علينا جدى أبو قحافة وقد ذهب بصره وقال : والله أنى لأراه فجعكم بماله كما فجعكم بنفسه ..

قلت : كلا يا أبت انه قد ترك لنا خيرا كثيرا ..

وأخذت أحجارا فوضعتها فى كوة البيت الذى كان أبى يضع فيه ماله ، ثم وضعت عليه ثوبا ثم أخذت بيده .

وقلت : يا أبت ، ضع يدك على هذا المال

فوضع يده عليه وقال : لابأس اذا كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن وفى هذا بلاغ لكم .

وتكمل أسماء حديثها فتقول « ولا والله ما ترك لنا شيئا ، ولكننى أردت أن أسكن الشيخ »(٣٠م) .

● وكان الصديق أقرب المقاتلين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغزوات .

(٣٠م) المرجع السابق ص ١١٢ .

ففي غزوة أحد حينما ولى من تولى واستشهد من استشهد وذاع بين المسلمين أن محمدا قد قتل وقال البعض ما تصنعون بالحياة بعد رسول الله ، كان من الثابتين الراسخين ونظر الى حلقة من درع نشبت في جبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانكب عليها لينزعها ، لولا أن أقسم عليه أبو عبيدة ليسبقه هو الى نزعها ، فجذبها أبو عبيدة بثنيته جذبا رقيقا حتى نزعها وسقطت ثنيته(٣١) ٠

- وفي صلح الحديبية ، لم يرض بعض المسلمين عن شروطه ، وكان منهم عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فكان يقول : اننا على الحق فلم نعطي الدنية في ديننا ، ولكن أبو بكر كان من المؤيدين المساندين لما عقده الرسول صلى الله عليه وسلم من صلح وكان يقول : انى أشهد أنه رسول الله ، فلم لا أتبعه فيما ارتضاه ؟(٣٢) ٠

- وفي غزوة حنين ، أعجبت المسلمين كثرتهم ، وقالوا لن نهزم اليوم من قلة ، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت ثم ولى البعض مدبرين ، ولكن كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه من الثابتين الملازمين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

تاريخ مجيد لأبى بكر الصديق متصل الحلقات من التضحية والفداء والاخلاص والثبات للدعوة ولصاحب الدعوة جعلت خلافة الصديق أمرا محتما لا يجوز فيه التردد ولا الاهتزاز ٠

ماضى أبى بكر أنقذ الدولة الاسلامية من الفتنة :

ولقد وقى تاريخ أبى بكر الدولة الاسلامية فتنة كانت من الممكن أن تقع بسبب تمسك كل من الأنصار والمهاجرين بالخلافة ، فقد كانت حلقات تاريخ الصديق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تتوالى بخاطر الأنصار حينما استمعوا اليه فى سقيفة بنى ساعدة ، فخففت رويدا رويدا من تصميمهم ، وحدت من غلوائهم ومما يفصح عن مكانة أبى بكر الصديق فى قلوب المسلمين ماورواه ربيعة الأسلمى ٠٠

---

(٣١) المرجع السابق ص ٤٤ ، ٤٥

(٣٢) المرجع السابق ص ٧٠ ٠

قال ربيعة الأسلمى: جرى بينى وبين أبى بكر كلام فقال لى كلمة كرهتها وندم ..

فقال أبو بكر : ياربيعة رد على مثلها حتى يكون قصاصا ..

قلت : لا أفعل

قال : لتقولن أو لاستعدين عليك رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

فقلت : ما أنا بفاعل

فانطلق أبو بكر

وجاء أناس من أسلم

فقالوا لى : رحم الله أبا بكر ، فى أى شىء يستعدى عليك وهو الذى قال لك ما قال :

فقلت : أتدرون من أبو بكر الصديق ؟ هذا ثانى اثنين ، وهذا ذو شيبة فى الاســـــلام . اياكم لا يلتفت فيراكم تنصـــــرونى عليه فيغضب ، فيأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيغضب لغضبه ، فيغضب الله لغضبهما فيهلك ربيعة ..

وانطلق أبو بكر وتبعته وحدى حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحدثه الحديث كما كان . فرفع الى رأسه

فقال : ياربيعة ! مالك والصديق ؟

فقلت: يارسول الله ، كان كذا وكذا ، فقال لى كلمة كرهتها ، فقال لى : قل كما قال حتى يكون قصاصا فأبيت .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أجل لا ترد عليه ، ولكن قل : قد غفر الله لك يا أبا بكر ..

ومما ساعد على مرور مبايعة أبى بكر دون فتنة بين الأنصار والمهاجرين ، التنافس القديم بين قبيلتى الأنصار الأوس والخزرج ،

فقد أنطق الله بالحق لسان بشير بن سعد وهو من زعماء الخزرج ٠

فقال : انا والله وإن كنا أول فضيلة فى جهاد المشركين وسابقة هذا الدين ، ما أردنا به الا رضـــــاء ربنا ، وطاعة نبينا والكدح لأنفسنا ، فما ينبغى لنا أن نستطيل على الناس بذلك ولا نبتغى من الدنيا عرضا ، فان الله ولى النعمة علينا بذلك ٠ ألا ان محمدا صلى الله عليه وسلم من قريش وقومه أحق به وأولى ٠ وايم الله لا يرانى الله أنازعهم فى هذا الأمر أبدا ٠ فاتقوا الله ولاتخالفوهم ولاتنازعوهم،

فما أن سمع النقيب أسيد بن حضير وهو من زعماء الأوس حتى التفت الى قومه وقال لهم « والله لئن وليتها الخزرج عليكم مرة لازالت لهم عليكم بذلك الفضيلة ، ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيبا أبدا ، قوموا فبايعوا أبا بكر ٠٠ »(٣٣) ٠

والأنصار جميعا كانوا فى قرارة نفوسهم يعلمون أن المهاجرين مقدمون عليهم ٠٠

فقد قال جل وعلا :

« والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان » (التوبة / من / ١٠٠)

هذا ونحلل فيما يلى صفات الصديق لنتبين أى صفاته كانت الزم لمعالجة المالية العامة المهتزة ٠

---

(٣٣) الصديق ابو بكر ـ محمد حسين هيكل ص ٦٠ ـ الطبعة السابعة ـ دار المعارف ـ بمصر ٠

صفات الصديق وضرورة بعضها لمعالجة المــالية العامة المهتزة

نبذة عامة عن الخليفة الأول للمسلمين[1] :

نقدم فيما يلى نبذة عن نشأة الخليفة الأول لرسول الله صلى الله عليه وسلم والذى بايعه المسلمون واختاروه اماما لهم واميرا على الدولة الإسلامية :

مولده :

ولد بعد الفيل بثلاث سنوات .

اســــمه :

عبد الله وقيل له عتيق من عتق ، وقال بعضهم انه قيل له ذلك لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال له « أنت عتيق من النار » .

---

(1) البيانات ماخوذة من الطبرى — جزء ٣ — مرجع سابق صفحات ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ .

اسم أبيه :

عثمان وكنيته أبو قحافة ٠

اسم أمه :

أم الخير أو سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم ابن مره ٠٠

كنيتـــه :

عبد الله بن عثمان بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ابن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك

أخـــواه :

معتق وعتيق

نســـاؤه :

تزوج فى الجاهلية :

قتيلة ابنة عبد العزى بن عبد بن أسعد بن جابر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى

وتزوج أيضا فى الجاهلية :

أم رومان بنت عامر بن عميرة بن ذهل بن دهمان بن الحارث ابن غنم بن مالك بن كنانة ٠

وقال بعضهم هى :

أم رومان بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب بن اذينة ابن سبيع بن دهمان بن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة ٠٠

وتزوج فى الاســلام :

أسماء بنت عميس ـ وكانت قبله زوجة لجعفر بن أبى طالب ـ وهى أسماء بنت عميس بن معد بن تيم بن الحارث بن كعب بن مالك

ابن قحافة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن مالك بن نسر بن وهب الله ابن شهران بن عفرس بن حلف بن أفتل ـ وهو خثعم ..

وتزوج أيضا فى الاسلام :

حبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبى زهير من بنى الحارث من الخزرج .

أولاده :

عبد الله واسماء : من زوجته الأولى قتيلة

عبد الرحمن وعائشة : من زوجته الثانية أم رومان

محمد : من زوجته الثالثة أسماء

أم كلثوم : من زوجته الرابعة حبيبة وكانت حاملا حين توفى أبو بكر فولدت أم كلثوم بعد وفاته ..

وصـــــفه :

وصفته أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها فقالت :

رجل أبيض نحيف خفيف العارضين أجنأ(٢) لايستمسك ازاره يسترخى عن حقويه(٣) معروق(٤) الوجه ، غائر العينين ، ناتىء الجبهة عارى الأشاجع(٥) ..

ووصفه آخر وهو على بن محمد فقال :

انه كان أبيض يخالطه صفرة ، حسن القامة نحيفا أجنأ ، رقيقا

---

(٢) الاجنـأ : الأحـدب .

(٣) الحقو : الخصر .

(٤) المعروق : القليل اللحم .

(٥) الأشاجع : أصول الأصابع التى تتصل بعصب ظاهر الكف .

عتيقا آقنى ، معروق الوجه ، غائر العينين ، حمش الساقين(٦) ، ممحوص الفخذين ، يخضب بالحناء والكتم ..

اختصاصه فى الجاهلية :

كان لكل من القبائل المقيمة بمكة اختصـاص فكانت الديات والمغارم أحد هذه الاختصاصات وقد آل أمر الديات فى الجاهلية الى أبى بكر حين اشتد ساعده فتولى الزعامة فى قبيلته ، لذلك كان اذا احتمل شيئا منها فسأل قريشا صدقوه وأمضوا حمالة من نهض معه وان احتملها غيره خذلوه(٧) ..

مهنتـــه :

يقول ابن هشام :

كان ابو بكر رجلا مؤلفا لقومه ، محببا سهلا ، وكان أنسب قريش لقريش ، وأعلم قريش بها وبما كان فيها من خير وشر ، وكان رجلا تاجرا ذا خلق ومعروف ، وكان قومه يحبونه لاكثر من واحدة : لعلمه وتجارته وحسن مجالســته ، لذلك نجحت تجارته نجاحا كبيرا ، وبلغ مدخـــره من المال قبل الاســـلام أربعين ألف درهم(٨) .

صـــفاته :

ـ وصف رسول الله صلى الله عليهوسلم أبابكر رضى الله عنه باللين ..

فقد استطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى أبى بكر وعمر وعبد الله بن رواحه رضى الله عنهم فى كيفية معاملة أسرى بدر ..

---

(٦) حمش الساقين : دقيقهما .

(٧) الصديق أبو بكر ـ محمد حسين هيكل ـ ص ٢٧ .

(٨) هذا وصف ابن هشام صاحب السيرة ـ المرجع السابق ص ٩٢ .

فقال ابو بكر : يارسول الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والاخوان وهم قومك وأهلك ، أرى أن تأخذ منهم الفدية فيكون ما أخذنا منهم قوة وعسى الله أن يهديهم فيكونون لنا عضدا ..

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ماترى يا ابن الخطاب ؟

فقال عمر : يارسول الله كذبوك واخرجوك ، وهم صناديد الكفار وقادتهم فأرى أن تضرب أعناقهم ..

وقال عبد الله بن رواحة : يارسول الله انظر واديا كثير الحطب فادخلهم فيه ثم أحرقه عليهم نارا .

فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجبهم ثم دخل ،

فقال ناس : يأخذ بقول أبى بكر ..

وقال ناس : يأخذ بقول عمر ..

وقال ناس : يأخذ بقول عبد الله بن رواحه ..

ثم خرج فقال : ان الله عز وجل ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللين ، وان الله ليشدد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة ، وان مثلك يا أبا بكر مثل ابراهيم قال (فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم) (ابراهيم/من ٣٦) .

ومثلك ياعمر مثل نوح قال : (رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا) (نوح/من ٢٦) .

ومثلك يا ابن رواحة كمثل موسى قال : (ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم) (سورة يونس/من ٨٨) .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنتم اليوم عالة فلا يفلتن أحد منكم الا بفداء أو ضرب عنق فلما كان الغد أنزل الله عز وجل : (ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا ، والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم ، لولا

كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) (الأنفال/٦٧ ، ٦٨) .

وتأكد لين أبي بكر رضي الله عنه حينما استشار الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين حينما اجتمعت قريش لصده وصد المسلمين عن البيت ..

فنادى بالناس : « أشيروا أيها الناس على . أترون أن أميل الى عيالهم وذرارى هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت ، فان فاتونا كان الله قد قطع علينا من المشركين ، والا تركناهم محروبين ؟)

فقال أبو بكر : « يارسول الله ، خرجت عامدا لهذا البيت ، لا تريد قتال أحد ولا حربا فتوجه له فمن صدنا قاتلناه »

فقد رأى الصديق الاقتصار على قتال من صد المسلمين عن البيت الحرام وعدم قتال من لم يصده .

ومما يدل على أن اللين طبع من طباع الصديق وصفة من صفاته ، أنه اذا خرج مرة عن صفة اللين ندم وهو فى مرض الموت على ما فعل .

ففى خلافته جاءه الفجاءة أو اياس بن عبد ياليل وطلب منه السلاح لقتال المرتدين . فاعطاه السلاح ، فأخذه واستخدمه فى قطع الطريق والافساد فى الأرض وقتل من صادفه من المسلمين أو المرتدين، وتفاقم شره وعظم ظلمه ، فكذب على الخليفة وخدعه وقتل المسلمين بسلاح الخليفة ، فلما وقع فى الأسر وجىء به الى الخليفة فأمر به أن يلقى فى نار توقد له فى مصلى البقيع ..

وفى مرض موته كان مما قاله رضى الله عنه « انى لا آسى على شىء من الدنيا الا على ثلاث فعلتهن وددت أنى تركتهن .. » ومن هذه الثلاث ود أنه لم يحرق الفجاءة السلمى(٩) وأنه كان قتله سريحا(١٠) أو خلاه نجيحا ..

---

(٩) الطبرى جزء ٣ - مرجع سابق - ص ٤٣٠ .
(١٠) السريح : السهل أو العجلة .

هذا ويقول الله جل وعلا فى جزاء من يفسدون فى الارض ..

« انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم » (المائدة/٣٣) ..

— وصف الرسول صلى الله عليه وسلم الصديق رضى الله عنه انه يأخذ بالحزم ..

فمن المعروف أن صلاة الوتر تقضى من بعد العشاء الى ما قبل الفجر وهى سنة واجبة ..

فقد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر : متى توتر ؟

قال أبو بكر رضى الله عنه : من أول الليل ..

وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب : متى توتر ؟

فقال عمر رضى الله عنه : من آخر الليل ..

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر : أخذت بالحزم :

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر : أخذت بالعزم(١١) .

وقد بان حزمه فى أمر الدين فى مناقشة بينه وبين ابنه عبد الرحمن عن ما وقع ببدر وكان ابنه لم يسلم بعد وحارب مع المشركين ضد المسلمين ..

فلما أسلم قال عبد الرحمن لابيه : لقد أهدفت لى يوم بدر فضفت عنك — أى عدلت عنك — ولم أقتلك ..

فقال له أبو بكر : لكنك لو أهدفت لى (أى صرت لى هدفا) لم أضف عنك(١٢) .

---

(١١) عبقرية الصديق — مرجع سابق — ص ١٢٠ .

(١٢) المرجع السابق ص ٥٢ .

وسيبين فيما بعد ان أبا بكر أخذ بالحزم فى شــريعة مالية أساسيه من شرائع الاسلام حينما أصر حازما على محاربة المرتدين عن أدائها بالرغم من رأى بعض الصحابة بعدم حربهم خشية تفكك الدولة ..

ــ وصف الرسول صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق بأنه من ذوى الفضل فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يوما بالمسجد وحوله أصحابه فأقبل على بن أبى طالب فوقف وسلم ثم نظر مجلسا فالتفت عليه الصلاة والسلام يرى أيهم يوسع له

وكان أبو بكر على يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسرع وتزحزح عن مجلسه وهو يقول : هاهنا يا أبا الحسن !

فبدأ السرور فى وجه النبى صلى الله عليه وسلم وقال : يا أبا بكر ، « انما يعرف الفضل لأهل الفضل ذوو الفضل »

ــ ومن صفات أبى بكر الصديق رضى الله عنه كتمانه للأسرار خصوصا أسرار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد حدث أن تأيمت حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنه فعرضها على عثمان بن عفان رضى الله عنه ليتزوجها .

فقال عثمان : سأنظر فى أمرى

وبعد أيام لقى عمر وأخبره انه لا يريد الزواج فى ذلك الوقت

فعرضها عمر على أبى بكر رضى الله عنه ، فلم يرجع أبو بكر الى عمر بالرأى

ثم خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

وبعدها لقى أبو بكر عمر فقال له : لقد وجــدت على حين عرضت على حفصة فلم أرجع اليك شيئا ..

قال عمر رضى عنه : نعم

قال أبو بكر رضى الله عنه : لم يمنعنى أن أرجع اليك فيما عرضت على الا اننى كنت علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قد ذكرها ، فلم أكن لأفشي سر رسول الله ولو تركها رسول الله قبلتها (١٣) .

ـ هم أبو بكر الصديق رضي الله عنه بعد اسلامه أن يهجر مكة الى الحبشة ، فلقيه ابن الدغنة فأجاره لدى قريش وعدد بعض مكارم أبي بكر رضي الله عنه فقال :

« أتخرجون رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق »(١٤) .

وقد تأكدت بعض هذه المكارم في حديث بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعض أصحابه فكان من عادته عليه الصلاة والسلام أن يسأل أصحابه حينا بعد حين عما قدموه من الخيرات فصلى الصبح ذات يوم فلما قضى صلاته سأل : أيكم أصبح اليوم صائما ؟

قال عمر : أما أنا يارسول الله فقد بت لا أحدث نفسي بالصوم وأصبحت مفطرا ..

وقال أبو بكر : أنا يارسول الله ، بت الليلة وأنا أحدث نفسي بالصوم ، فأصبحت صائما ..

ثم سأل النبي صلى الله عليهوسلم : أيكم اليوم عاد مريضا ؟

فقال عمر : انما صلينا الســـاعة ولم نبرح ، فكيف نعود المريض ؟

وقال أبو بكر : أنا يارسول الله ، أخبروني أن أخي عبد الرحمن ابن عوف مريض ووجع فجعلت طريقي عليه ، فسألت عنه ، ثم أتيت المسجد ..

ثم سأل النبي : فأيكم تصدق اليوم بصدقة ؟

قال عمر : يارسول الله ، مابرحنا معك مذ صـــلينا فكيف نتصدق ؟!

---

(١٣) المرجع السابق ص ٧٣ .

(١٤) المرجع السابق ص ٤٢ .

وقال أبو بكر : أنا يارسول الله ، دخلت المسجد ، فاذا سائل يسأل وابن لعبد الرحمن بن أبى بكر معه كســـرة خبز ، فأخذتها فأعطيتها السائل ..

فقال النبى : فأبشر بالجنة . ابشر بالجنة ..

وفى ذلك يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ماسابقت أبا بكر الى خير قط الا سبقنى اليه .

ولعله مما يتصل بهذا النوع من مكارم الأخلاق التى تمتد الى رعاية الغير أنهكان قبل أن يتولى الخلافة تعود أن يساعد الضعفاء فكان يحلب لهم أغنامهم كرما منه ورفقا بهم وكان يقيم بالسنح على مقربة من المدينة .

ولما بويع بالخلافة سمع جارية تقول : اليوم لا تحلب لنا .

فسمعها فقال : بلى لعمرى لأحلبنها لكم

فكان وهو خليفة يحلبها ..

ـ كان الصديق يبغض الخيلاء فقد خشى على نفسه أن يكون به خيلاء فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فنفاها عنه ،

فعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة »

فقال أبو بكر : ان أحد شقى ثوبى يسترخى الا أن أتعاهد ذلك منه .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« انك لست تصنع ذلك خيلاء »(١٥) .

ـ وكان طعام أبى بكر من حلال وكان يشتد فى التأكد من ذلك

---

(١٥) البخارى جزء ٦ ص ٨٤ طبعة المجلس الأعلى للشئون الاسلامية .

ليرضي ضميره فكان له مملوك يغل عليه . فأتاه ليلة بطعام فتناول منه لقمة ..

قال المملوك : ما لك كنت تسألني كل ليلة ولم تسألني الليلة ؟

قال : حملني على ذلك الجوع .. من أين جئت بهذا ؟

فأنبأه المملوك أنه مر بقوم كان يرقى لهم في الجاهلية فوعدوه ، فلما أن كان ذلك اليوم مر بهم فاذا عرس لهم فأعطوه ذلك الطعام .

قال الصديق : ان كدت لتهلكني ..

وأدخل يده في حلقه فجعل يتقيأ - وجعلت اللقمة لا تخرج ..

فقيل له : ان هذه لا تخرج الا بالماء ..

فدعا بطست من ماء فجعل يشرب ويتقيأ حتى رمى بها .

قيل له : يرحمك الله ! كل هذا من أجل لقمة ؟

فقال : لو لم تخرج الا مع نفسي لأخرجتها(١٦) .

- وكما كان الصديق كاتما للأسرار كان موفيا للوعود ، فقد خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته عائشة حين ذكرتها له خولة بنت حكيم . وكان المطعم بن عدي قد خطبها من أبي بكر قبل ذلك لابنه ..

فقال أبو بكر لزوجه أم رومان : ان المطعم بن عدي قد كان ذكرها على ابنه والله ما أخلف أبو بكر وعدا قط ..

ثم أتى أبوبكر مطعما ومعه امرأته فسأله : ماتقول في أمر هذه الجارية ؟

فأقبل مطعم على امرأته وسألها : ما تقولين ؟

فأقبلت على أبي بكر وقالت : لعلنا ان أنكحنا هذا الصبي اليك تصبئه وتدخله في دينك الذي أنت عليه ..

---

(١٦) عبقرية الصديق - مرجع سابق - ص ٤٧ .

فلم يجبها أبو بكر وسأل المطعم بن عدى : ماتقول أنت ؟

فقال مطعم : انها تقول ما تسمع(١٧)

فلما رأى أبو بكر رضي الله عنه أن الزوج والزوجة تحللا من خطبتهما لعائشة بما يخشيانه على ابنهما من أن يدخله أبو بكر الاسلام ، تحلل أبو بكر عند ذلك من وعده ، ولم يتحلل منه قبل ذلك على ما في نسب الرسول من شرف لا يعلوه شرف ، وما في قلبه من محبة لا تفوقها محبة .

ـ كان أبو بكر رضي الله عنه عالما بأنساب العرب(١٨) ، ويعرف محامد ومثالب القبائل العربية ، وكان يساعد النبى صلى الله عليه وسلم فى التعرف على القبائل ودعوتهم للاسلام ، ويوضح على بن أبى طالب رضي الله عنه ذلك ، فيذكر نموذجا لمناقشة جرت بين أبى بكر واحدى القبائل فى أول الدعوة الاسلاميه حينما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على القبائل .

فيقول على بن أبى طالب رضي الله عنه :

« فرفعنا الى مجلس من مجالس العرب ، فتقدم أبو بكر فسلم ، وكان مقدما فى كل خير ، وكان رجلا نسابه ..

فقال (أبو بكر) : ممن القوم ؟

قالوا : من ربيعة ؟

قال : وأى ربيعة انتم ؟ أمن هاماتها أو من لهازمها ؟

قالوا: من هامتها العظمى ؟

قال : وأى هامتها العظمى أنتم ؟

قالوا : من ذهل الاكبر ..

---

(١٧) المرجع السابق ص ٤٤ .

(١٨) الطبرى جزء ٣ ـ مرجع سابق ـ ص ٤٢٧ .

قال : فمنكم عوف بن محلم الذى يقال فيه لا حسر بوادى عوف ؟

قالوا : لا ..

قال : فمنكم المزدلف الحر صاحب العمامة الفردة ؟

قالو : لا ..

قال : فمنكم بسطام بن قيس ابو القرى ومنتهى الأحياء ؟

قالوا : لا ..

قال : فمنكم جساس بن مرة حامى الذمار ومانع الجار

قالوا : لا ..

قال : فمنكم الحوفزان قاتل الملوك وسالب أنفسها ؟

قالوا : لا ..

قال : فمنكم أصهار الملوك فى كنده ؟

قالوا : لا ..

قال : فمنكم أصهار الملوك من لخم ؟

قالوا : لا ..

قال أبوبكر : فلستم ذهلا الاكبر ، انما أنتم ذهل الأصغر

وقد اشتهر بهذا النوع من العلم ، حتى أن المشـــركين كانوا ينسبون اليه تلقين شعراء المسلمين فى ردهم على ما جاء بهجاء شعراء المشركين(١٩) .

ـ وكان بأبى بكر رضى الله عنه حدة وكان يعلم ذلك ، ويحاول أن يغالبها وأعلن عنها فى خطبة له بعد مبايعته فقال :

---

(١٩) عبقرية الصديق ـ مرجع سابق ص ١٨٩ .

(··· اعلموا ان لى شيطانا يعتريني ، فاذا رأيتموني غضبت فاجتنبوني ··)(٢٠)

ويوم السقيفة رغب عمر بن الخطاب أن يتكلم قبل أبى بكر ليداري منه بعض الحدة

فقال « وكنت أداري منه بعض الحد ـ أى الحدة)(٢١) ·

ومن مظاهر حدته ، أن كان يوما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة رضي الله عنها كلام ··

فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم : من ترضين أن يكون بيني وبينك ؟ أترضين بأبى عبيدة بن الجراح ؟

قالت : ذلك رجل هين لين يقضي لك

قال : اترضين بأبيك

قالت : نعم

فلما جاء أبو بكر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقصصي ··

فقالت : بل اقصص أنت

فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم في اعادة ماجرى بينهما من كلام ··

وبدرت من عائشة كلمة لا تعنيها فقالت : أقصد (أى التزم القصد ولا تزد في الرواية) ··

فرفع أبو بكر يده فلطمها وانتهرها مغضبا ·

وقال (أبو بكر) : تقولين يابنت أم رومان : أقصد ! من يقصد اذا لم يقصد رسول الله ·

---

(٢٠) المرجع السابق ص ٤٢
(٢١) المرجع السابق ص ٤٢

وجعل الدم يسيل من أنفها ورسول الله يحجز بينهما ·

ويقول لأبى بكر : انا لم نرد هذا

فلما أنصرف أبو بكر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة مامعناه · رأيت كيف أبعدك الله منه !(٢٢) ··

على أن حدة الصديق كانت تقوده أحيانا للدفاع المتحمس عن دين الله والرد على جحود الكافرين ، ويبين ذلك مايلى :

قال محمدبن اسحاق عن عكرمة أنه حدثه عن ابن عباس قال :

دخل أبو بكر الصديق بيت المدراس فوجد من يهود ناسا كثيرة قد اجتمعوا على رجل منهم يقال له فنحاص وكان من علمائهم وأحبارهم ومعه حبر يقال له أشيع ··

فقال له أبو بكر : ويحك يافنحاص اتق الله واسلم ، والله انك لتعلم أن محمدا رسول من عند الله قد جاءكم بالحق من عنده ، تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة والانجيل ··

فقال فنحاص : والله يا أبا بكر ما بنا الى الله من حاجة الى من فقر ، وانه الينا لفقير ، ما نتضرع اليه كما يتضرع الينا ، وانا عنه لأغنياء ، ولو كان عنا غنيا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم، ينهاكم عن الربا ولو كان غنيا ما أعطانا الربا ··

فغضب أبو بكر رضى الله عنه فضرب وجه فنحاص ضربا شديدا ··

وقال : والذى نفسى بيده لولا الذى بيننا وبينك من العهد لضربت عنقك ياعدو الله فأكذبونا ما استطعتم أن كنتم صادقين ·

فذهب فنحاص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال فنحاص : يامحمد ابصر ما صنع فى صاحبك ؟

---

(٢٢) المرجع السابق ص ١٩٣ ·

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما حملك على ماصنعت يا أبا بكر

فقال أبو بكر : يارسول الله ان عدو الله قال قولا عظيما ، يزعم أن الله فقير وأنهم عنه أغنياء ، فلما قال ذلك غضبت لله مما قال فضربت وجهه ..

فجحد فنحاص ذلك وقال : ما قلت ذلك ..

فنزلت آية « لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق ، ذلك بما قدمت أيديكم ، وأن الله ليس بظلام للعبيد »(٢٣)
(آل عمران / ١٨١ ، ١٨٢)

ولقد أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضى الله عنه درسا يعالج به دوافع الحدة فى نفسه ..

فبينما رسول لله صلى الله عليه وسلم جالس ومعه أصحابه وقع رجل بأبى بكر فآذاه ، فصمت عنه ، ثم آذاه الثانية فصمت عنه ، ثم آذاه الثالثة فانتصر منه ..

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انتصر أبو بكر .

فقال : أوجدت على يارسول الله !

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نزل ملك من السماء يكذبه بما قال ، فلما انتصرت وقع(٢٤) الشيطان .

جماع صـــفات الصـــديق :

مما سبق يتضح أن أبا بكر رضى الله عنه اتصف بالصفات التالية بالاضافة الى مناقبه ..

---

(٢٣) ورد فى مختصر تفسير ابن كثير جزء ١ ــ اختصـــار وتحقيق ــ محمد على الصابونى .

(٢٤) عبقرية الصديق ــ مرجع سابق ــ ص ٤٧ .

- لين مادام اللين يعالج الأمور
- حازم فى أداء الواجبات
- من ذوى الفضل يعرف الفضل لأهل الفضل
- معوان للضعفاء والبؤساء
- متواضع يكره الخيلاء
- يتحرى الحلال ويمج الحرام
- عالم بالانساب
- له حدة يعمل على ترويضها ..

بعض صفات أبي بكر كانت ضـــرورية لنجاح قيادة المالية العامة المهتزة :

أوضحنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف أبا بكر الصديق رضى الله عنه بأنه يأخذ بالحـــزم ، وكان الحزم صـــفة ضرورية لمن يتولى أمور الأمة وادارة ماليتها العامة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد أوشك أحد أركانها كما رأينا - وهو الزكاة - أن يسقط نتيجة رغبة بعض القبائل فى عدم ادائها وسنرى أنهم أعلنوا الخليفة بذلك جهراً وهم متجمهرون . بل وصل الأمر ليزحفوا على عاصمة الدولة الاسلامية وقتئذ وهى المدينة لفرض طلباتهم بالقوة، فلا يرغم الممتنعين ولا يردهم الى الطاعة الا سياسة حازمة من رئيس دولة حازم يتخذ كل الاجـــراءات الكفيلة بتدفق أموال الزكاة للدولة لتنفق منها على مصارفها المحددة بالقرآن ، وتحمى حقوق الطبقات الضعيفة من الفقراء والمساكين التى استحقت فى أموال أغنياء أرادوا أن يضيعوها نتيجة حبهم المال حبا جما ولو أدى ذلك الى اهدار ركن من أركان الاسلام .

ومما اتصف به أبو بكر رضى الله عنه أنه يكســـب المعدوم ويحمل الكل ويعين على نوائب الحق ويعود المرضى وهى مهام من مهام الســـياسة المالية العامة العادلة . فالدولة تفرض الفرائض

والضرائب على القادرين وتحصيلها وتوجهها لصـــالح المعدومين والضعفاء ، أما على هيئة خدمات عامة مجانية تؤدى لهم أو فى صورة معاشات واعانات نقدية تدفعها لهم · وزكاة الاموال تقوم بطبيعتها بهذه الوظائف ، فمن أموالهـــا ما يعود على الفقـراء والمساكين ومن أموالها ما يعين على نوائب الأيام كأموال الزكاة التى توجه لمنح الحرية للعبيد والأسرى ولفك أزمة الغارمين · واذا لم تكف أموال الزكاة لتغطية وظائفها الاجتماعية ، جاز للخليفة وولى الامر أن يفرض فرائض أخرى ويوجه أموالا عامة أخـــرى لكفالة حقوق هذه الطبقات الضعيفة وكفالة ضرورات الحياة لهم ·

فعن ابن عمر رضى الله عنهما قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« كلكم راع وكلكم مســئول عن رعيته ، فالأمير الذى على الناس راع عليهم وهومسئول عنهم ، والرجل راع على أهل بيته ، وهو مسئول عنهم ، وامرأة الرجل راعية على بيت زوجها وولدها ، وهى مسئولة عنهم ، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسئول عنه ، ألا فكلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته »(٢٦) ·

واتصاف أبى بكر الصديق رضى الله عنه بهذه الصـــفات الحانية على الضعفاء يوجهه نحو العمل بكافة الوســـائل لاعادة حقوقهم فى أموال بعض الأغنياء التى ضاعت بامتناع الاخيرين عن أداء الزكاة المفروضة وتمكنه من أداء أمور الرعاية العامة التى هى من مسئولية الامير على الناس والمنوه عنها بحديث رســـول الله صلى الله عليه وسلم ·

واتصف أبو بكر رضى الله عنه كذلك بتحرى الحلال عموما وخصوصا فى مطعمه ، وهى صفة تقود من يتولون أمور الدول وأمور ماليتها العامة الى التنزه عن النيل من المال العام بطرق مباشرة أو غير مباشـــرة ، وتوجيههم الى التعفف عن أية مزايا أو منافع أو

(٢٦) الأموال لابى عبيد ص ١٠ ، ١١ ·

عوائد تأتيهم بغير حق من بيت مال المسلمين • وكانت هذه الصفة ضرورية فيمن يتولى أمر الدولة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أمر بمبادىء طهارة الأموال العامة والخاصة ، حتى يمتد عهد الطهارة الذى أتسمت به الدولة فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحتى تظل تعاليمه المستقاة من القرآن الكريم وخلقه العظيم والتى تغلف المال العام ومعاملاته بالطهارة ، سارية بعد وفاته •

وإذا كان رئيس الدولة يتحرى الحلال فى المال العام ، كان قدوة طيبة وصاحب سنة حسنة يقتدى بهما العاملون بالدولة ، وتشمر بهما الرعية ، فتستقيم أمور المال العام وعملياته بين الحكام والمحكومين ••

الباب الثانى

الدولــة الاســلامية
وسمات سياستها المالية
فى عهــد الصــديق

الفصـــــل الأول

نظام الدولة الاسلامية فى عهد الصديق

ارتباط سياسة المالية العامة بالدولة :

سياسة المالية العامة كباقي السياسات العامة ترتبط وتنبع من طبيعة نظام الدولة التى تتبناها ، لذلك ينبغى التعرف على طبيعة نظام الدولة فى عهد الصديق قبل مناقشة السياسة المالية فى عهده ، وسنناقش ذلك النظام فى ضوء المفاهيم الحديثة .

سلطات الدولة فى خلافة الصديق[1] :

كان نظام الدولة الاسلامية فى عهد الصديق رضى الله عنه يقوم على السلطات التالية :

ـ رئيس للدولة .

---

(١) انظر هذا الموضوع بصفة عامة فى « مذكرات فى نظام الحكم والادارة فى الدولة الاسلامية للمستشار عمر الشريف ـ طبعة معهد الدراسات الاسلامية ص ٣٨ وما بعدها .

ـ السلطة التشريعية ·

ـ السلطة التنفيذية ·

ـ السلطة القضائية

الخليفة رئيس الدولة الإسلامية :

الخليفة يخلف النبى صلى الله عليه وسلم فى حراسة الدين وسياسة الدنيا ، وهو يجمع بين رئاسة الدولة والحكومة أى السلطة التنفيذية فى المفهوم الدستورى الحديث ، فيخضع الوزراء خضوعا تاما له وحده ، وله الحق المطلق فى اختيارهم وفى عزلهم ، وعموما فهو نظام ترجح فيه كفة رئيس الدولة فى ميزان السلطات ·

والخليفة يمارس سلطته بحكم مسئوليته عن الرعية أمام الله والناس ، ويتناول نظير عمله أجرا من بيت المال ·

السلطة التنفيذية للدولة فى عهد الصديق :

هذا ولا يستطيع الخليفة ممارسة شئون الحكم وحده ، بل يتحتم عليه الاستعانة بغيره ، ويقوم المعاونون بعملهم بمقتضى التفويض من الخليفة اليهم نظير أجور تؤدى لهم من بيت مال المسلمين وتتكون السلطة التنفيذية من هؤلاء المعاونين ، فيزاولون القيام بالأنشطة العامة التى يمول بيت مال المسلمين حاجتها للتمويل ، وهذه الأنشطة تكون عادة كما يلى :

ـ حفظ الدين على أصوله المستقرة فى القرآن والسنة وتعليم ونشر مبادئه ··

ـ الجهاد فى سبيل الله بالدفاع عن الأمة الاسلامية والدعوة للاسلام بالوسائل السلمية ·

ـ جباية الأموال والزكوات وصرفها فى مصارفها الشرعية ·

ـ اقامة شعائر الدين باقامة المساجد للصلاة وتعيين من

يلزمها من الأئمة والعاملين وتيسير الحج وضمان أداء المسلمين لصوم رمضان ·

– ادارة الأمور العامة للأمة ·

– الدفاع عن الدولة فى مواجهة الأعداء باعداد الجيش وتحصين الثغور ·

– المحافظة على الأمن والنظام العام فى الدولة ·

– الاشراف على اقامة العدل بين الناس

– الاشراف على الادارة المالية لضمان تحصيل حقوق بيت المال بالعدل وانفاق الأموال فى مصارفها ·

– ويختار الخليفة عماله على الاسس السليمة وأعلى درجة من الصلاحية(٢) ·

تدرج الاختصاصات العامة فى عهد أبى بكر :

وفى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه كانت الاختصاصات تتدرج على النحو التالى بين معاونى الخليفة ·

– معاونون لهم اختصاصات تقارب اختصاصات الوزراء من أمثال أبى عبيدة الجراح وعمر بن الخطاب ، فلما تولى أبو بكر الخلافة ، قال له أبو عبيدة : أنا أكفيك المال ، وقال عمر : أنا أكفيك القضاء ، وكان يكتب له زيد بن ثابت ويكتب له الأخبار عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وكان يكتب له من حضر(٣) ·

– معاونون لهم اختصاصات عامة محصورة فى نطاق اقاليم

---

(٢) المرجع السابق ص ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ نقلا عن الأحكام السلطانية للماوردى ·

(٣) الطبرى جزء ٣ – مرجع سابق – ص ٤٢٦ ·

معين وهم ولاة الاقاليم والبلدان وكانوا فى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه هم :

عتاب بن أسيد : على مكة

عثمان أبى العاصى : على الطائف

المهاجر بن أبى أمية : على صنعاء

زياد بن لبيد : على حضر موت

يعلى بن أمية : على خولان

أبو موسى الأشعرى : على زبيد ورمع

معاذ بن جبل : على الجند

العلاء بن الحضرمى : على البحرين

وبعث جرير بن عبد الله : الى نجران

وبعث عبد الله بن ثور أحد بنى الغوث : الى ناحية جرش

وبعث عياض بن غنم الفهرى : الى دومة الجندل(٤)

ـ معاونون لهم ولايةخاصة فى أعمال عامة كقواد الجيوش، وفى عهد أبى بكر الصديق كان بالشام مثلا أبو عبيدة وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن أبى سفيان وعمر بن العاص كل رجل منهم على جند وعليهم خالد بن الوليد(٥) .

ـ معاونون ذو اختصاص محدود فى عمل كقاضى البلد أو المصدق جامع الصدقات . على أن الفصل التام بين هذه الاختصاصات على أساس التقسيم السابق لم يكن كاملا كما هو فى الدول الحديثة ، فلم تكن الدولة الاسلامية فى عهد أبى بكر الصديق متسعة الاتساع الذى بلغته فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه

(٤ ، ٥) المرجع السابق ص ٤٢٧ .

ومن بعده من الخلفـــاء الراشـــدين ، كانت مدة خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه قصيرة كما سبق أن ذكرنا ·

السلطة التشريعية للدولة الاسلامية في عهد الصديق :

السلطة التشريعية هى الجهة التى تملك عمل التشريع ··

أصل التشريع الاسلامى من عند الله سبحانه وتعالى أنزله على رسوله فى القرآن المجيد أو ألهمه الرسول صلى الله عليه وسلم ، فصدرت عنه سنة قولية وعملية أقره الله سبحانه وتعالى عليها ، ثم جاء المجتهدون من الصـــحابة والتابعين وغـــيرهم من الأئمة المجتهدين فاستنبطوا من نصوص القرآن والسنة تشريعا سنوه ·

وبعد الرسول صلى الله عليه وسلم وفى خلافة أبى بكر تولى السلطة التشريعية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانوا يوضحون للمسلمين تفسير القرآن والسنة وينشرون ماحفظوا من القرآن والسنة ويتصدون للفتوى فيما يجد من وقائع وأقضية ·· فبذلك كان الصحابة هم رجال السلطة التشريعية ·

ولم يكتسبوا سلطتهم من تعيين أو انتخاب وانما كسبوها من صحبتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظهم للقرآن والسنة ومشارفتهم لأسباب التنزيل ·

وبذلك كانت مصادر التشريع فى عهد أبى بكر الصديق هى القرآن والسنة واجتهاد الصحابة وكان رجال السلطة التشريعية فى خلافة أبى بكر يتولون سلطتهم التشريعية مجتمعين وما يصدر عنهم يعتبر حكم جماعتهم ··

ويدل على ذلك ما جاء عن البغوى فى مصابيح السنة فقد ورد به مايلى :

« كان أبو بكر اذا ورد عليه الخصوم نظر فى كتاب الله ، فان وجد فيه مايقضى بينهم قضى به ، وان لم يجد فى الكتاب وعلم من

رسول الله فى ذلك الامر ســـنة قضى بها ، فان أعياه خرج فسأل المسلمين :

قال : أتانى كذا وكذا ، فهل علمتم أن رسول الله صلى الله عليهوسلم قضى فى ذلك بقضاء فربما اجتمع عليه النفر كلهم يذكر عن رسول الله صلى الله عليهوسلم فيه قضاء ٠

فيقول أبو بكر : الحمد لله الذى جعل فينا من يحفظ عن نبينا

فان أعياه أن يجد فيه سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع رؤوس الناس وخيـــارهم ، فان أجمع رأيهم على أمر قضى به »(٦) ٠

السلطة القضائية للدولة الاسلامية فى عهد الصديق :

السلطة القضائية هى السلطة المختصة بتطبيق القانون على المنازعات التى تعرض عليها ٠ والقضاء ضـــرورة من ضـــرورات المجتمع ، فالمجتمع مكون من أفراد ، والأفـــراد لهم من الغـــرائز والرغبات مايدعوهم الى التنازع ، لذلك كان لزاما أن يوجد القاضى الذى يفصل فى المنازعات ويلزم بالحق ويوقع الجزاء ٠

وفى الدولة الاسلامية كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول القضاة وقد تولى القضاء بنفسه ، كما أنه عليه الصلاة والسلام كان يعهد أحيانا بالقضاء لبعض أصحابه ٠

وفى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه تولى القضاء كما سبق أن ذكرنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فمكث سنة منذ خلافة أبى بكر لم يخاصم اليه أحد(٧) ٠

---

(٦) مذكرات فى نظام الحكم والادارة فى الدولة الاســلامية للمستشار عمر الشريف ـ مرجع سابق ـ ص ٧٨ ، ٧٩ ٠

(٧) الطبرى جزء ٣ ـ مرجع سابق ـ ص ٤٢٦ ٠

ويروى أحد المتقاضين(٨) وقائع قضـيية له فى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه فيقول :

عارمت(٩) غلاما من أهلى فعض أذنى فقطع منها

فرفع شأننا الى أبى بكر

فقال : اذهبوا بهما الى عمر فلينظر ، فان كان الجارح قد بلغ فليقد منه ٠

فلما انتهى بنا الى عمر رضى الله عنه ٠

قال : لعمرى لقد بلغ هذا ! أدعو لى حجاما

فلما ذكر الحجام

قال : أما انى سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « قد أعطيت خالتى غلاما وأنا أرجو أن يبارك الله لهافيه وقد نهيتها أن تجعله حجاما او قصابا أو صائغا »

فاقتص منه ٠ (أى كان الحكم هو القصاص من الجانى)

صحابة رسول الله دعموا حكم الصديق والدولة الناشئة :

أوضحنا أنه كان للصديق الرأى الأخير فى مسائل الدولة ، ولكنه لم يكن وحده ، بل كان حوله رجال عاونوه فى ادارة شئون الدولة معاونة مباشرة بقيامهم بمزاولة بعض أنشطتها العامة أو معاونة غير مباشرة بتقديم المشورة وابداء الرأى ، أو كانوا بماضيهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم معتبرين رقباء على أعمال الدولة، وقد أهلهم جميعا للقيام بالمعاونة المباشرة وغير المباشرة فى أمور الدولة ، أنهم كانوا من جماعة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تعلموا فى مدرسته وتفقهوا فى أمور الدين وتعاليم القرآن

---

(٨) الذى تقاضى هو ابن ماجدة الهمى والقضـية وردت فى الطبرى جزء ٣ — مرجع سابق — ص ٣٨٦ ٠

(٩) عارمت : اى خاصمته ٠

حتى يديه، وعاصروا سنته ووعوها ، فصـــار منهم رواة الحديث وأهل الفتوى وفقهاء الدين والمجاهدون فى سبيل الله ٠

وقد أنزل الله فيهم جل وعلا آيات منها :

« والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الانهار خالدين فيهاأبدا ذلك الفوز العظيم » (التوبة / ١٠٠)

وقال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« خير الناس قومى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجىء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته »(١٠) ٠

وقال عليه الصلاة والسلام :

« لا تسبوا أصحابى، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه »(١١) ٠

والمراد بالحديث أن السابقين الأولين من الصحابة لا يلحقهم من بعدهم فى الفضل والثواب مهما بذلوا(١٢) ٠

ونوضح فيما يلى باختصار فضل البعض منهم وقدراتهم على تدعيم الدولة فى عهد الصديق :

عمر بن الخطاب :

أعز الله به الاسلام

شديد فى الحق

من الملهمين

محدث الأمة

---

(١٠) البخارى جزء ٦ – مرجع سابق – ص ٧٥ ٠

(١١) المرجع السابق ص ٨٩ ٠

(١٢) المرجع السابق ص ٨٩ ٠

من المبشرين بالجنة

مالقيه الشيطان سالكا فجا قط الا سلك فجا غير فجه(١٣)

فهذه الصفات تجعله من الأكفاء المميزين القادرين على المشاركة فى أمور الأمة فى عهد الصديق ٠

عثمان بن عفان :

ذو النورين

حفر بماله بئر رومة

جهز بماله جيش العسرة

هاجر الهجرتين

سفير الرسول للمشركين يوم عمرة القضاء

من كتاب الوحى

بشره الرسول بالجنة

فوجوده بين الصحابة فى عهد الصديق وكفاءته يرشحانه ليكون سنداً للدولة فى أعمالها(١٤) ٠

---

(١٣) هذه المواصفات مقتبسه من مناقب عمر بن الخطاب التى تضمنتها احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وردت بجزء ٢ من البخارى ــ مرجع سابق ــ فى ص ٩٤ حتى ص ١٠٣ ٠

(١٤) مواصفات عثمان مقتبسة من احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم من مناقبه الواردة فى البخارى ــ مرجع سابق ــ من ص ١٠٣ الى ص ١١٢ وبعض المراجع الأخرى ٠

علي بن أبي طالب :

أول المسلمين من الصبيان[١٥]

الصديقون ثلاثة وهو أفضلهم[١٦]

الرسول مدينة العلم وعلى بابها[١٧]

قال له الرسول : أنت مني وانا منك[١٨]

قال له الرسول في خيبر : ليأخذن الراية غدا رجلا يحبه الله ورسوله ، وأعطاها لعلي ففتح الله عليه[١٩] ٠

أعز الله به الاسلام

علمه وكفاءته وتقواه تفيد في المعارف في ادارة الدولة الاسلامية في عهد الصديق ٠٠

عبد الرحمن بن عوف :

أسلم قبل ان يدخل رسول الله دار الأرقم

هاجر الهجرتين

شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

أحد العشرة المشهود لهم بالجنة

كان كثير المال كثير الصدقة

قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم « عبد الرحمن بن عوف أمين في السماء والأرض »[٢٠] ٠

(١٥ ، ١٦ ، ١٧) من كتاب مدرسة الرسول صلى الله عليه وسلم تأليف عبد المنعم حمادة ص ١٠٣ وما بعدها ٠

(١٨ ، ١٩ ، ٢٠) مقتبسة من البخاري ــ مرجع سابق ــ ص ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ٠

فمن وصفه الرسول صلى الله عليه وسلم بالأمانة فى السماء والارض يكون أمينا على أمور الأمة وأموالها العامة وتنبعث رقابته من تقوى خالصة لوجه الله جل وعلا .

الزبير بين العوام :

حوارى النبى صلى الله عليه وسلم(٢١)

قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب لجهاده « فداك أبى وأمى »(٢٢)

شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم(٢٣) .

ندب الرسـول أبا بكر والزبير يوم أحد لتعقب جيش قريش ومطاردته(٢٤) .

أبو ذر الغفارى :

ــ من غفار ، كان اسلامه مبكرا ، وحين أسلم كان الرسول صلى الله عليه وسلم يهمس بالدعوة .

ــ بعد اسلامه عاد الى عشيرته ودعا الى الاسلام .

ــ بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسـلم للمدينة جاء بقبيلته غفار وقبيلة أسـلم للرسـول وأفراد القبيلتين جميعا رجالا ونساءا وصبيانا وأطفالا مسلمين .

فقال عليه الصلاة والسلام

« غفار غفر الله لها » « وأسلم سالمها الله »

ــ قال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم :

(٢١ ، ٢٢) البخارى ــ جزء ٦ ــ مرجع سابق ص ١٢٢ ، ١٢٣ .

(٢٣ ، ٢٤) مقتبسة من كتـاب ــ رجال حول الرسـول ــ تأليف خالد محمد خالد ص ٤٣٩ وما بعدها .

« ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضـــراء أصدق لهجة من أبي ذر » .

- علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم رقابة الفيء فألقى عليه يوما هذا السؤال :

« يا أبا ذر ، كيف أنت اذا أدركك أمراء يستأثرون بالفيء ؟ »

فأجاب قائلا :

« اذا والذى بعثك بالحق لأضربن بسيفي » .. !!

فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم :

« أفلا أدلك على خير من ذلك .. ؟

أصبر حتى تلقاني »

ومضى عهد الرسول ومن بعده عصر أبي بكر ، ولم يرفع صوته لأنه كان عصر السمو الكامل على مغريات الحياة ، فلم يجد مخالفات ولو وجد لخرج الى معاقل السلطة والثروة وأنذرها وقال لهم كما كان يقول فى عهد عثمان بن عفان « بشر الكانزين الذين يكنزون الذهب والفضة بمكاو من نار تكوى بها جباههم وجنوبهم يوم القيامة »(٢٥) .

بلال مؤذن الرسول :

- حبشي كان عبدا لأناس من بني جمح .
- ذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- عذبه أسياده بأقسى ألوان التعذيب فكان يردد « أحد أحد »
- دفع أبوبكر ثمن تحريره فأخذ مكانه بين الأحرار .

---

(٢٥) رجال حول الرسول - خالد محمد خالد - دار الريان للتراث ص ٦٥ وما بعدها .

ـ وبعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم للمدينة وقع عليه اختياره ليكون أول مؤذن فى الاسلام ٠

ـ ويوم فتح مكة دخل الرسول صلى الله عليه وسلم الكعبة مصطحبا معه بلالا وأمره أن يعلو المسجد ويؤذن ٠

ـ شهد مع رسول الله المشاهد كلها ٠

ـ فى عصر أبى بكر ذهب اليه وطلب منه أن يرابط فى سبيل الله حتى يموت فأجابه لطلبه(٢٦) ٠

سعد بن أبى وقاص :

ـ جده أهيب بن مناف ، عم السيدة آمنة أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

ـ أسلم وهو ابن سبع عشرة سنة وكان اسلامه مبكرا وكان يقول عن نفسه ٠

« ولقد أتى على يوم وانى لثلث الاسلام »

ـ أول من رمى بسهم فى سبيل الله وأول من رمى أيضا

ـ يوم أحد ، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

« ارم سعد ٠٠ فداك أبى وأمى »

ـ دعوته مستجابة فقد دعا له الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الدعوة ٠٠

« اللهم سدد رميته ٠٠ وأجب دعوته »

ـ كان غنيا وعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتصدق بثلثى ماله فلم يوافق فعرض أن يتصدق بالنصف فلم يوافق، فعرض أن يتصدق بالثلث ٠

---

(٢٦) المرجع السابق ص ٨٩ وما بعدها ٠

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« نعم ، والثلث كثير .. انك ان تذر ورثتك أغنياء ، خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس ، وانك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله الا أجرت بها ، حتى اللقمة تضعها فى فم امرأتك »

ــ كان كثير البكاء من خشية الله

ــ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما لأصحابه :

« يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة »

فطلع عليهم سعد بن أبى وقاص(٢٧) .

فاولئكم الذين يعرضون التصدق بجزء كبير من أموالهم كسعد كفيلون برقابة أنشطة الدولة في عهد أبي بكر خصوصا الأنشطة المالية .

صهيب بن سنان :

ــ كان أبوه حاكم « الابله » ووليا عليها لكسرى

ــ سبى لما تعرضت بلاده لهجوم الروم ، وصار من الرقيق ، وبيع بمكة لعبد الله بن جدعان أعجب به سيده فاعتقه وحرره وهيأ له فرصة الاتجار معه .

ــ كان من الذين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم وأسلموا ..

ــ لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هجرته للمدينة بعد ان تنازل عن كل ماله لقريش ليتركوه .

ــ لم يكد رسول الله صلى الله عليه وسلم يراه حتى ناداه متهللا :

---

(٢٧) المرجع السابق ص ١٢٣ وما بعدها .

« ربح البيع أبا يحيى

ربح البيع أبا يحيى »(٢٨) .

ومثل صهيب الذى فدى دينه بماله جدير ان يشارك فى الاداء العام للدولة فى عهد الصديق .

عبد الله بن مسعود :

سادس ستة أسلموا واتبعوا الرسول عليه السلام

— كان يرعى غنما لعقبة بن أبى معيط ، فجاء النبى صلى الله عليه وسلم وابو بكر

فقالا : ياغلام ، هل عندك من لبن تسقينا ؟

فقال : انى مؤتمن ولست ساقيكما

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : هل عندك من شاة حائل ، لم ينز عليها الفحل ؟

قال : نعم

فأتاهما بها ، فاعتقلها النبى ومسح الضرع ودعا ربه فحفل الضرع .. ثم أتاه أبو بكر بصخرة متعقرة ، فاحتلب فيها ، فشرب أبو بكر ثم شرب بن مسعود .

ثم قال الرسول صلى الله عليه وسلم للضرع : اقلص فقلص .

فأتى ابن مسعود النبى بعد ذلك وقال له : علمنى من هذا القول

فقال له : انك غلام معلم

— أسلم وكان أول من جهر بالقرآن

— صار من فقهاء الأمة وعميد حفظة القرآن .

---

(٢٨) المرجع السابق ص ١٢٩ وما بعدها .

ـ قال عن نفسه : أخذت من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة لاينازعني فيها أحد » .

ـ كانت تأخذه الرعدة الشديدة اذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ـ شهد المشاهد كلها والغزوات جميعها(٢٩) .

فقرآنية ابن مسعود تجعله أنسب المعاونين لدولة دستورها القرآن .

أبو عبيدة بن الجراح :

ـ قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ان لكل أمة أمينا ، وان أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح

ـ اسمه عامر بن عبد الله بن الجراح

ـ دافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، سقطت منه ثنيتان نزع بهما حلقتان دخلتا فى وجنتى النبى .

ـ أرسله الرسول مع وفد نجران بعد أن أسلموا الى اليمن يعلمهم القرآن والسنة والاسلام .

ـ وبعد الرسول جاهد كجندى فى سبيل الله وولاه عمر بن الخطاب أميرا على الجيش بدل خالد بن الوليد .

ـ قال عنه عمر بن الخطاب لما جاءه الناعى بموته .

« لو كنت متمنيا ، ماتمنيت الا بيتا مملوءا برجال من أمثال أبى عبيدة .

ـ وقال عمر بن الخطاب عنه وهو يجود بأنفاسه :

---

(٢٩) المرجع السابق ص ١٩٥ وما بعدها .

« لوكان أبو عبيدة بن الجراح حيا لاستخلفته فان سألنى ربى عنه :

قلت : استخلفت أمين الله وأمين رسوله »(٣٠) .

فالأمناء فى الأمم كأبى عبيدة يؤدون ما تعهد به الدولة اليهم من أعمال باخلاص وتفان وأمانة .

نوع حكومة الصـــديق :

أوضحنا فيما سبق نظام الدولة الاسلامية والســلطات التى تتكون منها فى ظل المسميات الحديثة ، ويتبع ذلك تحديد نوع هذه الحكومة بالمفهوم العصرى الحديث .

حكومة أبى بكر حكومة اسلامية ، القرآن الكريم دستورها العام وسنة الرسول توضح ما جاء مجملا فى القرآن الكريم ، والقرآن الكريم والسنة مصدران من مصادر التشريع والشورى أساس من الاسس الهامة للدولة فقد أمر الله رسوله أن يشاور فى الأمر فقال تعالى :

« فبما رحمة من الله لنت لهم ،ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم ، واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله » (آل عمران/من ١٥٩) .

وقد نشأت حكومة أبى بكر على الشورى فقد بويع الصديق بالانتخاب العام ولم يطلب البيعة لنفسه بل كان يرشـــح عمر بن الخطاب وأبا عبيدة بن الجراح ليبايع المسلمون أيهما شاءوا وكان يرشحهما والأنصــار ينازعون المهاجـرين الأمر ، وتم ذلك كله فى اجتماع عام ثم تمت مبايعته ، فهى اذا بيعة أنشأتها الشورى .

---

(٣٠) المرجع السابق ص ٢٥٨ وما بعدها .

والشورى أســـاس من أسس الديمقراطية فى العهد الحديث فحكومة أبى بكر قامت على نفس الأساس فهى شكل من أشكال الحكومات الديمقراطية .

ولمتكن حكومة الصديق حكومة يدعى فيها الحاكمون صـفة الهية لاشباع أهدافهم رحرصهم على الاحتفاظ بالسلطان ، فيزعمون أن ارادتهم من ارادة الله وأنها لذلك هى القانون بل هى فوق القانون وقد نفى الصديق ذلك من أول الامر ، فقد ناداه أحدهم « ياخليفة الله » فأنكر ذلك وقال : « أنا خليفة رسول الله ».

وليست حكومة أبى بكر أتوقراطية وهى حكومة الفرد المستبد ، فمناقب أبى بكر وصفاته التى أوردناها لا يمكن تصور أنها تؤدى به الى أن يكون حاكما مستبدا ، وقد أوضحنا كذلك أن الصحابة لهم سلطة الرقابة على الحاكم وقد تعلموا فى مدرسة الرسول أصول الشورى وواجبات الأمير فى الرعاية ومسئوليته عن رعيته .

وليســـت حكومة أبى بكر حكومة الفئة القليلة من الأعيان والسادة ذوى المطامع والاهواء لأن الصديق يحكم بالقرآن وقد نهى الله جل وعلا عن اتباع الأهواء .

فقال جل وعلا :

« فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا .. » (المائدة / من ٤٨)

تشكل السياسة المالية لأبى بكر الصديق بشكل حكومته :

تتلاءم السياسة المالية لأى دولة مع شكل الحكومة التى تضعها فبناء على ماسبق من أن حكومة أبى بكر حكومة دستورها القرآن ومصدر أحكامها القرآن وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم .. وقامت على الشورى ، فان السياسة المالية فى عهده ينبغى أن تقوم على الأسس التالية :

ـ القرآن مصدر السياسة المالية الأول ·

ـ السنة المصدر الثانى للسياسة المالية ·

ـ السياسة المالية تخضـــع لرقابة الأمة مادامت الأمة قد انتخبت الخليفة فى ظل مبدأ الشورى ·

ونوضح فيما يلى مدى مطابقة هذه الأسس لما يســتنتج من الخطاب الأول للخليفة الاول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ·

سمات السياسة المالية للدولة الاسلامية فى عهد الصديق

الخطاب الاول للخليفة الاول كمفتاح لسياسته المالية :

بعد أن بايع الناس الخليفة الاول للمسلمين ، وكان على منبر مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، خطب فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه بالذى هو أهله :

« أما بعد أيها الناس ، فانى قد وليت عليكم ولست بخيركم، فان أحسنت فأعينونى ، وان أسأت فقومونى ، الصـــدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوى عندى حتى أريح عليه حقه ان شاء الله ، والقوى منكم الضعيف عندى حتى آخذ الحق منه ان شاء الله . لا يدع أحد منكم الجهاد فى سبيل الله ، فانه لا يدعه قوم الا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشـــة فى قوم الا عمهم الله بالبلاء .. أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم قوموا الى صلاتكم رحمكم الله »(١) .

---

(١) الطبرى جزء ٣ ــ مرجع سابق ــ ص ٢١٠ .

فالخطبة صدرت من الخليفة الأول للأمة الاسلامية عامة متسمة بتواضع الخليفة ، متمسكة بالمبادىء الفاضلة داعية للجهاد فى سبيل الله . محذرة من الفاحشة مقررة حق الرقابة للأمة الاسلامية ، ولم يرد بها تفاصيل سياساته العامة ومنها سياسة المالية العامة ، فلم يكن مألوفا أن يتضمن الخطاب الاول لرؤساء الدول فى ذلك الوقت هذه التفاصيل كما هو متبع فى الأزمنة الحديثة ، بل ان بعض الممالك والامبراطوريات التى كانت قائمة فى زمن الخليفـــة الأول كالروم والفرس كانت تحت حكم مطلق لا يعنى الحكام فى ظله أن يحيطوا الشعب بسياساتهم العامة ٠

على أنه مما يعين في التعرف على السياسات المستقبلة لرؤساء الدول سلوكياتهم التى كانوا عليها قبل ولايتهم أمور الأمم ، وبتتبع مناقب وفضائل الخليفة الأول للمسلمين قبل الخلافة وبربطها بما ورد فى خطابه الأول من خطوط عامة ، يمكن التنبؤ بالسمات العامة التى ستتسم بها سياسته المالية للدولة الاسلامية بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك على النحو التالى :

السياسة المالية للخليفة الأول مصدرها القرآن :

كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه مرتبطا بالقرآن ارتباطا كاملا ويتجلى تكامل هذا الارتباط على النحو التالى :

ـ كان الصديق احد القلائل الذين يحفظون القرآن وساعده على الاحاطة به صحابته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

ـ نزل قرآن كريم فى مصاحبته لرســـول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار بعد أن أخرجه المشركون من مكة ، فيقول الله جل وعلا :

« الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا » (التوبة / من ٤٠)

ـ ذكرنا ان أبا بكر الصديق رضى الله عنه كان أول من أسلم

من الرجال وصدق بالرسول صلى الله عليه وسلم ، وأنزل الله جل وعلا على رسوله صلى الله عليه وسلم الآية التالية :

« والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون » (الزمر / ٣٣) .

فقالوا ان الله يريد بالآية رسول الله وأبا بكر الصديق .

ـ كان المشركون فى أول الدعوة يعذبون من أسلم من الأرقاء والعبيد والجوارى فكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يشتريهم من ماله الخاص ليخلصهم من العذاب ثم يعتقهم يريد بذلك ما عند الله، فنزلت بشأنه اية :

« فأما من أعطى واتقى . وصدق بالحسنى . فسنيسره لليسرى » (الليل / ٥ ، ٦ ، ٧)

ـ كان ممن أعتقهم من العبيد بلالا الحبشى ، فادعى المشركون أن ما أعتقه الا ليد (أى نعمة) كانت لبلال عنده ، فقال تعالى :

(وما لأحد عنده من نعمة تجزى ، الا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى) (الليل / ١٩ ، ٢٠ ، ٢١) .

ـ كان ممن خاض فى حديث الافك عن ام المؤمنين عائشة رضى الله عنها قريب مسكين لأبى بكر الصديق اسمه مسطح وكان ينفق عليه ، فلما نزلت من الله جل وعلا ايات ببراءتها أعلن أبو بكر أنه لن ينفق على مسطح شيئا أبدا ..

فنزلت من الله جل وعلا الآيات التالية :

« ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم »(النور / ٢٢)

فقال أبو بكر (والله انى لأحب أن يغفر الله لى)

وأعاد الى مسطح نفقته

ـ كان أبو بكر متعمقا فى تفسير القرآن الكريم

فمن آية :

« يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم » (المائدة / من ١٠٥)

قال أبو بكر للناس انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

ان القوم اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه والمنكر فلم يغيروه عمهم الله بعقابه ٠

وقال الصديق يوما لاصحابه ما تقولون فى هاتين الآيتين :

« ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحـــزنوا وابشـــروا بالجنة التى كنتم توعدون » (فصلت/ ٣٠)

« الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » (الانعام / ٨٢) ٠

قالوا « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ٠٠٠٠ » أى آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم الخطيئة ٠

قال أبو بكر رضى الله عنه : لقد حملتموها على غير المحمل ثم قال :

(قالوا ربنا الله ثم استقاموا ٠٠) فلم يلتفتوا الى اله غيره ولم يلبسوا ايمانهم بشرك ٠

ـ تحمل أذى المشركين مؤثرا تلاوة القرآن فقد سبق أن ذكرنا انه بسبب أذاهم فى أول الدعوة عزم على الهجرة للحبشة فقابله أحد كبار حلفاء قريش فأجاره لدى المشركين من قريش فقبلوا على أن يعبد أبو بكر ربه فى داره ، فكان يتعبد ويقرأ القرآن ويصلى فى مسجد أقامه بداره ، وكان صوت ترتيله القرآن الخاشع المتهدج يصـــل لاسماع من بخارج الدار فيجذب الأطفال الأبرياء للسماع ، والنساء الحانيات للاصغاء ، فينجذب الأطفال لمايسمعون وتتأثر النسوة لما يصغين ، فروع مشركوا مكة ، وذهبوا الى من أجاره ليطلب منه عدم الجهر بترتيل القرآن ٠

فقال له أبو بكر « فانى أرد اليك جوارك وأرضى بجوار الله عز وجل » ..

وهكذا كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه حافظا للقرآن تاليا له مفسرا لآياته ونزلت فيه بعض تلك الآيات ..

فاذا تولى أمر الأمة بعد من نزل عليه القرآن الكريم . يكون القرآن الكريم دستور هذه الأمة ، تنبثق منه سياساتها العامة ومنها السياسة المالية .

وهذا ما ورد بالخطاب الأول للخليفة الأول لرسول الله صلى الله عليه وسلم حينما جعل شرط طاعته لله ورسوله أساسا لطاعة الأمة لله فقال :

« أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم »

وقرآنية مصدر المالية العامة فى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه يجعلها تقوم بصفة عامة على أساس :

تطبيق آيات القرآن الكريم التى وردت به عن الموارد العامة .

تطبيق آيات القرآن الكريم التى وردت به عن الانفاق ومنه الانفاق العام ..

تطبيق آيات القران الكريم التى وردت به عن ادارة المالية العامة ..

السنة هى المصدر الثانى للسياسة المالية للصديق :

أعلن الصديق أنه سيطيع الله ورسوله ، وطاعة الرســول تستوجب الأخذ بسنته ومنها سننه فى الأموال العامة فقد بلغ ونفذ رسول الله صلى الله عليه وسلم آياتها بالقول وبالفعل فأعلم الناس بها وبأحكامها ، وفيمايلى نوضح بعض سنن الرسول صلى الله عليه وسلم بشأن تطبيقات أسس السياسة المالية للدولة الاسلامية الأولى :

بعض سنن الرسول فى الايرادات العامة :

شملت الايرادات العامة للدولة الاسلامية فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الزكاة وخمس الغنائم والخراج والجـــزية وفيما يلى بعض اجراءات الرسول بشأن كل منها :

الـــــزكاة :

- بلغ آيات الزكاة وأكد الالتزام بادائها .

- حدد الرسول المادة الخاضـــعة للزكاة وهى الأموال التى يملكها المسلم .

- حدد عليه الصلاة والسلام الفئات أى الأسعار التى تسرى على كل وعاء من أوعية أنواع الزكاة .

- حدد النصاب الذى تجب فيه الزكاة وما دونه عفو والعفو فى الزكاة يقابل حدود الاعفاء فى الضـــرائب الحديثة كالاعفاء لحد الكفاف أو للأعباء العائلية أولهما معا ..

- حدد الأوقات التى تؤدى فيها الزكاة كما تتحدد مواعيد أداء الضرائب الحديثة ..

- أرسل ممثلين عن الحكومة الاسلامية لجمع زكاة الأموال ممن تجب عليهم(٢) .

خمس الغنـــائم :

خمس الغنائم ورد فى الآية ٤١ من سورة الأنفال وهى :

(واعلموا أنما غنمتم من شىء فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شىء قدير) .

---

(٢) انظر كتابنا السياسة المالية للرسول – صفحة ٥٠ طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب .

ولتطبيق هذه الاية اتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم عدة اجراءات منها مايلى :

- أبلغ آيات الجهاد فى سبيل الله
- صدرت عنه أحاديث عن ثواب الجهاد
- قام بالغزوات وأمر بالسرايا فى سبيل الله
- أبلغ ايات الأنفال وأن الغنائم أحلت للمسلمين
- أبان الحكم فى السلب
- أعلن عقوبة الغلول من الغنائم
- نظم أسس توزيع الغنائم بين الفاتحين بعد تجنيب الخمس طبقا للآية (٣)

الخــــــــراج :

مما قام به رسول الله صــــلى الله عليه وسلم بشأن الأرض ما يلى :

- نظم خراج أرض خيبر بعد فتحها
- اقطع الأرض للغير
- أوضح أن الناس شركاء فى الماء والكلأ والنار
- قال : لا حمى (أى للأرض) الا لله ورسوله
- حرم تقسيم أرض مكة بين الفاتحين بعد فتحها (٤)

الجــــــــزية :

مما قام به الرسول صلى الله عليه وسلم بشأن فرض الجزية فى آية :

---

(٣) انظر تفصيل ذلك فى المرجع السابق فى الصفحات من ٩٧ الى ١٣٦ .

(٤) انظر تفصيل ذلك فى المرجع السابق الصفحات من ١٥٢ ــ ١٧٦ .

« قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » (التوبة/ ٢٩) مايلى :

- بعث الكتب لأهل الكتاب موضحا أحكام الآية ·

- أوضح لقادة الجيوش الغازية فى سبيل الله أحكام الجزية

- حدد قيمة الجزية

- عقد الصلح مع بعض أهل الكتاب ، وتضمنت العقود احكاما بشأن الجزية وتنظيم ادائها(٥)

النفقات العامة :

مما أجراه رسول الله صلى الله عليه وسلم بشأن النفقات العامة للدولة الاسلامية مايلى :

- نظم الرسول وجوه انفاق الزكاة على مصارفها المحددة بالقرآن

- عين عمال جمع الصدقات

- حرم الانفاق من الصدقات على آله

- قضى بمحلية الانفاق من الزكاة فتنفق على فقراء البلدة التى جمعت من أغنيائها(٦)

- عالج الرسول الانفاق من خمس الغنائم على وجوهه المحددة بالقرآن(٧)

---

(٥) التفاصيل فى كتابنا السابق من صفحة ١٣٩ حتى ١٥١ ·

(٦) التفاصيل في المرجع السابق من صفحة ١٧٩ حتى ١٩٥ ·

(٧) التفاصيل فى المرجع السابق من صفحة ١٩٦ حتى ٢١٠ ·

ـ أجرى من الخمس على ذوى القربى وهو أحد أسهمه على بعض بنى هاشم وبنى المطلب

ـ أنفق من الخمس على حاجيات الدولة الأخرى كالغزوات والسرايا(٨) ٠

ادارة المـــال العـــام .

أدار الرسول صلى الله عليه وســلم المالية العامة للدولة الاسلامية الاولى تخطيطا وتنظيما وتعبئة للموارد العـامة ورقابة بآيات القرآن الكريم وبمبادىء خلقه العظيم(٩)

صحبة الصديق للرسول تعينه على تطبيق سننه فى المال العام :

واذا كان الصديق قد أعلن فى خطابه الاول أنه سيطيع الله ورسوله ومنها طاعة رسول الله فى تطبيق أقواله وأعماله التى صدرت عنه فى السياسة المالية والتى أوردنا نماذج منها فى البند السابق ، فانه أقدر الناس على تطبيق ذلك ، لأنه كان رضى الله عنه أكثر الناس صحبة للرسول صلى الله عليه وسلم ٠

فقدصاحب الصديق الرسول من أول الدعوة ٠

وفى ذلك يقول عمار بن ياسر :

« رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومامعه الا خمسة اعبد وامرأتان وأبو بكر »(١٠) ٠

وصاحب الصديق الرسول فى الغار على النحو الذى أوضحنا

وصاحبه فى غزواته وسائر المواقف مما جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ينوه عن ذلك فقال فى حديث طويل :

---

(٨) التفاصيل فى المرجع السابق من صفحة ٢١٠ حتى ٢٢٤ ٠

(٩) التفاصيل فى المرجع السابق من صفحة ٢٢٧ حتى ٢٦٤ ٠

(١٠) البخارى ـ جزء ٦ ـ مرجع سابق ـ ص ٨١ ٠

... « ان الله بعثني اليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدق وواساني بنفسه وماله فهل انتم تاركوا لي صاحبي ... »(١١).

واعتبر الرسول الصديق أخا وصاحبا

فعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« لو كنت متخذا من أمتي خليلا لاتخذت أبابكر ولكن اخي وصاحبي »(١٢) .

وكان جديرا بحب الرسول .

فقد كان الصديق رضي الله عنه أحب الرجال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال عمرو بن العاص - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثني على جيش ذات السلاسل فأتيته فقلت : أي الناس أحب اليك ؟

قال : عائشـــــة

فقلت : من الرجال

فقال : أبوها

قلت : ثم من ؟

قال : ثم عمر بن الخطاب فعد رجالا(١٣)

وبذلك استحق الصديق الجنة فقد بشره الرسول صلى الله عليه وسلم أثناء صحبته له بالجنة .

---

(١١) المرجع السابق ص ٨٢ .

(١٢) المرجع السابق ص ٨٠ .

(١٣) المرجع السابق ص ٨٣ .

فمن حديث طويل لأبى موسى الأشعرى رضى الله عنه ، أنه عزم أن يكون بواب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم

فجاء أبو بكر فدفع الباب

فقلت : من هذا ؟

فقال : أبو بكر

فقلت : على رسلك

ثم ذهبت فقلت : يارسول الله ، هذا أبو بكر يستأذن

فقال : أئذن له وبشره بالجنة

فأقبلت حتى قلت لأبى بكر : أدخل ، ورسول الله صلى الله يبشرك بالجنة . فدخل أبو بكر ، فجلس عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم ..(١٤)

وسيدعى أبو بكر للجنة من جميع أبوابها :

قال أبو هريرة رضى الله عنه ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« من أنفق زوجين من شىء من الأشياء فى سبيل الله دعى من أبواب – يعنى الجنة –

يا عبد الله هذا خير ، فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الصيام (و) باب الريان »

فقال أبوبكر : ما على هذا الذى يدعى من تلك الأبواب من ضرورة .. ؟

---

(١٤) المرجع السابق ص٩٠

وقال : هل يدعى منها كلها أحد يارسول الله ؟

قال : نعم وأرجو أن تكون منهم يا أبابكر(١٥)

التنبؤ بصحبة أبى بكر للرســــول :

ـ ويحكي ابو بكر الصديق عن صحبة الرســـول صلى الله عليه وسلم والتنبؤ بها قبل وقوعها فى أحد رحلاته للتجارة باليمن قبل البعثة فيقول عما حدث له في هذه الرحلة ..(١٦)

« .... فنزلت على شيخ من الأزد عالم قد قرأ الكتب ، وعلم من علم الناس كثيرا فلما رآنى

قال : أحسبك حرميا (من أهل الحرم)

قلت : نعم ، أنا من قريش

قال : وأحسبك تيميا

قلت : نعم أنا من تيم بن مرة . أنا من ولد كعب بن سعد بن تيم بن مرة . أنا عبد الله بن عثمان .

قال : بقيت لى فيك واحدة

قلت : ماهي ؟

قال : تكشف عن بطنك

قلت : لا افعل او تخبرنى لم ذاك ؟

قال : أجد فى العلم الصحيح الصادق أن نبيا يبعث فى الحرم، يعاونه على امره فتى وكهل . فأما الفتى فخواض غمرات ودفاع معضلات (يقصد على ابن أبى طالب رضى الله عنه) ، وأما الكهل ، فأبيض نحيف ، وعلى بطنه شامة (حسنة) وعلى فخذه اليسرى

---

(١٥) المرجع السابق ص ٨٥ .

(١٦) الصديق أول الخلفاء ـ عبد الرحمن الشرقاوى ـ الفصل السابع .

علامه ، وما عليك أن تريني ماسألتك ، فقد تكاملت لي فيك الصفة الا ماخفي علي ·

فكشفت له عن بطني فرأى شامة سوداء فوق سرتي ··

فقال : أنت هو ورب الكعبة ، واني متقدم اليك في أمر فاحذره
قلت : وما هو ؟

قال: اياك والميل عن الهدى ·وتمسك بالطريقة المثلى الوسطى وخف الله فيما خولك وأعطاك

السياسة المالية للصديق ستدعم الجهاد ويدعمها الجهاد :

ومما تضمنته الخطبة الأولى لأبي بكر الصديق رضي الله عنه الحض على الجهاد ، مما ينبغي معه على السياسة المالية في عهده أن تساهم في تمويل الجهاد في سبيل الله ، وان كان النصيب الأكبر من التمويل في عهده كما كان في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم سيقع على الأفراد المجاهدين سواء أكان الجهاد بالمحاربة في ميدان الحرب أو بحراسة المجاهدين للثغور والحدود والمرابطة فيها أو بالجهاد باللسان لاشعال حماسة المحاربين وشن الحملات على الأعداء أو بالجهاد بالمال لشراء الاسلحة والدروع والزاد والخيل وكافة مستلزمات المعارك ، وذلك تلبية لآيات القرآن المجيد ولأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهي كثيرة نقتطف منها مايلي :

يقول الله جل وعلا :

« انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلك خير لكم ان كنتم تعلمون » (التوبة / ٤١)

وقوله جل وعلا :

« يا أيها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » (الصف ١٠ ، ١١)

ومن أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ما يلي :

– « ان لكل أمة سياحة وسياحة أمتي الجهاد في سبيل الله ، وان لكل أمة رهبانية ورهبانية أمتي الربط في نحور العدو »(١٧) .

– « مثل المجاهد في سبيل الله – والله أعلم بمن يجاهد في سبيله – كمثل الصائم القائم ، وتوكل الله للمجاهد في سبيله بأن يتوفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه سالما مع أجر أو غنيمة »(١٨) .

– « من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازيا في سبيل الله بخير فقد غزا »(١٩) .

– « لئن تركتم الجهاد وأخذتم بأذناب البقر وتبايعتم بالعينة ليلزمنكم الله مذلة في رقابكم لا تنفك عنكم حتى تتوبوا الى الله وترجعوا على ماكنتم عليه » (٢٠) .

وبجانب مساهمة الافراد في تمويل الجهاد سيساهم بيت المال أيضا في حدود الموارد المتاحة وهي من المصادر التالية :

– سهم الرسول وذوي القربى الوارد في آية الخمس بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد ثبت أنه خصص بعد وفاته للكراع والسلاح .

– سهم في سبيل الله من أموال الزكاة استنادا لآية :

« انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » (التوبة / ٦٠) .

---

(١٧) الحديث ورد في كتاب الجهاد – محمد أحمد الحوفي – ص ٤٢ .

(١٨) الحديث عن أبي هريرة ورد في كتاب الجهاد والسنة لفضيلة الشيخ حامد محمد .

(١٩) المرجع السابق ص ٤٦ .

(٢٠) كتاب الجهاد – للدكتور محمد الحوفي – مرجع سابق – ص ٤٣ .

... .. أرض بني نضير وكانت كما يقول عمر بن الخطاب مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة فكان ينفق منها على أهله نفقة سنة وما بقي جعله في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله ، وحيث أن الانبياء لا يورثون فتؤول لبيت مال المسلمين لينفق منها في الكراع والسلاح كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ويبدو أن الجهاد كان يستحوذ اهتمام الخليفة الأول لأنه خصه بالذكر دون باقي الأنشطة العامة ولعل ذلك مرجعه الى الفراغ الذى تركه موت رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشوء ظاهرة ارتداد المرتدين وتحفز اليهود والنصارى للكيد للاسلام والمسلمين ، وانتظار جيش أسامه الذى بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم للجهاد ولكنه لما علم بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مازال قريبا من المدينة عاد ينتظر تعليمات الخليفة الجديد ، فالجهاد واستمراره كان هو الحل لتلك المشاكل العامة التى واجهها الخليفة الجديد .

واذا كانت السياسة المالية ستدعم الجهاد ، فان الجهاد سيدعمها بما يفيء الله به على بيت المال من فيء وزكاة من أسلم وجزية أهل الكتاب ..

السياسة المالية للصديق ستتسم بالعدل :

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في خطابه الأول «والضعيف فيكم قوى عندى حتى أريح عليه حقه ان شاء الله والقوى منكم الضعيف عندى حتى آخذ الحق منه ان شاء » .

وبذلك نوى أبو بكر الصديق رضي الله عنه أن يحكم بالعدل بين الناس والعدل في أمور المال العام ضرورة لصيانة عملياته من الانحراف والمخالفات سواء بمعرفة الممولين أو من يديرون أموره ، فبدون العدالة مثلا تهتز العلاقة بين بيت المال والممولين اهتزازا يؤدى الى وقوع الظلم على أحدهما أو كليهما .

فقد يتخذ الظلم من جانب المولين في المالية العامة الاسلامية المظاهر التالية :

ـ عدم أداء المسلمين للزكاة التى فرضها الله ٠

ـ انقاص ما يؤديه المسلمون من زكاة لبيت المال عن الواجب ادائه كاملا ٠

ـ اداء دافع الزكاة ردىء المال لبيت المال ، فيقدم من زكاة الأنعام مثلا المريض منها او العجفاء او المعيبة والمفروض أن يقدم صاحب الانعام زكاتها من أواسطها ٠

ـ ارتكاب الغلول فى الغنائم فينقص خمسها الذى يؤول لبيت المال طبقا لآية الخمس ٠

ـ عدم اداء أهل الكتاب الجزية ٠

ـ مخالفة أهل الكتاب شروط الصلح التى تعقدها معهم دولة الاسلام وعدم تطبيق نصوصها التى تتضمن الزاما بأداء الجزية لبيت المال ٠

ـ تقليل أهل الكتاب القائمين على أرض الخراج من قيمته التى هى من حق بيت المال ٠

وقد يتخذ الظلم من جانب بيت المال فى علاقته بالمولين الأوضاع التالية :

ـ المغالاة فى تقدير قيمة ما يستحق على المسلمين من زكاة ٠

ـ اخذ زكاة الأنعام من أجودها لا من أواسطها ٠

ـ تحديد وعاء زكاة الزروع دون أن يترك المصدق الثلث أو الربع كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

ـ تعذيب أهل الكتاب عند استئداء الجزية منهم ٠

ـ المغالاة فى قيمة الجزية المفروضة ٠٠

ـ اخذ الجزية من أهل الكتاب بالرغم من اسلامهم ، وقد قرر الرسول صلى الله عليه وسلم أنه ليس على مسلم جزية ٠

ــ المغالاة فى تحديد خراج على الأرض فلا تطيقه ·

ــ اتباع نظام التقبل فى تحصيل بيت المال لمستحقاته على قرية عن القرى ، فيدفع أحد الاشخاص الأموال العامة المستحقة على القرية لبيت المال دفعة واحدة ، ثم يقوم بتحصيلها لحسابه فيأخذ أكثر من المستحق عليهم لبيت المال فتزيد أعباؤهم وتزداد متحصلاته بظلم الممولين ·

فالمالية العامة فى عهد الخليفة الأول ستكون مبرأة من الظلم متسمة بالعدالة شأنها شأن باقى الأمور العامة والخاصة ، والعدالة يعتبرها علماء المالية العامة المحدثون أحد المؤشرات الهامة لجودة الفرائض والضرائب العامة ·

السياسة المالية للصديق ستخضع لرقابة الأمة :

قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه موجها الخطاب للأمة الاسلامية ·

« قد وليت عليكم ولست بخيركم فان أحسنت فأعينونى وان اسأت فقومونى »

وقال :

« أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم »

وبذلك يرسى الخليفة مبدأ هاما من مبادىء الرقابة ، وهى الرقابة السياسية ومنها الرقابة على الأموال العامة وهو مبدأ لم يعتبر من حقوق الشعوب الا بعد عهد الخليفة بمئات السنين ، ويتم مزاولة هذا المبدأ حديثا عن طريق المجالس النيابية المنتخبة من أفراد الشعب ولها حق الرقابة على الأموال العامة بكافة الطرق ، وتقرر الدساتير العامة هذا الحق ، فتقوم المجالس النيابية فى اتخاذ الاجراءات الرقابية التالية :

- مناقشة الموازنات العامة التى تتضمن نفقات الدولة وايراداتها عن سنة مالية مقبلة واعتمادها قبل العمل بها .

- مناقشة الحسابات الختامية لهذه الموازنات العامة التى تعبر عن الصورة التنفيذية لما تم انفاقه من نفقات عامة فعلية ، ولما تم تحصيله من ايرادات عامة فعلية خلال السنة المالية .

- تقديم الأسئلة والاستجوابات لأعضاء السلطة التنفيذية بشأن أى تصرف غير سليم من تصرفات المال العام .

وفى سبيل ذلك للمجالس النيابية الحق فى طلب أية بيانات أو تقارير والاطلاع عليها .

وفى بعض البلاد يكون بجانب المجالس النيابية المركزية مجالس نيابية محلية تناقش وتزاول رقابة المال العام فى دائرة الوحدة المحلية المختصة بها .

وقد سبق أن أوردنا دور صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النشاط الرقابى العام لسياسات الدولة ومنها سياسة المالية العامة ونوهنا عن بعض مناقب هؤلاء الصحابة التى تجعلهم جديرين بتقديم المشورة فى أمور الدولة .

السياسة المالية للصديق ستتسم بالتثبيت وليس التحديث :

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون ، فان يك فى أمتى أحد فانه عمر »(٢١) .

ولقد كان صفة المحدث - أى الملهم كأنه حدث من الملأ الأعلى بما يجرى على لسانه وبما يجريه من أعمال - أثرها على عهد عمر ،

---

(٢١) صحيح البخارى جزء ٦ - مرجع سابق - ص ٩٩ ، ١٠٠ .

فقام بأعمال في أمور الأمة نبعت من هذا الوصف الذي خلعه عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن هذه الامور مسائل المال العام وسياسة المالية العامة . فقد طورها وعدلها وجدد فيها كما يتضح مما يلي :

الايرادات العامة :

ـ أصدر العديد من الفتاوى في فريضة الزكاة ·

ـ فرض الخراج على أرض الفتوح ولم يقسمها بين الفاتحين واستند في ذلك لآيات من سورة الحشر ·

ـ نظم أسعار الجزية على أهل الكتاب وجعلها تصــاعدية لتتناسب مع القدرة التكليفية للخاضعين لها ·

ـ أنف بنو تغلب من دفع الجزية وكانوا أهل حروب ، فطلبوا منه رفعها ودفع الزكاة ، والا تركوا الجزيرة العــربية وحاربوا المسلمين مع الاعداء ، فضاعف الجزية عليهم وقبلوا ، وبذلك منعهم من قتال المسلمين مع الأعداء ·

ـ أضاف للايرادات العامة ايرادا جديدا وهو عشور التجارة على السلع الواردة مع تجار أهل الحرب عند دخولهم بلاد الدولة الاسلامية وذلك تطبيقا لمبدأ المعاملة بالمثل فقد كانت هذه الضريبة تفرض على التجار المسلمين اذا دخلوا بلاد الحرب ·

النفقـــات العـــامة :

ـ أوقف عمر في عهده الانفاق من الزكاة على سهم المؤلفة قلوبهم فقد رأى زوال الحكمة من التأليف بعــد أن قويت الدولة الاسلامية في عهده ·

ـ أنشأ مدنا جديدة ·

ـ أنشأ خليجا بين مصر والجزيرة العربية لسهولة نقل السلع والتجارات ·

ـ طور نظام العطاء وميز فيه السابقين الأولين فى الاسلام عن غيرهم من المسلمين ٠

ادارة المالية العامة :

ـ انشأ ديوانين للعطاء والخراج ، الاول ينظم النفقات العامة للدولة الاسلامية والثانى ينظم تحصيل الايرادات العامة ٠

ـ أنشأ التقويم الهجـــرى واتخذ أســـاسا لتقويم الدولة الاسلامية(٢٢) ٠

واذا كانت المالية العامة الاسلامية فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه انعكست عليها صفة المحدث التى اتصف بها عمر ، فان المالية العامة الاسلامية فى عهد الخليفة الأول أبى بكر الصديق رضى الله قد انعكست عليها صفة التثبيت ، فقد ثبت الخليفة الأول أحد أركانها بعد أن كاد يهوى وهو الزكاة بعد أن أرتد بعض المسلمين عن دفعها ، كما سنرى فيما بعد ٠

فيض السياسة المالية للصديق سيكون محدودا :

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ـ أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« رأيت فى المنام أنى أنزع بدلو بكرة(٢٣) على قليب(٢٤) ، فجاء أبو بكر فنزع(٢٥) ذنوبا(٢٦) أو ذنوبين نزعا ضعيفا ، والله يغفر

---

(٢٢) يرجع فى التفاصيل الى الأبواب المختصـــة فى كتابنا « السياســـة المالية لعمر بن الخطاب » طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٢٣) لفظ (بكرة) بفتح الكاف على المشهور معناه : الخشبة المستديرة التى يعلق فيها الدلو ٠ ويروى باسكان الكاف على أن المراد نسبة الدلو الى الانثى من الابل وهى الشابة .

(٢٤) القليب : البئر لم تطو .

(٢٥) نزع : أى أخذ من البئر .

(٢٦) الذنوب : الدلو الممتلئة .

له ، ثم جاء عمر بن الخطاب فاستحالت غربا(٢٧) ، فلم أر عبقريا يفرى فريه حتى روى الناس وضربوا بعطن »(٢٨) ٠

وقد تحققت رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسنرى وانه وان تكن حصيلة المال العام زادت نسبيا فى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه مما مكنه من توزيع عطاء محدود بالتسساوى على المسلمين ، فانه فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه زادت حصيلة الأموال العامة زيادة كبيرة مكنته من توزيع عطاء كبير من بيت مال المسلمين زاد زيادة كبيرة عن عطاء أبى بكر ، وزادت قيمة العطاء تبعا للأسبقية فى الاسلام ، وكان من أثر كثرة الأموال أن بكى عمر ، فلما سألوه لماذا تبكى وقد زادت الأموال العامة زيادة كبيرة ؟

قال : « ما أعطى الله قوما هذا الاتحاسدوا وتباغضسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا الا جعل بأسهم بينهم شديد »(٢٩) ٠

ولم يكن عدم غزارة حصيلة المال العام فى عهد أبى بكر عن ضعف فى الأداء وانما كان بسبب قصر مدة خلافته فقد توفى مساء ليلة الثلاثاء لثمانى ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشر من الهجرة وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال وفى قول آخر أن خلافته كانت سنتين وأربعة أشهر الا أربع ليال(٣٠) ٠

بينما كانت خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه عشر سنين وستة أشهر وأربع ليال(٣١) استطاع خلالها مد حدود الدولة الاسلامية بمعاركه تحقق فيها نصر الله للمسلمين وغنموا غنائم كثيرة آل لبيت المال خمسها ووزعت الأربعة أخماس الباقية على الفاتحين

---

(٢٧) عظيما أى صارت دلوا عظيما ٠

(٢٨) الحديث ورد فى البخارى جزء ٦ مرجع سابق ص ٩٥ ، ٩٦ ٠

(٢٩) انظر كتابنا « السياسة المالية لعمر بن الخطاب » ص ٤٤ ٠

(٣٠) الطبرى — جزء ٣ — مرجع سابق ص ٤٢٠ ٠

(٣١) انظر كتابنا عن السياسة المالية لعمر بن الخطاب ص ٢٣٥ ٠

ماعدا غنائم الأرض فلم توزع فآلت للدولة بعد أن فرض عليها خراج ساهم فى تنمية موارد الدولة كما أن أهل البلاد المفتوحة دخلوا فى دين الله أفواجا ، فأدوا للدولة الاسلامية زكاة أموالهم ، ومن آثر البقاء على دينه من أهل الكتاب أدى لبيت المال الجزية ، فساهمت هذه الموارد فى زيادة الأموال فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه وبذلك تحققت نبوءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ·

وفيما يلى نناقش الايرادات العامة للدولة فى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه بادئين بالزكاة ·

الباب الثالث

ثبت الصديق الزكادة بالجهاد وأدارهـا بسـنة الرسـول

تثبيت الصديق الزكاة وايراداتها بالجهاد

انواع الايرادات العامة للدولة في عهد الصديق :

تظهر الايرادات العامة المقدرة لأى دولة عن سنة مالية فى احد جانبى موازنتها العامة ، ذلك أن الموازنة العامة للدولة هى بيان معتمد بتقديرات ايراداتها العامة ونفقاتها العامة عن سنة مالية ، ولم تكن تعد موازنات عامة للمالية العامة للدول وقت خلافة أبى بكر ، اذ لم يعرف نظام الموازنات العامة الا بعد ذلك بمئات السنين ، ازاء ذلك يتعذر التوصل لبيان بالارقام لمبالغ انواع الايرادات العامة فى عهد الصديق رضى الله عنه ·

وكانت أنواع الايرادات العامة فى عهده هى :

زكاة الأموال

خمس الغنـــائم

جـــزية أهل الكتاب

خـــــراج الأرض

ونناقش فيمايلى الايرادات العامة من الزكاة :

الزكاة ملزمة للمسلمين :

الزكاة فريضة الزامية لا خيار للانســـــان المسلم فى تركها وتستحق عليه اذا استوفيت الشروط اللازمة لادائها ، وسند الزامها أن الله جل وعلا فرضها بآيات كثيرة ساندتها أحاديث كثيرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ·

فمن الآيات القرآنية مايلى :

« وأقيموا الصـــلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين » (البقرة / ٤٢)

« وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله ان الله بما تعملون بصير » (البقرة / ١١٠)

« ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » (البقرة / ١٧٧) ·

« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجـــرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (البقرة / ٢٧٧)

وقد يشار الى الزكاة بلفظ الصدقة كما فى الآية التالية :

« انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » (التوبة / ٦٠)

ومن أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ما يلى :

ـ عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« بني الاسلام على خمس .. شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة والحج وصوم رمضان » .

ـ وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذ الى اليمن ليدعوهم الى الاسلام قال :

« أدعهم الى شهادة أن لا اله الا الله وأنى رسول الله ، فان هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة ، فان هم أطاعوا لذلك فاعلمهم أن الله قد افترض عليهم صدقة فى أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم » .

ـ والزكاة حق الفقراء كما يتضح من الحديث التالى لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ويل للأغنياء من الفقراء يوم القيامة يقولون : ربنا ظلمونا حقوقنا التى فرضت لنا عليهم : فيقول الله عز وجل « وعزتى وجلالى لأدنينكم ولأ بعدنهم » .

ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية :

« والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » (المعارج ٢٤ ، ٢٥)

ارتداد عن اداء الزكاة بالرغم من الزامها :

بالرغم من الآيات القرآنية التى نزلت بالالزام باداء الزكاة وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم التى توجبها فانه بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدة أيام تجمعت قبائل من العرب قريبا من المدينة وبعثوا ممثلين عنهم للمدينة ونزلوا على وجهائها ضيوفا ماعدا العباس عم النبى صلى الله عليه وسلم فقد أبى أن يضيف أحدا لأنه علم أنهم يريدون مقابلة الخليفة ليطلبوا اعفاءهم من دفع الزكاة ، وذهب بهم أهل المدينة لأبى بكر الصديق وأعلنوا أنهم يقرون بالصلاة ويمنعون الزكاة . فرفض أبو بكر وقال « لو

منعونى عقالا لجاهدتهم عليه »(١) وبذلك صمم أبو بكر الصديق على استئداء بيت المال لكل حقوقه التي كان يحصل عليها أيام الرسول صلى الله عليه وسلم من حصيلة الزكاة ولو كان قدرا يسيرا لأن العقال هو الحبل الذى يعقل به البعير الذى كان يؤخذ فى الصدقة فى بعض الأقوال وأقوال أخرى ترى أن العقال هو صدقة العام(٢) ·

تصميم الصديق على استئداء الزكاة ورفضه لرأى عمر :

صمم أبو بكر على مجاهدة الممتنعين عن أداء الزكاة ، فاقبل عمر بن الخطاب عليه ·

فقال : اذا منعك العرب الزكاة فاصبر عليهم ·

فغضب أبو بكر غضبا شديدا وقال : والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه ، والله لأقاتلن من فرق بين الزكاة والصلاة ·

قال عمر : مع من تقاتلهم

قال ابو بكر : والذى نفسى بيده لو لم يبق فى القرى غيرى لقاتلتهم بمفردى ··

قال عمر : ياخليفة رسول الله تألف الناس وترفق بهم ، فانهم اليوم بمنزلة الوحى ·

فقال الصديق محتدا لعمر : رجوت نصرتك وجئتنى بخذلانك ، أجبار فى الجاهلية خوار فى الاسلام بماذا أتألفهم ؟ بشعر مفتعل أو بسحر مفترى ؟ هيهات هيهات ، مضى النبى صلى الله عليه وسلم وانقطع الوحى ، والله لأجاهدنهم ما استمسك السيف فى يدى ·

قال عمر : علام تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن

(١ ، ٢) الطبرى – جزء ٢ – طبعة ثانية ص ٢٤٤ ·

محمدا رسول الله ! فان قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها ·

قال أبو بكر ! ان الزكاة حق المال والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ·

قال عمر وهو يتذكر فيما بعد ما كان من هذا الامر : فما هو الا ان رأيت الله شرح صدر أبى بكر للقتال فعرفت أنه الحق ·

مشاورات ومناقشات أخرى وتصميم من أبى بكر على الزكاة :

قال نفر من الصحابة لأبى بكر : ياخليفة رسول الله . ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقاتل العرب بالوحى والملائكة يمده الله بهم ، واليوم قد انقطع كل ذلك فالزم بيتك ومسجدك فانه لا طاقة لك بالعرب ··

فقال أبو بكر : أو كلكم رأيه هذا ؟

قالوا : نعم ··

فقال أبو بكر · والله لأن أخر من السماء فتخطفنى الطير أحب الى من أن يكون هذا رأيى ، قد انقطع الوحى ، وتم الدين ، أينقص وأنا حى ؟

خطاب للصديق باعلان الحرب على مانعى الزكاة المرتدين :

صعد أبو بكر المنبر فحمد الله وأثنى عليه وكبر ، وصلى على النبى وقال موجها كلامه للناس :

« أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت

أيها الناس ، الآن كثر اعداؤكم وقل عددكم ، والله ليظهرن هذا الدين على الاديان كلها ولو كره المشركون قوله الحق ووعده الصدق ·

(بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون) (الأنبياء / ١٨) ٠

و « كم من فئـة قليلة غلبت فئـة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) (البقرة من ٢٤٩)

أيها الناس ، لو أفردت من جمعكم لجاهدتهم فى الله حق جهاده حتى أبلغ من نفسى عذرا أو أقتل مقتلا ٠٠

أيها الناس ان من حولكم من العرب منعوا شاتهم وبعيرهم ، ولم يكونوا فى دينهم ـ وان رجعوا اليه ـ أزهد منهم يومهم هذا ، ولم تكونوا فى دينكم أقوى منكم يومكم هذا على ما تقدم من بركة نبيكم صلى الله عليه وسلم ٠ وقد وكلكم الى المولى الكافى الذى وجده ضالا فهداه وعائلا فأغناه ٠

« وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها » (آل عمران من / ١٠٣) ٠

والله لا أدع أن أقاتل على أمر الله حتى ينجز الله وعده ويوفى لنا عهده ، ويقتل من يقتل منا شهيدا من أهل الجنة ، ويبقى من بقى منا خليفته وذريته فى أرضه ٠

« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض » (النور / من ٥٥)

و « يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه » (المائدة / من ٥٤)

فتأثر الصحابة المعارضون وانصاعوا لرأى الخليفة راشدين ٠

تصميم الخليفة أنقذ الدولة من فتنة هوجاء :

أصر الخليفة وصمم على مجاهدة الممتنعين عن أداء الزكاة فوفى بما وعد فى خطابه الأول بطاعة الله ورسوله ووقى باضـراره الاسلام والمسلمين من صدع كان سيحدث شروخا فى عقيدة الاسلام وكان سيخل بتوازنات فى المجتمع يحققها أداء الزكاة ٠

فعدم أداء الزكاة يهدم أحد الأركان الخمس التى يقوم عليها الاسلام ويؤدى الى عصيان الله بعدم طاعته فيما أمر به من اداء الزكاة ومخالفة رسول الله فيما سنه من تطبيقات لأنواع الزكاة ، ويعرض المخالفين لعقاب الله وسـخطه فى الدنيا والآخرة ، ولو استجاب لهم الخليفة الأول لتحمل أمام الله عاقبة اقرارهم لما طلبوا ٠

وعدم اداء الزكاة يضيع حقا قرره الله سبحانه وتعالى للفقراء والمساكين فى أموال الأغنياء ويضيع فرصا كانت ستتاح للعبيد والاماء ليتمتعوا بالحرية كسائر المسلمين باعتبارهم من مصارف الزكاة وهو مصرف « وفى الرقاب » والامتناع عن أداء الزكاة كان أيضا يهدر مجالات لامكانية اصلاح حال الغارمين الذين ركبهم الدين فى عمل مشروع وعجزوا عن الوفاء وقد ذكرهم الله جل وعلا ممن نؤدى لهم الزكاة ٠

واذا كانت الزكاة تحقق التكافل الاجتماعى فى المجتمع بين الأغنياء والفقراء ، الأولون بما أعطوا والآخرون بما أخذوا وتمنع الحسد والبغضاء بينهم ، وتدعم المجتمع الاسلامى بما يتدفق منها على المؤلفة قلوبهم فيألفون الاسلام والمسلمين ويمنعون عنهم حقدهم وشرورهم ، وتعين المسلم الغريب المنقطع عن أهله وماله حتى يصل الى بلده ، فان الامتناع عن الزكاة يخل بتوازن المجتمع لانعـدام التكافل الاجتماعى ولانحسار تآلف القلوب ولانقطاع حبال التعاون بين الأفراد ٠

ثم ان بيت المال كانت ستقل موارده بسبب انقطاع حصيلة الزكاة من الممتنعين عن الأداء وكان من الممكن أن يقتدى المستجيبون للأداء بالممتنعين لو أقر الخليفة الأول امتناعهم ٠ فاصرار الخليفة الأول على جهاد الممتنعين عن أدائها وقى الاسلام والمسلمين فتنة هوجاء كانت ستموج موج البحر :

معـــارك تثبيت الزكاة :

عرف رسل مانعى الزكاة أن جند المسلمين بالمدينة قليل ، فقد أمر الخليفة جيش أسامه بن زيد الذى أعده رسول الله صلى الله

عليه وسلم بتنفيذ أوامر الرسول قبل موته فغادر المدينة ، فلما عاد الرسل لقبائلهم زينوا لهم مهاجمة المدينة لاجبار أبى بكر على الموافقة على امتناعهم عن أداء الزكاة وعدم مطالبتهم بها ..

وبفراسة المؤمن أحس الخليفة فى وجوه رسلهم الغدر فاحتاط لهم فجعل على حدود المدينة حراسا من الصحابة لحراستها وهم على بن أبى طالب والزبير بن العوام وطلحة بن عبد الله وعبد الله ابن مسعود .

وعبأ أهل المدينة حتى لا يؤخذون على غرة فأمرهم بحضور المسجد ، فلما حضروا وقال لهم :

« ان الأرض كافرة(٣) وقد رأى وفـــدهم منكم قلة ، وانكم لا تدرون أليلا تؤتون أم نهارا ! وادناهم منكم على بريد ، وقد كان القوم يأملون أن نقبل منهم ونوادعهم وقد أبينا عليهم ، ونبذنا عليهم عهدهم فاستعدوا وأعدوا » ..

بعد ثلاثة أيام أغار المرتدون على المدينة ليلا فتصدى لهم من كانوا على حدودها وأخبروا أبابكر بزحفهم فأرسل اليهم أن الزموا أمكانكم ففعلوا ، وخرج الى المغيرين فانهزم العدو وفشلت غارتهم فأتبعهم المسلمون على ابلهم وردوهم عن المدينة .

غيرأن جموع مانعى الزكاة تمكنوا بحيلة صـــنعوها لابل المسلمين من حملها بمن عليها على العودة الى المدينة فقد كانت الابل التى يحارب عليها المسلمون ليست ابل حرب ولا خبرة لها بمكايد الحرب وحيلها ، فجاءوا بجلود رقيقة ونفخوها وأحكموا اغلاقها فأصبحت كرات كبيرة ، ثم قذفوا بها ابل المسلمين فاضطربت وفرت مذعورة للمدينة ..

ظن مانعوا الزكاة بالمسلمين الوهن وبعثوا الى أهل ذى القصة يخبرونهم بذلك فقدموا عليهم وانضموا لهم .

---

(٣) كافرة اى مظلمـة .

غير أن أبا بكر لم ينم ليلته وصـــار يتهيأ لاعادة الكرة على الأعداء وعبأ الناس ثم خرج اليهم ليلا ، فما طلع الفجر الا وهم والعدو فى صعيد واحد وكان العدو فى سبات عميق فلم يســـمع للمسلمين همسا ولا حسا فوضع المسلمون فى الأعداء الســـيوف وأمعنوا فيهم القتل ، فما طلعت الشمس حتى ولوا الادبار وتبعهم أبو بكر حتى نزل بذى القصــــة وهم يفــرون أمامه • وكان أول الفتح (٤) •

القبائل الممتنعة تؤدى الزكاة طائعة للخليفة الأول :

ازداد المسلمون فى المدينة بالانتصار عزا وثباتا على دينهم واقبل كثير من وفود القبائل تؤدى زكاتها الى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم معلنين التزامهم باقامة الصلاة وايتاء الزكاة ، ومن هذه الوفود وفود صفوان والزبرقان وعدى •

وتجلى للمسلمين منزلة أبى بكر وحسن اختيارهم له وفى ذلك قال عبد الله بن مسعود :

« لقد قمنا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما كدنا نهلك فيه لولا أن الله من علينا بأبى بكر ، أجمعنا ألا نقاتل على ابنة مخاض وابنة لبون ونعبد الله حتى يأتينا اليقين فعزم الله لأبى بكر على قتالهم فوالله ما رضى منهم الا بالخطـــة المخـــزية أو الحـــرب المجلية »(٥) •

الخليفة الأول خير قدوة لتعقب المتهربين حاليا من الضرائب :

واذا كان بعض المولين حديثا يتهربون من اداء الضـــرائب التى فرضتها الدولة عليهم بطرق عديدة كالتحايل والتدليس والغش واخفاء أنشطتهم الخاضعة للضرائب كليا أو جزئيا وعدم اثبات

---

(٤) مقتبسة من الطبرى جزء ٣ مرجع سابق ص ٢٤٤ — ٢٤٦ •

(٥) الخلفاء الراشدون — تأليف د/ عبد المقصود نصار وأخرى ص ٢٣ نقلا من ابن الأثير الكامل جـ ٢ ص ٢٤٣

كافة الحقائق في دفاترهم التي تصور انشطتهم ، فمن الواجب على الدولة أن تتعقبهم بكافة الطرق لكشف طرق تهربهم حتى يؤدوا ما عليهم من التزامات مالية للوطن طائعين ٠

ومن بيدهم أمر الدولة لهم في الخليفة الأول أبي بكر الصديق قدوة حسنة حينما حارب الممتنعين عن أداء الزكاة وهزمهم وأدوها راغمين ، بل لقد تقدم بنفسه الصفوف وصمم على القيادة بالرغم من خشية الصحابة عليه ٠

فقد قالوا له : ننشدك الله يا خليفة رسول الله أن تعرض نفسك، فانك ان تصب لم يكن للناس نظام ومقامك أشد على العدو فابعث رجلا فان أصيب أمرت آخر ٠

فقال : لا والله لا أفعل ولا أواسينكم بنفسي(٦) ٠

جهـــاد باقي المرتدين :

انتصار الخليفة في معركته الأولى مع الممتنعين عن أداء الزكاة وأرادوا غزو المدينة ، أوضح جليا أن الجهاد هو الحل للمشـــاكل العامة التي أحاطت بالدولة بسبب الردة ، فاستمر الخليفة يدبر بنفسه عملية الجهاد تخطيطا وتعبئة وتنظيما ورقابة ليقضي على الردة في انحاء الجزيرة العربية ويستأصلها من جذورها وذلك على النحو التالي :

تخطيط الصديق للجهاد :

ففي تخطيطه لجهاد المرتدين أعد البعوث وعقد أحد عشر لواء على النحو التالي :

عقد لخالد بن الوليد وأمره بطليحة بن خويلد فاذا فرغ سار الى مالك ابن نويرة بالبطاح ٠

---

(٦) الطبري ــ مرجع سابق ــ ص ٢٤٧ ٠

وعقد لعكرمة ابن أبي جهل وأمره بمسيلمة .

وعقد للمهاجر ابن أمية وأمره بجنود العنسى

وعقد لخالد بن سـعيد بن العاص وبعثه الى الحمقتين من مشارف الشام .

وعقد لعمرو بن العاص وبعثه الى جماعة قضاعة ووديعة والحارث .

وعقد لحذيفة بن محصن الغلفانى وبعثه الى أهل دبا .

وعقد لعرفجة بن هرثمة وأمره بمهرة .

وبعث شرحبيل بن حسنة فى أثر عكرمة بن أبى جهل وقال له « اذا افرغت من اليمامة فالحق بقضاعة وأنت على خيلك تقاتل أهل الردة » ..

وعقد لطريفة بن حاجز وأمره ببنى سليم ومن معهم من هوزان

وعقد لسويد بن مقرن وأمره بتهامة اليمن .

وعقد للعلاء بن الحضرمى وأمره بالبحرين .

فكانت خطة شاملة تهدف الى اسـتئصال الردة من المجتمع الاسلامى ، وقد قامت الخطة على تحديد مناطق المرتدين وارسال مجاهدين لكل منطقة تحت أمره قيادة قادرة على سحق المرتدين اذا لم يستجيبوا الى الرجوع لدين الله طائعين بعد ان يتلو القائد كتابا أعده أبو بكر الصديق رضى الله عنه وزود به القواد ليتلوه كل منهم على المرتدين فى منطقته التى وجه اليها يدعوهم فيه الى العودة لدين الله والا قاتلهم القائد وجنوده وأحرقهم بالنار وسـبى النسـاء والعذراى(٧) .

---

(٧) المرجع السابق ص ١٤٩ ـــ ٢٥١ .

تنظيم الصـــديق للجهـــاد :

وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يحسن اختيار القيادات على النحو الذى رأينا باعتبار أن القائد الكفء أحد عناصر النصر ، فكان قواد المجاهدين فى عصره من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاهدون فى سبيل الله حق جهاده وينضم اليهم الجنود المجاهدون ومنهم من غزا مع الرسول فى غزواته وسراياه فتدربوا تدريبا وافيا على الجهاد والصبر حتى يجىء نصر الله والفتح ويدخل الناس فى دين الله أفواجا ٠

وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يزودهم بتعليماته على النحو الذى أوضحناه فى الفقرة السابقة ، وبعد ذلك يفوض القواد فى ادارة المعارك وعقد الصلح اذا أراد الأعداء عدم القتال ودفع الجزية ان كانوا من أهل الكتاب وجمع الغنائم وارسال الخمس الى بيت مال المسلمين وتوزيع الأربعة أخماس بين المجاهدين على نسق سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أسس التوزيع ٠

ونوضح فيما يلى نص عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه لكل أمير من الأمراء الاحد عشـر الذين اختارهم لقيادة الحملات الموجهة لمحاربة أهل الردة :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا عهد من أبى بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم لفلان حين بعثه فيمن بعثه لقتال من رجع عن الاسلام ، وعهد اليه أن يتقى الله ما استطاع فى أمره كله سره وعلانيته ، وأمره بالجد فى أمر الله ومجاهدة من تولى عنه ، ورجع عن الاسلام الى أمانى الشيطان بعد أن يعذر اليهم فيدعوهم بداعية الاسلام ، فان أجابوه أمسك عنهم ، وان لم يجيبوه شن غارته عليهم حتى يقروا له ، ثم ينبئهم بالذى عليهم والذى لهم ،فيأخذ ماعليهم ويعطيهم الذى لهم ، لا ينظرهم ولا يرد المسلمين عن قتال عدوهم ، فمن أجاب الى أمر الله عز وجل وأقر له قبل ذلك منه وأعانه عليه بالمعروف ، وانما

يقاتل من كفر بالله على الاقرار بما جاء من عند الله ، فاذا اجاب الدعوة لم يكن عليه سبيل وكان الله حسيبه بعد فيما استسر به ، ومن لا يجب داعية الله قتل وقوتل حيث كان وحيث بلغ مراغمه ، لا يقبل من أحد شيئا أعطاه الا الاسلام ، فمن أجابه وأقر قبل منه وعلمه ، ومن أبى قاتله ، فان أظهـــره الله عليه قتل فيهم كل قتله بالسلاح والنار ، ثم قسم ما أفاء الله عليه ، الا الخمس فانه يبلغناه ، وأن يمنع أصحابه العجلة والفساد ، وألا يدخل فيهم حشوا حتى يعرفهم ويعلم ما هم ، لا يكونوا عيونا ، ولئلا يؤتى المسلمون من قبلهم ، وأن يقتصد بالمسلمين ويرفق بهم فى السير والمنزل ويتفقدهم ، ولا يعجل بعضهم عن بعض ، ويستوصى بالمسلمين فى حسن الصحبة ولين القول(٨) ٠

متابعة الصديق المعارك ورقابة نتائجها :

وكان الصديق يتابع المعارك وتأتيه نتائجها وترسل اليه خمس الغنائم ، ويسائل القواد اذا بلغه عنهم مالا يرضى ٠

فمن ذلك أنه بلغه أن خالد بن الوليد اثناء حربه المرتدين قتل مالك بن نويرة مع أنه فى رأى البعض كان قد أسلم ثم تزوج امرأته ، وكانت العرب تكره زواج النساء فى الحرب ، فلما علم بذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه أخبر الصديق رضى الله عنه بذلك وطلب منه أن يقيد خالد بن الوليد ٠

فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : هيه ياعمر تأول فأخطأ فارفع لسانك عن خالد ودفع الصديق دية مالك بن نويره ٠

وكتب الى خالد أن يقدم عليه ففعل وأخبره خبره فعذره وقبل منه وعنفه فى التزويج الذى كانت تعيب عليه العرب ٠

وكان عذر خالد أن مالك بن نويره كان بين الأسرى وفى ليلة ازداد بردها طلب من معاونيه تدفئة الأسرى فقتلوهم ومنهم مالك

---

(٨) الطبرى — مرجع سابق — ص ٢٥١ ، ٢٥٢ ٠

ظنا منهم أن خالد أراد بذلك قتلهم ، وكانت فى لغة كنانة اذا قالوا : دثروا الرجل فأدفئوه أى اقتلوه(٩) ٠

ـ وبعد انتصار خالد على مسيلمة الكذاب فى حرب الردة تزوج ابنة مجاعة بن مرارة بعد الصلح مع من بقى فى اليمامة ، فبلغ ذلك أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، فكتب اليه كتابا يقطر بالدم جاء فيه :

« لعمرى يابن أم خالد ، انك لفارغ تنكح النساء وبفناء بيتك دم ألف ومائتى رجل من المسلمين لم يجفف بعد »

فلما نظر خالد فى الكتاب جعل يقول :

هذا عمل الأعيسر ـ يعنى عمربن الخطاب ـ (١٠)

حــــروب الردة :

ونوضح فيما يلى ملخصا للحروب التى وقعت فى عهد الصديق مع المرتدين باعتبارها لها علاقة بالمال العام وأحد مصادر موارده من الزكاة ومن خمس الغنائم اذا تحقق النصر وجمعت الغنائم :

قتل الأسود العنسى مدعى النبوة :

كان الأسود العنسى كاهنا يقيم بجنوب اليمن ويصطنع فنونا من الحيل يستهوى بها وبعباراته الجماهير ، لقب نفسه رحمان اليمن، وكان يزعم ان له شيطانا يظهره على خطط أعدائه ، وقد قيل انه تنبأ وظهر أمره وقتل فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقيل أنه قام بثورته على الاسلام بعد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

فيقول اليعقوبى فى تاريخه « أما الأسود بن عنزه العنسى فقد كان تنبأ على عهد رسول الله ٠ فلما بويع أبو بكر ظهر أمره واتبعه

---

(٩) الطبرى جزء ٢ ـ مرجع سابق ـ ص ٢٨٧ ٠

(١٠) المرجع السابق ص ٣٠٠ ٠

على ذلك قوم ، فقتله قيس بن مكشوح المرادى وفيروز الديلمى ، دخلا عليه منزله وهو سكران فقتلاه .

ويقول الطبرى فى احدى الروايات : « فأول حرب كانت فى الردة بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم كانت حرب العنسى . وكانت حرب العنسى باليمن »(١١) .

هزيمة طلحة الأســدى مدعى النبوة (١٢) :

ـ ادعى طليحة الأسدى النبوة فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرار بن الأزور ليتحد مع من بقى مسلما من بنى أسد ويقضى عليه وكاد يقضى عليه لولا موت رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ عظم أمره بعد وفاته ، فقد انضمت اليه بالبزاخة قبيلة عبس وذبيان بعد أن هزمهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه بذى القصة ، وأنضم اليه ناس من طى وجديلة وكذا عيينه بن حصن الفزارى فى عطفان وبذلك كبر سلطان طليحة وزادت جماعة المرتدين .

أرسل اليه أبو بكر الصديق خالد بن الوليد رضى الله عنهما يقود أربعة آلاف من المجاهدين من المهاجرين والانصار . فرق الله جماعة طليحة ، فقد تمكن عدى بن حاتم الطائى الذى كان فى جيش المسلمين أن يثنى قبيلة طى وجديلة عن متـــابعتهم طليحة الكذاب وانضموا لجيش خالد وقاتل جيش خالد وجيش طليحة قتالا ضاريا فانصرف عنه عيينه بن حصن وجماعته بعدما اكتشفوا كذب طليحة وفر طليحة الى الشام حيث رجع بعد ذلك الى الاسلام وحسن اسلامه، وأسر خالد عيينه بن حصن وأرسله الى أبى بكر الصديق رضى الله عنه فعفا عنه .

وعادت القبائل الى الاسلام وطبق خالد القصاص فعاقب الذين اعتدوا على المسلمين أثناء ردتهم .

---

(١١) الصديق أبو بكر ـ محمد حسين هيكل ص ٧٦ وما بعدها .

(١٢) مقتبسة من الطبرى ـ مرجع سابق ـ ص ٢٥٣ ، ٢٥٧ .

غنيمة شـــرعية من المرتدين :

لما هزم طليحة بن خويلد الاسدى قدم الى أبى بكر وفد من قبيلة أسد وغطفان على ابى بكر يسألونه الصلح ·

فخيرهم أبو بكر بين الحرب المجلية (أى الخروج عن جميع المال) والسلم المخزية (وهى القرار على الذل والصغار)

فقالوا له : هذه الحرب المجلية قد عرفناها ، فما السـلم المخزية ؟

فقال : أن تنزع منكم الحلقة (السلاح) والكراع (الخيل) وتتركوا أقواما يتبعـون أذناب الابل ، حتى يرى الله خليفة نبيه والمهاجرين امرا يعذرونكم به · ونغنم ما أصبنا منكم (أى يصير ما أصبناه منكم غنيمة شرعية) وتردوا الينا ما أصبتم منا (أى يردوا ما نهبوا عن عسكر المسلمين أثناء القتال) ، وتدوا قتلانا (أى تدفعوا دية قتلانا) وتكون قتلاكم فى النار ·

فقام عمر بن الخطاب فقال : انك قد رأيت رأيا وسنشير عليك، أما ما رأيت أن تنزع منهم الحلقة والكراع فنعم ما رأيت ·· وأما ما ذكرت أن يتركوا أقواما يتبعون أذناب الابل حتى يرى الله خليفة نبيه والمهاجرين أمرا يعذروتهم به فنعم مارأيت · وأما ما ذكرت أن نغنم ما أصبنا منهم ويردوا الينا ما أصابوا منا فنعم ما رأيت ، وأما ما رأيت أن يدوا قتلانا وتكون قتلاهم فى النار ، فان قتلانا قتلوا على أمر الله ، أجورهم على الله ليست لهم ديات ·

فتابع القوم عمرا

هزيمة مالك بن نويره المرتد (١٣) :

ـ كان مالك بن نويره فى البطاح قد وادع سجاح بنت الحارث التى ادعت النبوة بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت بالجزيرة فى بنى تغلب فاستجاب لها البعض واقبلوا معها لتغزى

---

(١٣) الأموال لابى عبيد ـ مرجع سابق ـ ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ·

المدينة وفى طريقها راسلت مالك بن نويرة ودعته الى الموادعة فأجابها وثناها عن غزو المدينة وحملها على غزو احياء من بنى تميم ٠

وصل خالد بن الوليد الى البطاح وبث سراياه فجاءته سرية بمالك بن نويره فقتله خالد وتزوج امرأته وقد أوضحنا الشك الذى أحاط باسلامه ومحاسبة ابى بكر الصديق رضى الله عنه لخالد بن الوليد ٠

هزيمة مسيلمة المرتد ومدعى النبوة(١٤) :

ــ ادعى مسيلمة الكذاب النبوة فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد ساعد على انتشار أمر مسيلمة نهار الرجال بن عنفوة وكان قد هاجر الى النبى صلى الله عليه وسلم وقرأ القرآن وفقه فى الدين فبعثه الرسول صلى الله عليه وسلم معلما لأهل اليمامة ويشد من أمر المسلمين ويهاجم ادعاءات مسيلمة ،ولكنه انقلب على عقبيه ، وادعى أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « انه قد أشرك معه » فصدقه الناس واستجابوا لمسيلمة مادام قد أشرك مع رسول الله طبقا لما رواه كذبا الرجال بن عنفوة وزاد أمره وكثر أتبـــاعه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

وجه أبو بكر الصديق رضى الله عنه عكرمة بن أبى جهل فى جيش الى مسيلمة وأردفه بلواء شرحبيل بن حسنة ، الا أن عكرمة أسرع لملاقاة مسيلمة فهزم ، فوجه اليه الصديق رضى الله عنه خالد ابن الوليد فى جيش بلغ ثلاثة عشر ألفا فالتقى بجيش مسيلمة الكذاب الذى بلغ اربعين ألفا فى حرب شرسة واستمر القتال ثم برز خالد أمام صفوف المسلمين ودعاهم للمبارزة ، فكان لايبرز منهم أحد الا قتله ودعا خالد مسيلمة وأرهقه فأدبر وعلاهم المسلمون فكانت هزيمة المرتدين وقتل مسيلمة وفقد المرتدون أكثر من عشرين ألف قتيل وكان قتلى المسلمين ألفا ومائتين ٠

وتتابع الباقون من اتباع مسيلمة على الاسلام والبراءة مما كانوا فيه بعد أن صالح خالد بن الوليد من فى الحصون على الذهب

---

(١٤) مقتبسة من الخلفاء الراشدين ــ تأليف عبد المقصود نصار واخرين ــ ص ٢٩ ٠

والفضة ونصف السبي والحلقة والكراع وحائط من كل قرية ومزرعة على أن يسلموا(١٥) .

ويعتبر النصر على مسيلمة أهم خطوة في القضاء على الردة حيث تم النصر لبقية القواد في الجهات الباقية وهي :

ارتداد البحرين ونصر المسلمين :

ارتد أهل البحرين عن الاسلام ففر عامل الدولة الاسلامية العلاء بن الحضرمي منها ، وفي عودة أبي بكر رده ثانية الى البحرين على رأس لواء من الألوية الاحد عشر لقتال المرتدين فيها فلما بلغ هو وجيشه البحرين وخندق المسلمون وخندق المرتدون ، كانوا يتبادلون القتال ثم يعودون الى خنادقهم ، وفي ذات ليلة وكان جيش المرتدين ممعنين في الشراب ، اقتحم المسلمون عليهم عسكرهم ووضعوا السيوف فيهم ، وفر الذين نجوا الى دارين . وتبعهم المسلمون والتقوا بالفارين . فقاتلوهم أشد القتال وانتصروا عليهم وسبوا العذارى وساقوا الأموال التي بلغت كثرتها حدا جعل سهم الفارس ستة الاف والراجل الفين(١٦) .

ارتداد عمان ونصر جيوش أبي بكر :

كان قائد الردة في عمان ذو التاج لقيط بن مالك الأزدي ، وقد ادعى النبوة فوجه أبو بكر الى عمان حذيفة بن محصن الغلفاني ووجه عرفجة بن هرثمة البارقي الى مهرة وأمرهما أن يسيرا معا وأن يبدءا بعمان وأمر أبو بكر عكرمة بن أبي جهل ليلحق بهما .

التقى جيش المسلمين بجيش المرتدين وكاد الظفر يتوج المرتدين لولا أن أقبل على المسلمين مدد عظيم من قبائل البحرين مما ضاعف قوتهم وانتصر المسلمون(١٧) .

---

(١٥) الطبري – مرجع سابق – ص ٢٩٨ .

(١٦) الصديق أبو بكر – محمد حسين هيكل ص ١٦٢ .

(١٧) المرجع السابق ص ١٦٥ .

ارتداد مهرة وانتصار جيوش الصديق :

ترك عكرمة حذيفة بعمان وسار الى مهرة حيث ارتد الناس وبلغ مهرة ، فلقى جمعين يدعو كل منهما الآخر للاذعان لرئاسته ، وانضم أحد الجمعين الى عكرمة ، وقاتلوا الجمع الآخر قتالا عنيفا وانتصر المسلمون وأسروا وغنموا وكان فيما غنموا ألفا نجيبه وبعث عكرمة الخمس الى أبى بكر(١٨) ٠

تطهير اليمن من الردة :

كانت باليمن حركة للردة فلم ينه موت العنسي هذه الحركة ، وقد شد من أزر الحركة التنازع على السلطان نتيجة للتنافس القديم بين اليمن والحجاز على من تكون له الكلمة العليا ، فسار عكرمة ابن أبى جهل من مهرة الى اليمن وسار المهاجر بن بنى أمية كذلك من المدينة الى اليمن فلما سمع أهل اليمن بمقدم هذين القائدين تخاذلوا ، وقبض المهاجر على قائدين كانا يتنافسان على الحكم وهما قيس بن عبد يغوث وعمرو بن معد بن كرب ، وأرسلهما أسيرين الى أبى بكر ٠

ثم سار المهاجر حتى نزل صنعاء وتعقب العصابات المتمردة وكان عكرمة قد استقر بجنوب اليمن وبذلك عاد الأمن لليمن كلها(١٩) ٠

قتال المرتدين فى كنده وحضرموت :

قبض رسول الله وكان عماله على تلك البلاد ، وكانت كندة لمجاورتها اليمن قد استجابت لدعوة الأسود العنسى ، فلما مات النبى فشت الردة أراد زياد بن لبيد قمعها ونجح فى ذلك ، ولكن أحد زعماء البلاد الأشعث بن أيس قاتل زيادا ، فاستنصر زياد

---

(١٨) المرجع السابق ص ١٦٧ ٠

(١٩) مقتبسة من المرجع السابق ص ١٧٢ ، ١٧٣ ٠

بالمهاجر بن أمية فأتاه من صنعاء ، وسار عكرمة أيضا بجيشه فالتقيا بمأرب ، فاستخلف المهاجر عكرمة على الجيش والتقى بجيش زياد فهاجم الأشعث وهزمه وقتل رجاله ففروا منه والتجأوا الى أحد الحصون ٠

انضم عكرمة بجيشة الى جيش زياد والمهاجر وانتصر جيش المسلمين وأسر الاشعث وأرسل الى أبى بكر فأسلم وعفا عنه ٠

وأقام المهاجر وعكرمة بحضرموت وكنده حتى اطمأنت الأمور واستقر الأمن ،فكان ذلك آخر حروب الردة(٢٠) ٠

النصر في حروب الردة ثبت المالية العامة للدولة :

بانتهاء حروب الردة بنصر المسلمين تم ترابط الدولة الاسلامية بانضواء القبائل المنشقة تحت لوائها ، واستقر الاسلام فى النفوس المرتدة ٠ وثبت ركن الاسلام الذى أصابه الاهتزاز وهو الزكاة ، وبثباته عادت للمالية الاسلامية ثباتها وزال عنها اهتزازها ، فاستقر فى نفوس الملزمين بها أنها فريضة فرضها الله جل وعلا ، ولم تكن تؤدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم بصفته الشخصية ، وأنها مستمرة بعد وفاته وتؤدى طواعيه واذا امتنع بعض المسلمين عن ادائها يكرههم رئيس الدولة الاسلامية على الأداء وأيقن الذين كانوا ممتنعين عن أدائها أنها ليست جزية أو أتاوة تدفع للحكومة بالمدينة، فلترسل الدولة بعد انتصارها على المرتدين مصدقيها لجمع الزكاة كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وليؤديها المسلمون كاملة غير منقوصة كما كانوا يؤدونها للرسول ولا ينقصونها عقالا واحدا كما قال الصديق حينما صمم على قتال المرتدين ٠

أما أعناق أهل الكتاب التي كانت قد اشرأبت بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم لتستطلع تطور الأحوال وتنتهز الفرصة

(٢٠) مقتبسة من المرجع السابق ص ١٧٣ وما بعدها ٠

لتتحلل من الأعباء المالية التي فرضتها عليهم معاهدات الصلح مع الدولة الاســـلامية ، هذه الأعناق عادت الى الاعتدال فعليهم أن يؤدوا ما استحق عليهم من جزية وهم صاغرون ، ولن تبغى عليهم الدولة الاسلامية أو تعذبهم فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وخليفته يطبق القرآن ويتبع السنة فى ادارة الدولة وفى جبايات أموالها ، زكاة من المسلمين وجزية وخراجا من أهل الكتاب ٠

الفصـــل الثانى

مجاهدون جاهدوا لتثبيت الزكاة مع الصـــديق [1]

نماذج من أبطال جاهدوا المرتدين وثبتوا الزكاة :

تحقق نصر الله على مدعي النبوة والمرتدين ، وعلت كلمة الله ، وتماسكت الدولة الاسلامية وتثبتت ماليتها العامة ، وعادت الزكاة المفروضـــة تتدفق ثانية للدولة بتصميم الخليفة الأول على الجهاد وادارته الراشدة لسياسته ، واســـتماتة المجاهدين لتحقيق النصر ، واستشهد بعضهم وعلت كلمة الله .

ونورد فيما يلي نماذج من بعض هؤلاء المجاهدين :

عمار بن ياســـر :

ـ كان اسلام عائلته مبكرا واخذوا نصيبهم الأوفى من عذاب قريش وأهوالها تحت رمضاء مكة الملتهبة وكان نصيب امه سمية فادحا وكان عمار يعذب حتى لا يدرى ما يقول .

---

(1) بيانات الأبطال الذين ورد ذكرهم تباعا مقتبسة من كتاب حول الرسول ـ خالد محمد خالد طبعة دار الريان للتراث .

ـ كان الرسول يخرج الى أسرة ياسر وقال لهم « صبرا آل ياسر فان موعدكم الجنة » ·

ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عمار :

« ان عمارا ملىء ايمانا الى مشــــاشه (أى الى ما تحت عظامه) ·

« من عادى عمارا عاداه الله ، ومن ابغض عمارا أبغضه الله »

« اقتدوا بالذين من بعدى أبى بكر وعمر واهتدوا بهدى عمار » ·

ـ وبعد أن ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى جاهد فى سبيل الله وفى يوم اليمامة قطعت احدى أذنيه بسيوف المرتدين فى حرب اليمامة ، وكان يوم اليمامة من أيام عمار المجيدة ·

يقول عبد الله بن عمر رضى الله عنهما :

« رأيت عمار بن ياسر يوم اليمامة على صخرة وقد أشرف يصيح :

يامعشر المســــلمين ·· أمن الجنة تفرون ··؟ انا عمار بن ياسر ، هلموا الى ···· فنظرت اليه ، فاذا أذنه مقطوعة تتأرجح ، وهو يقاتل أشد القتال » !!

زيد بن الخطاب :

أخو عمر بن الخطاب الأكبر

سبقه الى الاسلام

لم يتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مشهد أو غزاة

يوم اليمامة دفع خالد بن الوليد لواء الجيش اليه

عندما مالت المعركة أول الامر على المسلمين ، علا ربوة هناك وصاح فى اخوانه :

«أيها الناس .. عضوا على أضراسكم واضربوا فى عدوكم .. وامضـــوا قدما .. والله لا أتكلم حتى يهزمهم الله ، أو ألقاه سبحانه فأكلمه بحجتى »

أطاح بسيفه رأس الرجال بن عنفوة وكان الرجال ـ كما سبق أن ذكرنا ـ قد أرسله أبو بكر لأهل اليمامة ليثبتهم على الاسلام ولكنه انقلب على عقبيه ودعم سلطان مسيلمة وادعى أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل موته « انه أشرك مسيلمة بن حبيب فى الأمر » فكان لموته أثر كبير فى تحقيق النصر .

بعدها سقط زيد شهيدا فى معركة اليمامة .

البراء بن مالك :

هو أخو أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه :

« رب أشعث أغبر ذى طمرين ، لا يؤبه له ، لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك .. »

انطلق يوم اليمامة يجندل أتباع مسيلمة الكذاب .

لما سرى فى صفوف المسلمين شىء من الجزع صاح البراء :

« يا أهل المدينة ..

لا مدينة لكم اليوم ..

انما هو الله والجنة »

ولما احتمى المرتدون بحديقة كبيرة دخلوها ولاذوا بها ، اعتلى جدار الحديقة وألقى بنفسه داخل الحديقة واقتحمته جيوش الاسلام. وتلقى جسده بضعا وثمانين ضربة وظل بعد المعركة شهرا كاملا يشرف خالد على تمريضه ..

استشهد فى عصـــر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فى موقعه تستر ..

ثابت بن قيس :

ـ كان ثابت خطيب رسول الله والاسلام

ـ شهد مع رسول الله غزوة (أحد) والمشاهد بعدها .

ـ لما نزلت الآية الكريمة « ان الله لا يحب كل مختال فخور » (لقمان من / ١٨) أغلق عليه بابه وظل يبكى لأنه كان يحب الثياب الجميلة وخشى أن يكون من المختالين ، فلما علم الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك قال له :

« انك لست منهم .. بل تعيش بخير .. وتموت بخير .. وتدخل الجنة »

ـ ولما نزل قول الله تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى .. ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ، أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون) (الحجرات / ٢)

أغلق ثابت عليه داره وطفق يبكى لأنه كان جهير الصوت

فلما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك قال له :

« انك لست منهم .. بل تعيش حميدا .. وتقتل شهيدا .. ويدخلك الله الجنة » .

ـ وفى موقعة اليمامة ، كان يحمل راية الانصار لما رأى هجوم جيش مسيلمة الكذاب الخاطف على المسلمين أول المعركة صاح ثابت بصوته الجهير :

« والله ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم »

ثم تحنط وكبس أكفانه وصاح مرة أخرى

« اللهم انى ابرأ اليك مما جـــاء به هؤلاء .. (يعنى جيش مسيلمة الكذاب)

« واعتذر اليك مما صنع هؤلاء .. (يعنى تراخى المسلمين فى القتال) .

وانضم اليه (سالم) مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يحمل راية المهاجرين .. وحفر الاثنان لنفسيهما حفرة عميقة ثم نزلا فيها قائمين ، ووقفا نصـــــف كل منهما غائص فى الرمال ونصفهما الأعلى يستقبلان جيوش المرتدين ..

وراحا يضربان بسيفيهما كل من يقترب منهما من جيش مسيلمة حتى استشهدا فى مكانهما .

نســــــيبة بنت كعب :

ـ بايعت رسول الله فى بيعة العقبة الثانية .

ـ أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنها حبيب بن زيد الى مسيلمة الكذاب برده على رسالته بأنه أشرك فى الأمر مع رسول الله وأنه له نصف الأرض ، فرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين .

ـ عذب مسيلمة الكذاب الرسول وقطع جســــده قطعة قطعة وعضوا عضوا لما لم يشهد أنه رسول الله .

ـ أطلقت أمه نسيبة بنت كعب يمينا لتثأرن لولدها من مسيلمة الكذاب .

ـ خرجت مع جيش أبى بكر الذاهب لليمامة لملاقاة جيش مسيلمة ..

ـ ألقت بنفسها فى خضم المعركة فى يمناها سيفا وفى يسراها رمح ..

ـ ولما قتل مسيلمة كان جسدها قد ملىء بالجراح وطعنات الرماح ، ووفت بيمينها .

عباد بن بشـــــر :

ـ عندما نزل « مصعب بن عمير » المدينة ليعلم الانصار الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام كان عباد بن بشر رضى الله عنه واحدا من الابرار الذين أنار العلم قلوبهم ٠

ـ بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم كان في الصفوف الأولى مع المجاهدين ٠

ـ قالت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها :

« ثلاثة من الأنصار لم يجاوزهم فى الفضل أحد

« سعد بن معاذ

« واسيد بن حضير

«وعباد بن بشر »

ـ فى حروب الردة وقبل أن تبدأ معركة « اليمامة » بيوم رأى فى منامه أن السماء قد فرجت له ثم أطبقت عليه ، فكان يوم اليمامة يصيح بالأنصار :

« احطموا جفون السيوف وتميزوا من الناس ٠٠ »

فلبى أربعمائة منهم نداءه فقادهم ثم أستشهد وصدقت الرؤيا وتفتحت أبواب السماء لتستقبله ٠

خالد بن الوليد :

ـ كان يفتك بالمسلمين يوم أحد

ـ ثم هداه الله فذهب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليه بالنبوة فرد عليه السلام بوجه طلق فأسلم وشهد شهادة الحق ٠

فقال الرسول : قد كنت أرى لك عقلا رجوت ألا يسلمك الا الى خير ٠٠

وبايع رسول الله وقال : استغفر لى كل ما أوضعت فيه من صد عن سبيل الله .

فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : ان الاسلام يجب ما كان قبله ..

فقال خالد : يا رسول الله على ذلك ؟

فقال الرســـول صلى الله عليه وسلم : اللهم اغفر لخالد بن الوليد كل ما أوضع فيه من صد عن سبيلك .

ـ قاد جيش المســلمين فى غزوة مؤتة بأرض الشــام بعد استشهاد أبطالها الثلاثة زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب وعبد الله ابن رواحة وقد نعاهم الرسول صلى الله عليه واحدا بعد الآخر ، ثم حمل الراية خالد بن الوليد :

قال الرسول صلى الله عليه وسلم :

« ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله ، فتح الله على يديه » .

ـ وفى فتح مكة كان خالد أميرا على الجناح الأيمن من جيش المسلمين ..

ـ وبعد أن لحق الرسول الكريم بالرفيق الأعلى وواجه الخليفة الأول المرتدين كان خالد بن الوليد أحد المختارين لمجموعة ضخمة من المجموعات الاحدى عشر لجيوش المسلمين وقال له الخليفة :

« سمعت رسول الله يقول : نعم عبد الله ، وأخو العشيرة ، خالد ابن الوليد ، سيف من سيوف الله ، سله الله على الكفار والمنافقين »

ـ وفى اليمامة لما لم توفق بعض القوات المسلمة فى الانتصار على جيش مسيلمة الكذاب أمر الخليفة خالد أن يسير اليه ، وسار اليه خالد بالجيش ورجحت كفة الاعداء فى أول الأمر ، فاعتلى بجواده ربوة قريبة وأدرك نقاط الضعف فى جيش الاعداء ، فأعاد تنسيق مواقفه على أرض المعركة ونادى قواته :

« امتازوا ، لنرى اليوم بلاء كل حى »

وامتاز المهاجرون والأنصار جميعا

وتحول اتجاه المعركة وقتل « مسيلمة » وطويت الى الأبد راية الكذاب ٠

ـ وسنرى أن الخليفة وجهه ليمضى بجيشه صوب العراق ثم بعد نصره أمره بالتوجه الى الشام ليقابل جيوش الروم وأبلى أحسن البلاء وقاد جيوش الاسلام الى النصر ٠

ـ وفى اثناء قيادته جيش المسلمين فى معركة اليرموك فوجىء بالبريد القادم من المدينة يحمل كتاب الخليفة الجديد عمر بن الخطاب يبلغ تحية الفاروق للجيش وينعى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضى الله عنه والأمر بتنحية خالد عن القيادة وتولية أبى عبيدة بن الجراح مكانه ، فانتظر خالد حتى تحقق النصر وتقدم خالد من أبى عبيدة وقدم تحية الجندى لقائده ٠٠

ـ لم يكن أمير المؤمنين يأخذ على خالد من سوء ولكن كان يأخذ على سيفه التسرع وبكاه يوم مات بكاء كثيرا ٠

الفصـــل الثالث

ادارة الصديق الزكاة بسنة الرسول

تطبيق الصديق سنة الرسول في مسائل الزكاة :

لم يشغل جهاد الصديق المتنعين عن أداء الزكاة والمرتدين ، عن ادارة أمور الزكاة طبقا لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان يبدى الرأى لعماله فيما يرد اليه من مسائلها مستندا الى السنة ، ويتضح ذلك مما يلى :

تعليمات مكتوبة من الخليفة الأول بشأن زكاة بعض الأموال :

كان الخليفة الأول يكتب كتبا توضح أحكام الصـــدقة لعماله الذين يوجههم لأمور الولايات التابعة للدولة الاسلامية .

فيقول ثمامة بن عبد الله بن أنس ، أن أنسا حدثه ، أن أبا بكر ــ رضى الله عنه ــ كتب له هذا الكتاب لما وجهه الى البحرين :

« بسم الله الرحمن الرحيم

هذه فريضة الصدقة التى فرض رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ على المسلمين ــ والتى أمر الله بها رسوله ، فمن سئلها من المسلمين على وجهها ، فليعطها ، ومن سئل فوقها فلا يعط :

فى أربع وعشرين من الابل فما دونها من الغنم من كل خمس شاة ، اذا بلغت خمسا وعشـــرين الى خمس وثلاثين ففيها بنت مخاض(١) أنثى(٢) ، فاذا بلغت ستا وثلاثين الى خمس وأربعين ففيها بنت لبون(٣) أنثى ، فاذا بلغت ستا وأربعين الى ستين ففيها حقة طروقة الجمل(٤) ، فاذا بلغت واحدة وستين الى خمس وسبعين ففيها جذعة(٥) ، فاذا بلغت يعنى ستا وسبعين الى تسعين ففيها بنتا لبون ، فاذا بلغت احدى وتسعين الى عشـــرين ومائة ففيها حقتان(٦) طروقتا الجمل ، فاذا زادت على عشرين ومائة ففى كل أربعين بنت لبون ، وفى كل خمسين حقة ، ومن لم يكن معه الا أربع من الابل فليس فيها صدقة الا أن يشاء ربها ، فاذا بلغت خمسا من الابل ففيها شاة .

وفى صدقة الغنم فى سائمتها(٧) اذا كانت أربعين الى عشرين ومائة شاة ، فاذا زادت على عشرين ومائة الى مائتين شاتان ، فاذا زادت على مائتين الى ثلاثمائة ففيها ثلاث(٨) ، فاذا زادت على ثلاثمائة ففى كل مائة شاة ، فاذا كانت سائمة الرجل ناقصة من أربعين شاة واحدة فليس فيها صدقة الا أن يشاء ربها .

---

(١) بنت المخاض : هى التى أتمت حولا ودخلت الثانى .

(٢) وصفها بالأنثى للتأكيد .

(٣) بنت لبون : ما أتمت حولين ودخلت الثالث .

(٤) طروقة الجمل : أى استحقت ان يطرقها ويغشاها الفحل .

(٥) الجذعة : بفتح الجيم والذال هى ما أتمت الرابعة .

(٦) الحقــة : بكسر الحــاء هى ما أتمت الثالث .

(٧) الســائمة : الراعية لا المعلوفة .

(٨) أى ثلاث شياه .

وفى الرقة(٩) ربع العشر فان لم تكن الا تسعين ومائة فليس فيها شيء الا ان يشاء ربها(١٠) .

وبدراسة هذا الكتاب يمكن ابداء ما يلى :

ـ كان من الممكن للخليفة الأول رضى الله عنه أن يحيط العاملين باحكام الزكاة شفويا ولكنه آثر ابلاغهم كتابة باحكامها ، حتى يتحقق لمن يجبون الصدقات ومن يؤدونها التيقن من هذه الأحكام ، واليقين أحد السمات الهامة للفرائض المالية ، حتى لا تنشأ خلافات بين بيت المال وممثليه والممولين الذين يؤدون الصدقات .

ـ أوضح الكتاب أن الصدقة على المسلمين ، ومن المعروف أن الزكاة غير مفروضة على غير المسلمين .

ـ فتح الكتاب الباب للتطوع ، فبعد أن حدد النصاب وهو ما دونه عفو ليس عليه زكاة ، ترك لاصحاب الأموال اذا شاءوا أن يؤدوا ما يرون من الصدقات ، فقد يرى البعض أداء صدقات غير مفروضة على سبيل التطوع لوجه الله سبحانه وتعالى استجابة لقوله جل وعلا .

« ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم » (البقرة / من ١٥٨)

ـ لم يشمل الكتاب زكاة البقر وهى من الأنعام الخاضعة للزكاة ، ولم يذكر كذلك فئات زكاة الذهب واقتصر على الفضة ولم يذكر أنواعا أخرى من الزكاة كزكاة الزروع ، وقد يكون ذلك ورد بكتب أخرى للخليفة ، وقد يكون ذلك لوضوح فئاتها ومعرفة العاملين والممولين بها ، وقد يكون هذا الكتاب ردا على استفسار كان قاصرا على الأمور التى وردت به .

---

(٩) الرقة : أى الفضة .

(١٠) صحيح البخارى ـ الجزء الرابع ص ٤٠ ، ص ٤١ ـ اصدار المجلس الأعلى للشئون الاسلامية .

ب - لتبسيط تطبيق ما ورد بكتاب الخليفة الاول يمكن ايضاح النصاب وهو ما دونه عفو والفئات الخاضعة ومقدار الزكاة الواجبة فى جداول فيسهل حساب الزكاة المفروضة(١١) ٠

ترجيح اخضاع مال اليتيم للزكاة فى عهد الصديق :

تجب الزكاة على كل مسلم باعتبارها فريضة مالية وعبادة من العبادات الاسلامية ، ولما كانت الزكاة عبادة مالية ، نشأ فى عهد الصديق رضى الله عنه خلاف فى مدى خضوع مال اليتيم للزكاة ٠

فرأى بعض الصحابة أن الزكاة عبادة من العبادات ، واليتيم هو من مات أبوه وهو طفل لم يبلغ الحلم ، فهو غير مكلف بالعبادات ومنها الزكاة اذا بلغ ماله نصابها ، وهم أولى بالرعاية والمواساة ، خصوصا وأن بعض آيات القرآن الكريم تدعو الى العطف على اليتامى والتحذير من اهانتهم الى الحد الذى جعل دع اليتم (أى دفعه بعنف وجفوة) مظهرا من مظاهر التكذيب بالدين ، فقال تعالى :

« أرأيت الذى يكذب بالدين ، فذلك الذى يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين) (الماعون ١ ، ٢ ، ٣)

كما أن بعض الآيات تعرضت لأموال اليتامى فنهت فى حالة ادارة أموالهم عن الأخذ منها الا بالمعروف اذا كان من يدير فقيرا أما اذا كان غنيا فليستعفف ، وأن من يأكل أموال اليتامى ظلما انما يأكل فى بطنه نارا وسيصلى سعيرا ٠

وكان رأى على بن أبى طالب رضى الله عنه ، خضوع مال اليتيم اذا بلغ نصابا للزكاة ، لأن الزكاة حق على المال وحده لأنواع من الناس حددهم فى سورة التوبة فى آية :

« انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » (التوبة / ٦٠)

---

(١١) تم اعداد هذه الجداول فى كتاب السياسة المالية للرسول ص ٦٦ ، ٦٧ طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ٠

فحكمة فرض الزكاة تزكية المال وتضييق ما بين الاغنياء والفقراء من فروق ومنع الاحقاد بينهم ، وتوثيق عرى الاخاء الذى نادى به الاسلام ، ومن حصيلتها ينفق ولى الامر على الوجوه التى عددتها الآية السابقة ومنها فى سبيل الله فيتمكن من القيام من تمويل رعايته لبعض شرائح الامة وهو مسئول عن رعايتها ، فالامر كله يتعلق بالمال فرضا وتحصيلا وانفاقا .

وقد أخذ الصديق برأى على رضى الله عنهما (١٢) .

الخليفة الأول يصدر تعليمات تفسيرية بشأن تحصيل أنواع من الزكاة :

أرسل أبو بكر الصديق رضى الله عنه كتابا بتعليمات تفسيرية لبعض الحالات العملية التى نشأت فى التطبيق ، فقد تكون أنواع الفئات المستحقة على الانعام غير موجودة وبها أنواع أخرى موجودة فتقبل من مؤدى الزكاة وتقوم ، فان كانت قيمتها أزيد من قيمة النوع المستحق ، أعطاه المصدق الفرق وان كانت قيمتها أقل أخذ المصدق ما يكملها نقدا من صاحب الأنعام .

فقد حدث أنسا رضى الله عنه ان أبا بكر كتب له التى أمر الله ورسوله — صلى الله عليه وسلم(١٣) .

« ومن بلغت صدقته بنت مخاض وليست عنده وعنده بنت لبون فانها تقبل منه ، ويعطيه المصدق عشرين درهما أو شاتين ، فان لم يكن عنده بنت مخاض على وجهها(١٤) وعنده ابن لبون فانه يقبل منه وليس معه شىء)(١٥) .

ويرجع منشأ ما ورد فى هذا الكتاب الى ان زكاة الانعام محددة على أساس عينى وتستأدى من نفس النوع الخاضع للزكاة وفى ذلك تسهيل على من يؤدى الزكاة ، وحديثا تؤدى الضرائب التى تفرضها الدول على رعاياها نقدا .

---

(١٢) الصديق أول الخلفاء — مرجع سابق — الفصل الثامن .

(١٣) أى من حديث الصدقات .

(١٤) على وجهها : أى طبقا لفئات الصدقة المستحقة .

(١٥) صحيح البخارى — مرجع سابق — جزء ٢ ص ٢٦ ، ٢٧ .

تعليمات الصديق بشأن زكاة الخلطاء :

حدث انس أن أبا بكر رضى الله عنه ـ كتب له التى فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« وما كان من خليطين فانهما يتراجعان بينهما بالسوية

ويتصل بهذا الحديث حديث للرسول صلى الله عليه وسلم رواه الدراقطني وهو :

« لا يفــرق بين مجتمع ولا يجمع بين متفرق فى الصدقة ، والخليطان ما اجتمع على الفحل والمرعى والحوض »

فالخلط من العادات المرعية فى الأنعام ، فيكون لدى اثنين أو أكثر قطيع من الغنم أو الابل أو البقر فيتفقان معا على خلط نصيب كل منهما مع الآخر بحيث يجتمعان معــا فىالذهاب الى المرعى والعودة منه وفى المشرب وفى المبيت والفحل يكون للجميع كذلك(١٦) ٠

فقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يفرق بين مجتمع » يفسره الأوزاعي بمثال حسابى فيقول « لا ينبغى للمصدق اذا كان نفر ثلاثة لكل واحد منهم أربعون شاة وهم خلطاء أن يأخذ منهم أكثر من شاة واحدة ، ولا يفرق بينهما ثم يأخذ من كل أربعين واحدة » ٠

وعن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « ولا يجمع بين متفرق » يقول الأوزاعى :

ان كان لكل رجل اربعون شـــاة على حدة فلا ينبغى لهم أن يجمعوها فيجدها المصدق مجتمعة فلا يأخذ منها الا شاة ، والواجب عليهم فيها ثلاث »(١٧) ٠

(١٦ ، ١٧) من كتاب الأموال ـ لأبى عبيد القاسم بن سلام تحقيق محمد خليل هراس ١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦م دار الفكر للطباعة والنشر ص ٤٨٤ ٠

ويرى البعض أن « لا يفرق بين مجتمع » منصب على الملكية فاذا كانت ملكية الخلطاء محددة بحيث يعرف كل منهم ما يملكه من الأنعام حاسبهم المصدق على أساس ما ملك كل منهم وفى المثال السابق يأخذ المصدق عن كل أربعين واحدة ..

أما اذا كانت الملكية مشــــاعة وغير محدد مايملكه كل من الخلطاء فيحاسبهم المصدق على أساس العدد الكلى للخليط ، وفى المثال السابق لا يأخذ منهم الا شاة واحدة .

فاذا تحددت قيمة الصدقة طبقا لأحد الآراء الســــابقة تنشأ مسألة مقدار مايتحمله كل مالك فى الصدقة المؤداة .

فيقرر أبو بكر الصـــــديق رضى الله عنه اســــتنادا لحديث الرسول :

« وما كان من خليطين فانهما يتراجعان بينهما بالسوية »

ونرى أن ينظر للموضـــــــوع من ناحية المصدق ومن ناحية المتصــــــدق .

فمن ناحية المصدق يستأدى الصــدقة اذا وجدت حالة الخلط على أساس الجمع ولايفرق بين الخلطاء .

ومن ناحية المتصدقين يتحمل كل منهم نصيبه فى الصدقة بنسبة ما يملكه كل منهم اذا كانت الملكية محددة واذا كانت غير محددة فتقسم بينهما بالتساوى(١٨) .

وقد رجحنا هذا الرأى لأنه مطابق لنص الحديثين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فضلا عن عدالته فى حالة وضوح ملكية الخلطاء ..

---

(١٨) أنظر الآراء المختلفة فى كتاب الأموال لأبى عبيد — مرجع سابق — صفحات من ٤٨٤ — ٤٩٢ .

الصديق ينهى عن أخذ ردىء الأموال فى الصدقة :

حدث أنس رضى الله عنه أن أبا بكر رضى الله عنه كتب له الصدقة التى أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم .

« ولا يخرج فى الصدقة هرمة ، ولا ذات عوار ، ولا تيس الا ما شاء المصدق » .

والهرمة المسنة التى سقطت أسنانها ..

والعوار ماترد به الأنعام فى الربيع بسبب المرض أو غيره .

والتيس هو الفحل .

ولا تؤخذ الهرمة والعوار لأنها من ردىء الأموال وفى أخذها كصدقة ظلم لبيت المال وظلم للفقراء والمساكين لأن الصدقات حقوق لهم ، فقد يرون بيعها ليشتروا بها سلعا ضرورية لهم فلا يستطيعون لأن المشترين سيرفضونها لأنها مسنة أو ذات عوار ، واذا أكلوا منها قد تضرهم خصوصا اذا كانت مريضة ولا ضرر ولا ضرار فى الاسلام .

وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أخذ ردىء الأموال فى الصدقة .

فعن وائل بن حجر – رضى الله عنه –

أن النبى صلى الله عليه وسلم – بعث ساعيا فأتى رجلا فآتاه فصيلا مخلولا[19] .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم « بعثنا مصدق الله ورسوله وأن فلانا أعطاه فصيلا مخلولا .. اللهم لا تبارك فيه ولا فى ابله » .

---

(١٩) فصيلا مخلولا : أى ولدا للناقة ضعيفا .

فبلغ الرجل ذلك فجاء بناقة حسناء

فقال (الرجل) : أتوب الى الله عز وجل والى نبيه صلى الله عليه وسلم ·

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : اللهم بارك فيه وفى ابله(٢٠)

وان كانت لا تؤخذ ردىء الاموال فى الزكاة فلا تؤخذ كذلك الزكاة من أجودها بل تؤخذ من أواسطها ·

فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أخذ الشافع من الأموال والشافع التى فى بطنها ولدها(٢١) ·

وكانت تعليمات عمر بن الخطاب رضى الله عنه للمصدقين فى عهده أن لا يأخذوا فى الصدقة « الولود ولا الربى ولا الأكيلة ولا فحل الغنم »(٢٢) لأن الولود من جياد الأنعام لأنها تلد كثيرا فتزيد ثروة صاحب الأنعام ويزيد نتاج الثروة الحيوانية للمجتمع ، والأكيلة وهى التى تعزل للأكل فتعتبر بذلك من أجود الأنعام ، ونهى كذلك عن فحل الغنم (التيس) ·

وقد نهى أيضا أبو بكر الصديق رضى الله عنه لضرورته لحمل الأنثى من الأنعام ·

حجز الزكاة من المنبع فى عهد الصديق :

قال القاسم بن محمد فى حديث له « أما أبو بكر ، فكان اذا أراد أن يعطى الرجل عطاءه سـألـه : هل عنده مال قد حلت فيه الزكاة ؟

---

(٢٠) أخرجه النسائى فى سننه والبيهقى فى السنن الكبرى ــ ورد فى المنتخب من السنة ص ٣٣٢ ــ اصدار المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ·

(٢١) للتفصيل يرجع لكتابنا « السياسة المالية للرسول » اصدار الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ٧٨ وما بعدها ·

(٢٢) انظر كتاب الأموال لأبى عبيد ــ مرجع سابق ــ ص ٤٧٩ ــ ٤٨١ ·

فان أخبره أن عنده مالا قد حلت فيه الزكاة قاصه مما يريد أن يعطيه ٠

وان أخبره أن ليس عنده مال قد حلت فيه الزكاة سلم اليه عطاءه »(٢٣) ٠

وبذلك سبق أبو بكر الصديق بتطبيق مبدأ الحجز من المنبع ، وهو مبدأ يطبق حديثا فى بعض نظم الضرائب ، فتحجز الضرائب المستحقة على الايراد منه عند قبضه ويصرف الصافى لصاحب الايراد وتورد الضرائب المحجوزة من المنبع لمصالح الضرائب المختصة ، فاذا وزعت مثلا شركة مساهمة عوائد أو أرباح الأسهم على المساهمين وكانت هذه الارباح والعوائد خاضعة للضرائب ، خصمت الشركة الضريبة المستحقة ووردتها لمصلحة الضرائب المختصة ويصرف لحملة الأسهم الصافى بعد خصم الضرائب المستحقة ٠

ابنتا الصديق ساهمتا فى ايضاح أحكام الصدقة :

ـ مما نقلته أم المؤمنين عائشة بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث عن الصدقة فساهمت فى ايضاح بعض أمورها للمسلمين ، فمما روى عنها عن الصدقة الأحاديث التالية :

ـ قالت عائشة رضى الله عنها :

« دخلت امرأة معها ابنتان لها تسأل فلم تجد عندى شيئا غير تمرة ، فأعطيتها اياها ، فقسمتها بين ابنتيها ، ولم تأكل منها ، ثم قامت فخرجت ، فدخل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ علينا ، فأخبرته ٠٠

فقال : « من ابتلى من هذه البنات بشىء كن له سترا من النار »(٢٤) ٠

---

(٢٣) المرجع السابق ص ٥٤ ٠

(٢٤) البخارى - جزء ٤ - مرجع سابق - ص ١٩

فلعل هذا الحديث يحث أصحاب الأموال المتنمين عن أداء الزكاة كلها أو بعضها أن يسارعوا بأدائها لأنها حقوق فقراء ومساكين قد لا يجدون ما يسدون به رمقهم هم وأطفالهم الجياع ٠

ـ وقالت عائشة رضي الله عنها :

أن بعض أزواج النبي ـ صلى الله عليه وسلم قلن للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أينا أسرع بك لحوقا ؟

قال : « أطولكن يدا »

فأخذوا قصبة يذرعونها ، فكانت سودة(٢٥) أطولهن يدا ، فعلمنا بعد أنما كانت طول يدها الصدقة ، وكانت أسرعنا لحوقا به وكانت تحب الصدقة(٢٦) ٠

ولعل هذا الحديث يدخل في قلوب زوجات المسلمين حب أداء الزكاة المفروضة على ما يمتلكن من مال والتطوع بمايزيد وحث الأزواج على سرعة أداء زكاة أموالهم فيقتدى الأبناء بالآباء والأمهات ٠

ـ وقالت أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم :

« اذا أنفقت المرأة من طعام بيتها ، غير مفسدة كان لها أجرها بما أنفقت ، ولزوجها أجره بما كسب ، وللخازن مثل ذلك لا ينقص بعضهم أجر بعض شيئا »(٢٧) ٠

ويعنى مسروق بحديث عائشة (اذا تصدقت المرأة ٠٠٠٠٠٠ الخ »(٢٨) ٠٠

---

(٢٥) هي أم المؤمنين سودة بنت زمعة ـ رضي الله عنها ٠

(٢٦) البخاري ـ جزء ٤ ـ مرجع سابق ص ١٩ ٠

(٢٧) المرجع السابق ـ ص ٢٢ ، ٢٣ ٠

(٢٨) المرجع السابق ص ٣٠ ٠

والصدقة وردت مطلقة فى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم فقد يقصد بها صدقة التطوع أو الصدقة بمعنى الزكاة ، ومثل ذلك أن تقوم الزوجة بأداء جزء من زكاة أموال زوجها على هيئة طعام لفقراء مرضى أو لمساكين جوعى فلها أجرها بما أدت ولزوجها أجره بما كسب وللخازن مثل ذلك لا ينقص بعضهم أجر بعض شيئا .

— وقالت ذات النطاقين أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما :

قال لى النبى — صلى الله عليه وسلم :

« لا توكى فيوكى عليك »(٢٩) .

والكلام على الاستعارة أى لا تمنعى ما فى يدك فيمنع عنك الرزق ، لأن من أوكى على ما فى سقائه اذ شده بالوكاء وهو الحبل الذى يربط به رأس القربة »(٣٠) .

فلا يمتنعن عن أداء الزكاة ذو مال فما نقص مال من صدقة والله يربى الصدقات .

— وقالت ذات النطاقين أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما :

أنها جاءت الى النبى — صلى الله عليه وسلم — فقال :

لا توعى فيوعى الله عليك أرضخى ما استطعت »

ومعنى الحديث هو عدم الامساك لأنه من أوعيت الشىء جعلته فى الوعاء حفظا له فأستعير لذلك لمعنى الامساك والرضخ هو العطاء اليسير ، فالرسول صلى الله عليه وسلم ينهى اسماء وسائر المسلمات والمسلمين عن الإمساك ويأمر بالعطاء بدون تبذير(٣١) .

(٢٩ ، ٣٠) المرجع السابق ص ٢٦ .

(٣١) المرجع السابق ص ٢٧ .

والله جل وعلا يقول « فويل للمصلين . الذين هم عن صلاتهم ساهون ، الذين هم يراءون ويمنعون الماعون » (الماعون / ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧) .

فبجانب الزكاة المفروضة ، يمكن للمسلمات تلبية لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم أن يعطين عطاء يسيرا ويمتنعن عن الامساك اســـتجابة لنهى الله جل وعلا عنه حتى لا تضيق عليهن ولا على أزواجهن الأرزاق .

الباب الرابع

الايرادات العامة فى عهد الصديق

من :
خمس الغنائم والجزية والخراج

استمرار الايرادات العامة من خمس الغنائم في عهد الصديق

يقين الصديق بفضل الجهاد :

أعلن الصديق في خطابه الأول اهمية الجهاد وقاوم به مانعي الزكاة والمرتدين وانتصر عليهم ولاشك انه عندما أعلن ذلك كان يدور بخلده فضل الجهاد كما توضحه آيات القرآن المجيد وسنن رسول الله صلى الله وسلم ٠

فالجهاد يحقق فلاح الأمة استنادا لقول الله جل وعلا :

« يا أيها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون » (المائدة / ٣٥) ٠

ويحقق فضل الله سبحانه وتعالى كما أوضح في آية :

« يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم » (المائدة/٥٤)

ويأتي الجهاد بالخير للمجاهدين الذين ينفرون خفافا وثقالا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، كما بينه القرآن المجيد فى قول الله سبحانه وتعالى :

« انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم أن كنتم تعلمون »(التوبة / ٤١) .

والجهاد هو التجارة التى تنجى من العذاب الأليم ، فقد قال تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجـــارة تنجيكم من عذاب أليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلك خير لكم أن كنتم تعلمون » (الصف ١٠ ، ١١) .

ويمنع الجهاد مذلة الرقاب ، استنادا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لئن تركتم الجهاد وأخذتم بأذناب البقر ،وتبايعتم بالعينة ، ليلزمنكم الله مذلة فى رقابكم لا تنفك عنكم حتى تتوبوا الى الله وترجعوا على ما كنتم عليه »(١) .

وللجهاد جزاء مادى فى الدنيا ، فقد أحل الله للمجاهدين الغنائم فقال سبحانه وتعالى :

« فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم » (الانفال / ٦٩)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لم تحل الغنائم لأحد سود الرؤوس قبلكم ، كانت تنزل نارا فتأكلها »(٢) .

---

(١) كتاب الجهاد للدكتور أحمد محمد الحوفى ص ٤٢ .

(٢) الأموال لأبى عبيد ص ٣٨٦ .

نظام توزيع الغنائم :

وقد نظم الله ورسوله توزيع الغنائم طبقا للقواعد التالية :

ـ يفرق بين الفيء والغنائم ، فالفيء هو ما حصل عليه المسلمون من العدو بدون حرب فلم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب فكان ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما أفاء الله عليه بأموال بنى النضير كان ينفق على أهله نفقة سنة وما بقى جعله فى الكراع(٣) والسلاح عدة فى سبيل الله(٤) وبعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤول للدولة كايراد من ايراداتها العامة ٠

ـ أما الغنيمة أو النفل فهى ما يستولى عليه جيش المسلمين من العدو فى الحرب ، وفيما يلى قواعد التصرف فيه :

ـ اذا انفرد المسلم بقتل المشرك وأقام البينة على ذلك ، فيكون له سلبه كله من غير أن يشركه فيه أحد من سائر المشتركين فى المعركة ، ويقصد بالسلب ما كان على القتيل من ثياب أو سلاح وكذلك فرسه الذى قاتل عليه بأداته اى سرجه ولجامه وغيرهما ٠

وذلك استنادا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

فعن أبى قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم حنين :

« من قتل قتيلا له بينة فله سلبه »(٥) ٠

ـ إذا عاونت النساء فى المعركة بالسقى ، أو عاون الرعاة والادلاءبارشاد الجيش عن مواقع العدو وآثاره فيعطون من الغنيمة قبل التوزيع شيئا قليلا ولا يضرب لهم بسهم لانهم لم يحاربوا ٠

---

(٣) الكراع اسم لجميع الخيل والسلاح ٠

(٤) الاموال لأبى عبيد ص ١٥ ٠

(٥) الاموال لأبى عبيد ص ٣٨٦ ٠

– يؤول خمس الغنيمة لمن سماهم الله جل وعلا فى آية الخمس وهى :

« واعلموا أنما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير » (الانفال / ٤١) .

– الأربعة أخماس الباقية توزع على الذين اشتركوا فى المعركة على أساس للفارس ثلاثة أسهم باعتبار أن للفرس سهمين ولصاحبه سهم أو يكون التوزيع للفارس سهمان – للفرس سهم ولصاحبه سهم – ويكون التوزيع سهما واحدا للراجل(٦) .

اتمام بعث اسامه كان أول عمل للصديق :

عاصر أبو بكر الصديق الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ووعى فضله وشارك فى غزوات الرسول وشاهد بنفسه توزيعه للغنائم ، فلما ولى أمر المسلمين قاد الأمة للجهاد فأعلن ذلك فى خطابه الأول كما ذكرنا وبدأ به أول عمل له فى الدولة فكان أول أمر أصدره بعد أن تمت له البيعة هو :

« ليتم بعث اسامه »

فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جهز جيشا من الانصار والمهاجرين لغزو الروم بعد الذى كان بينهم وبين المسلمين فى غزوة مؤتة واستشهد من قواته زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب وعبد الله بن رواحه ثم داور خالد بن الوليد بالجيش حتى عاد به الى المدينة سليما وان لم ينتصر .

وأمر الرسول على الجيش اسامه بن زيد بن حارثة وكان حدثا لما يبلغ العشرين ، وولاه الرسول ليجعل له من النصر ما يجزى به استشهاد أبيه بمؤتة ، وليعتاد الشباب الاضطلاع بالمسئوليات .

---

(٦) انظر الموضوع بتوسع فى كتابنا « السياسة المالية للرسول » الصفحات من ٩٧ الى ١٢٤ .

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامه أن يوطيء الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين وأن ينزل على أعداء الله فى عماية الصبح وأن يمعن فيهم قتلا وأن يحرقهم بالنار وأن يتم ذلك بسرعة حتى لا تسبق الى أعدائه أنباؤه ، فاذا تم له النصر فليسرع بالعودة غانما مظفرا(٧) ٠

وحين وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يكن جيش أسامه قد ابتعد عن المدينة مسافة كبيرة ، فلما علم من بالجيش بالوفاة انفرط الجيش وعاد المجاهدون للمدينة باكين ، وكان أسامة فى نحو العشرين وتحت لوائه صحابة من السابقين الأولين فى الاسلام ومنهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فطلب منه أسامة أن يستأذن الخليفة بالرجوع بالجيش ليبقى كبار الصحابة بجواره فى هذه الأزمة التى وقعت بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وطلب من عمر بعض من فى الجيش أن يطلب من الخليفة أن يولى رجلا أكبر سنا من أسامة اذا صمم على مسيرة الجيش ، ذهب عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأبلغ الخليفة ماطلب منه ٠

فقال أبو بكر رضى الله عنه مصمما تصميما قاطعا لا رجعة فيه :

« والله لا أحل عقدة عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو أن الطيور تخطفنا والسباع من حولى تأكلنى ، ولو أن الكلاب جرت بأمهات المؤمنين لأجهزن جيش أسامة ولن أرد قضاء قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم »

فلما أظهر عمر خشيته من رحيل الجيش والعرب مرتدون ٠

قال الصديق رضى الله عنه « ياعمر لو لعبت الكلاب بخلاخيل نساء المدينة ما رددت جيشا أنفذه رسول الله صلى الله عليه وسلم » ٠

---

(٧) الصديق ابو بكر ـ طبعة سابعة ـ محمد حسين هيكل ص ٨٧ ، ٨٨ ٠

فلما نقل اليه عمر رضى الله عنه رغبة البعض أن يولى عليهم رجلا أقدم سنا من أسامة ·

قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه غاضبا غضبا شـــديدا « تكلتك أمك وعدمتك يابن الخطاب(٨) ! استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمرنى أن أنزعه ، كيف أؤمر غير من أمر رسول الله » ·

بهذا التصميم أدار الخليفة عجلة الجهاد لتنفيذ ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وقد حمس أبو بكر الصديق رضى الله عنه جيش أسامة بن زيد بأن صحبه حتى وصل الى الجرف وكان ماشيا يقود دابته عبدالرحمن ابن عوف وأسامة راكب ·

فقال له أسامة : ياخليفة رسول الله والله لتركبن أو لأنزلن ·

فقال الخليفة : والله لا تنزل ووالله لا اركب ! وما على أن أغبر قدمى فى سبيل الله ساعة ، فان للغازى بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له وســـبعمائة درجة ترتفع له ، وترفع عنه سبعمائة خطيئة(٩) ·

وكان الصـــديق يخطب البعوث يذكرهم بآيات الله ويعظهم ويدعوهم الى صالح الاعمال والسباق اليها قبل انتهاء الآجال وأن يأخذوا العبر ممن مات قبلهم فقد خطب وأوصى جيش أسامة فقال :

« يا أيها الناس ، قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عنى » :

لا تخونوا ولا تغلوا ، ولا تغدروا ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلا صغيرا ، ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا الا لمأكله، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم فى الصوامع، فدعوهم

---

(٨) الطبرى — مرجع سابق — ص ٢٢٦ ·
(٩) الطبرى — مرجع سابق — ص ٢٢٦ ·

وما فرغوا أنفسهم له ، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام ، فاذا أكلتم منها شيئا بعد شيء ، فاذكروا اسم الله عليها ... »(١٠) .

وطلب من أسامة أن يترك له عمر بن الخطاب فتركه له وكان عمر فى جيش أسامة .

وأوصى الصديق قائد الجيش أسامة بن زيد فقال له :

« اصنع ما أمرك به نبى الله صلى الله عليه وسلم ، ابدأ ببلاد قضاعة ثم ايت آبل ، ولا تقصرن فى شيء من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا تعجلن لما خلفت عن عهده » .

فمضى أسامة على ذى المروة والوادى وانتهى الى ما أمره به النبى صلى الله عليه وسلم من بث الخيول فى قبائل قضاعة والغارة على آبل ، فسلم وغنم ، وانتهى من مهمته فى أربعين يوما سوى ذهابه وايابه(١١) .

فتوح لنشر دعوة الاسلام فى عهد الصديق :

عندما تم للمسلمين القضاء على الردة فى الجزيرة العربية كان عليهم أن يبلغوا الناس بدعوة الاسلام بالقيام بالفتوح المختلفة بهدف نشر الدعوة الاسلامية للأمم وصبغها بالصبغة الاسلامية دون أكراه باعتناقها فاما الاسلام أو الجزية أو القتال ويضاف الى هذا الهدف الأصلى تأمين الدولة الاسلامية الوليدة من دسائس الذين يتربصون بها من اليهود والنصارى الذين اشرأبت أعناقهم بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتشار حركة الردة ومن احتمالات اعتداءات الفرس والروم وغيرهم الذين كانوا يتوقون الى اطفاء نور الله بايقاف المد الاسلامى والقضاء على الدولة الاسلامية الوليدة فى مهدها بعد موت مؤسسها الاول رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١٠) الطبرى — مرجع سابق — ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ .
(١١) الطبرى — مرجع سابق — ص ٢٢٧ .

وفيما يلي ملخص للفتوح الاسلامية فى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه :

فتح العراق فى عهد الصــــديق :

ابتدأت الفتوح في عهد الصديق رضى الله عنه بالجبهة الشرقية من الفرس ووضع تخطيطا دقيقا لفتح العراق ثم مواصلة الجهاد لفتح بلاد فارس بالاستيلاء على عاصـــمتهم المدائن وقدم المواقف للقواد الذين بعث بهم للفتح فجعل السابق منهم الى الحيرة هو الامير على الآخر ٠

فقد كتب الصديق فى المحرم من السنة الثانية عشر الى خالد ابن الوليد وقد أمره على حرب العراق أن يدخلها من أسفلها ، والى عياض بن غنم وقد أمره على حرب العراق أن يدخلها من أعلاها ، ثم يستبقا الى الحيرة ، فأيهما ســـبق الىالحيرة فهو أمير على صاحبه ٠

وقال : « آذا اجتمعتما بالحيرة وقد فضضتما مسالح فارس ، وأمنتما أن يؤتى المسلمون من خلفهم ، فليكن أحدكما ردءا للمسلمين ولصاحبه بالحيرة وليقتحم الآخر على عدو الله وعدوكم من أهل فارس دارهم ومستقر عزهم المدائن »(١٢) وقد التقى المسلمون مع الفرس فى عدة مواقع بقيادة خالد بن الوليد تمكن المســـلمون من الانتصار فيها مع ضخامة جيوش الفرس بالنسبة لجيش المسلمين ، وذلك كما يبين من المواقع التالية :

موقعـــة ذات الســـلاسل :

كان جيش خالد يضم ثمانية عشر ألف مسلم بعد أن انضم اليه جند المثنى بن حارثة الشيبانى وأصحابه وبدأت الموقعة فى كاظمة قرب الحفير ، وكان قائد الاعداء هرمز فأراد أن يقضى على خالد فدعاه للمبارزة وأعد له كمينا ليغدر به ولكن خالدا تمكن من قتل هرمز

---

(١٢) الطبرى جزء ٢ ــ مرجع سابق ــ ص ٣٤٧ ٠

وتمكن حمــــاة خالد من قتل كمين هرمز وانهزم الفــرس وتبعهم المسلمون يقتلونهم ويأسرونهم وأمر أبو بكر خالدا أن يحسن الى الفلاحين فأقرمن لم يقاتل منهم وجعل لهم الذمة(١٣) ٠

موقعـــــة المذار :

كانت واقعة المذار في صفر سنة اثنتي عشرة ويومئذ قال الناس :

« صفر الأصفار فيه يقتل كل جبار على مجمع الأنهار »

فكان هرمز عندما علم بقدوم خالد أخبر أردشير ملك الفرس فأمده بجيش من المدائن بقيادة قارن بن قريانس ، وعندما وصــــل الجيش الى المذار علم بهزيمة هرمز في ذات السلاسل فانضم اليه فلول جيش هرمز وهم مغيظون لهزيمتهم وعســـكروا بالمذار فخرج اليهم خالد ودار القتال فنصر الله المسلمين وقتل قارن وعدد كبير من الفرس قدر بثلاثين ألفا سوى من غرق في النهر ٠ وغنم المسلمون في هذه الموقعة غنائم كبيرة(١٤) ٠

موقعـــــة الولجــــة :

بلغ أردشير نبأ هزيمة الفرس في المذار فأرسل جيشا بقيادة الأندرزغر وأردفه بجيش آخر بقيادة بهمن جاذويه ، وقد ســــار الأندرزغر حتى وصل الى الولجة وعسكر جنود آخرون الى جانب جيشه في الولجة من أهالي البلاد ٠

سار اليه خالد بعد أن أعد كمينين من جيشه والتقى به في صفر من نفس السنة ودار بينهما قتال بالغ الضراوة ثم خرج كمينا خالد وهاجما الفرس فحلت بهم الهزيمة وتم نصر الله للمسلمين على الفرس ومن عاونوهم من عرب الضاحية وكانوا من نصارى بكر بن وائل(١٥) ٠

---

(١٣) الطبرى جزء ٣ ــ مرجع سابق ــ ص ٣٥٠ ٠
(١٤) الطبرى جزء ٣ ــ مرجع سابق ــ ص ٣٥١ ، ٣٥٢ ٠
(١٥) المرجع السبق ص ٣٥٣ ، ٣٥٤ ٠

موقعـــة أليس :

غضب العرب لمن قتل منهم في الولجة فكاتبوا الفرس وحضوهم على قتال المسلمين فكتب أردشير الى بهمن جاذويه أن سر حتى تصل أليس بجيشك وانضم الى من اجتمع بها من فارس ونصارى العرب فأرســل بهمن الجيش بقيادة جابان الى أن يلحق به فنزل بأليس وانضمت اليه المسالح التى كانت بازاء العرب ونصــارى العرب وبعض عرب أهل الحيرة .

نهض اليهم خالد فاقتتلوا قتالا شديدا ودعا خالد ربه « اللهم ان هزمتهم فعلى أن لا استبقى من أقدر عليه حتى أجرى دمائهم فى نهرهم » فنصر الله المسلمين وبلغ قتلى الأعداء سبعين ألفا سال دمهم فى النهر فوفى خالد بنذره(١٦) .

هـــدم أمغيشـــيا .

لما فرغ خالد من وقعة أليس اتى أمغيشيا وكان أهلها قد جلوا عنها فأمر خالد بهدمها ، فأصابوا منها أنفالا كثيرة ، فلما بلغ ذلك الصديق رضى الله عنه أخبر قريش بالخبر وقال :

« عدا أسدكم على الأسد فغلبه على خراذيله(١٧) ، أعجزت النساء أن ينسلن مثل خالد »(١٨) .

فتح الحـــيرة :

انتصار خالد فى أليس فتح له الطريق ليستولى على الحيرة عاصمة العراق وكان مرزبان الحيرة قد أحتاط لقدوم خالد فعسكر خارج الحيرة وأمر ابنه ليسد الفرات ولكن خالد قتله وأطلق ماء النهر ، هرب المرزبان وتابع خالد سيره حتى نزل الحيرة فوجد أهلها

---

(١٦) المرجع السابق ص ٣٥٥ .

(١٧) الخراذيل : قطع اللحم .

(١٨) المرجع السابق ص ٣٥٨ ، ٣٥٦ .

قد تحصنوا فى قصورهم فوزع قواته على قصـــورهم وأمرهم أن يبدأوهم بالدعوة للاســلام أو الجزية أو الحرب ، فأبوا ، فدارت مناوشات انتهت بأن عقد خالد صلحا مع نقباء أهل الحيرة تعهدوا فيه بأن يدفعوا مائة وتسعين ألف درهم فى كل سنة وعلى المنعة ولما استقر الأمر بين خالد وأهل الحيرة أتته الدهاقين فصالحوه وتم للمسلمين بذلك الغلبة على أحد جانبى العراق(١٩) .

فتح دومة الجنــدل : (١٩م)

كان عياض بن غنم مكلفا بفتح العراق من أعلاه فطال حصاره لدومة الجندل ولم يتمكن من فتحها فتوجه اليه خالد وفي طريقه مر بالانبار فاستولى عليها بعد مناوشة قليلة مع أهلها ثم توجه الى عين التمر فتصدوا لقتال خالد ولكنه تغلب عليهم وهزمهم واستولى على حصن عين التمر وغنم ما فيه .

فلما وصل خالد الى دومة الجندل جعلها بينه وبين معســكر عياض وانتهى القتال بين المسلمين وبين أهل دومة الجندل بنصر المسلمين ، فقد تمكنوا من الاستيلاء على حصنهم وقتل من فيه وقد حاول الأعداء الموتورون الاغارة على المسلمين واسترجاع مابيدهم ولكنهم فشلوا .

توجه خالد بعد ذلك الى الفراض وهى تخوم الشام والعراق والجزيرة وقد تجمع بها الفرس والروم والعــرب من تغلب واياد والنمر وقاتلوا المسلمين فى معركة حامية انتصر فيها المســلمون وقتلوا من أعدائهم فى المعركة مائة ألف .

وقد كانت هذه الموقعة اخر الحروب التى خاضــها خالد فى العراق ووجه الجيش الى الحيرة وأدى سرا فريضة الحج فبلغ ذلك

---

(١٩) ملخصه من المرجع السابق من ص ٣٥٦ — ٣٦٥ .

(١٩م) مقتبســة من الطبرى ص ٣٧٨ وما بعدها .

أبا بكر الصديق فعاتبه لتركه الجيش وأمره بالتوجه لجموع المسلمين باليرموك(٢٠) بالشام ٠

فتح الشـــــام :

كان ابو بكر الصديق رضى الله عنه قد أرسل فى مطلع السنة الثالثة عشر من الهجرة خالد بن سعيد بن العاص الى تيماء حيث اجتمع له عدد كبير من المسلمين فاستنفرت له الروم بعض القبائل فانتصر خالد بن سعيد فى بعض المواقع ولكن ياهان بطريق الروم تمكن من هزيمته ٠

وجهأبوبكر رضى الله عنه عند ذلك الجيوش الى الشام فأرسل أبا عبيدة بن الجراح بجيش ووجهه الى حمص ويزيد بن أبى سفيان بجيش ووجهه الى دمشق وشرحبيل بن حسنة بجيش ووجهه الى الأردن وعمرى بن العاص بجيش ووجهه الى فلســـطين ، وقد بلغ تعداد هذهالجيوش قرابة ثلاثين ألفا ٠

معـــركة اليرموك : (٢١)

ازاء هذه الجيوش الكثيفة أعد الروم جيوشا لمقابلتها ولكن قادة المسلمين شعروا بخطورة تفرقهم فاســـتقر رأيهم بعد موافقة الخليفة على الاجتماع فى اليرموك ، فلما علم هرقل بذلك أمر جيوشه بنزول الواقوصة على ضفة اليرموك وصار الوادى خندقا لهم ٠

عند ذلك تحول المســـلمون فنزلوا بحذائهم وصـــار الروم محصورين لا طريق لهم الا على المسلمين واستمرت المناوشات بين الفريقين بدون فصل للمعركة قرابة شهرين ، فاســـتشاروا الخليفة فأرسل لهم خالد بن الوليد ٠

وكان وصول خالد الى اليرموك ايذانا بنشوب المعركة الفاصلة بين الروم والمسلمين ، فقد حشد الروم ما يتجاوز مائتى ألف جندى

---

(٢٠) الطبرى -مرجع سابق - ص ٣٨٤ ٠

(٢١) الطبرى - مرجع سابق - ص ٣٩٤ وما بعدها ٠

وكان جيش المسلمين ما يقارب أربعين ألفا منهم ألف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم مائة من أهل بدر .

خطط خالد للمعركة فقسم الجيش الى كتائب فى كل واحد منها ألف جندى وجعل عليه فارسا شجاعا وجعل للجيش ميمنة وميسرة وقلبا ثم عبأ الروح المعنوية بقراءة سورة الجهاد وهى الأنفال .

وفى جمادى الآخرة سنة ١٣ هـ التحم الفــريقان فى المعـركة الفاصلة وحملت الروم حملة قوية أزالت المســلمين عن مواقفهم فتبايع أربعمائة من المسلمين وعلى رأسهم عكرمة بن أبى جهل على الموت فقاتلوا وجرحوا جميعا فتراجعت الروم الى مواقفهم .

زحف خالد على الروم واشتد القتال وطال فتضـــعضع الروم فنهد اليهم خالد فى قلب جيشهم وكان بين خيلهم ورجلهم فضـــاق المهرب على خيل الروم ثم خرجت بهم فى الصحراء وتفرقت فى البلاد فشدد المسلمون الحملة على رجالة الروم ففروا وهووا فى منخفض الواقوصة ، وبلغ من هوى قرابة مائة وعشرين ألفا سوى من قتل فى المعركة واستمر القتال هزيعا من الليل حتى تم النصر للمسلمين .

واستشهد من المسلمين فى هذه المعركة ثلاثة آلاف مسلم منهم عدد من الصحابة وأصحاب باع فى الجهاد .

وكانت النساء المسلمات فى المعركة يداوين الجرحى ويسقين الماء وبعضهن خاض غمرات القتال ومنهم جويرية ابنة أبى سفيان التى أصيبت فى المعركة .

وكانت هذه المعركة ايذانا بانتشار الاسلام فى الشام ثم امتداده بعد ذلك ، وكانت هذه المعركة خاتمة الأعمال الحربية التى تمت فى حياة أبى بكر رضى الله عنه .

النتائج المالية للفتوح فى عهد أبى بكر :

كانت للفتوح الاسلامية فى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه نتائج هامة لها جوانبها المالية وذلك على النحو التالى :

ـ بلغت الدعوة الاسلامية الاقاليم المفتوحة وهدى الله الكثير من أهلها لدعوة الاسلام فدخلوا فى دين الله أفواجا وصار عليهم أن يقوموا بأركان الاسلام الخمس ومنها الزكاة . فزادت بذلك حصيلة الزكاة فى عهد أبى بكر الصديق خصوصا بعدما تمكن من رد الممتنعين عن أداء الزكاة فى أول عهده الى الوفاء بها وزاد بذلك المقدار الذى يمكن أن يوزع منها على الفقراء والمساكين وسائر مصارفها المحددة بالقرآن الكريم مما جعلها أكثر قدرة على اداء وظائفها الاجتماعية بجانب وظائفها التعبديه .

ومما يزيد فى فعالية الزكاة أن من أسلم عن حق أصبح من الحاضين لغيره على ادائها باعتباره مكلف بنشر الدعوة بالكلمة وبالجهاد دفاعا عنها بالسيف تلبية لداعى الجهاد اذا دعاه .

ـ تقليم أظافر الفرس والروم كنتيجة لهذه المعـــارك أطاح بنظمهم المالية العامة التى كانت تقوم على أساس أن رئيس الدولة هو المالك للأموال العامة ولا فصـــل بينهما وبين أمواله الخاصة يسانده فى ذلك حاشية من كبار الاقطاعيين وجماعة من الكهنة ينالون من الأموال العامة قدر ما يستطيعون لاشباع نفوسهم الظامئة للمال والغنى والاكتناز من عرق الفلاحين والعبيد الذين كانوا مسخرين لزراعة الارض وكانوا مبهظين بالضرائب والاتاوات فلا يبقى لهم من نتيجة عملهم الا القليل الذى لا يكفى معيشتهم وشئون حياتهم .

ونتيجة للفتوح حل النظام المالى الاسلامى العام الذى يقوم على أن المال مال الله ، والشعب مستخلف عليه . فاذا بايع الشعب الخليفة حكم بالقرآن بالسنة وعدل فى أمور المال العام فلا يجبى الا بالحق ولا يصرف الا فى حق ويمنع من الباطل ، والحـــاكم فيه يستعفف عن الأموال العامة فهو كولى اليتيم لا يأكل منه الا بالمعروف نظير أجر عمله وهو فيماعدا ذلك كسائر الرعية يعود عليه ما يعود عليهم ، والممولون أحرار يطيعون ويوفون بالالتزامات المالية العامة عن طواعيه خصوصا اذا كانت ذات طبيعة تعبدية كالزكاة . والشأن فى حاشية الحاكم أن تكون صالحة لخير الدين والدنيا ترشد الحاكم لمسالك المعروف ليسلكها وتنهاه عن دروب المنكر ليتجنبها .

ـ أدت هذه الفتوح الى اتساع الدولة الاسلامية وعكس هذا الاتساع أثره على الموارد العامة للدولة فبجانب زيادة الزكاة على النحو الذى أوردناه زادت الموارد العامة الأخرى للدولة من الجزية التى أداها أهل الكتاب الذين لم يعتنقوا الاسلام وآثروا الاحتفاظ بدينهم وكان على الدولة الاسلامية أن تدخلهم فى ذمتها وتؤدى لهم من الخـــدمات العامة ما يحقق لهم الأمان على أرواحهم وأموالهم وذرياتهم ، وأن تعدل بينهم وتدخلهم فى ظلال السماحة الاسلامية التى حض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الراشـــدون فاوصوا بهم وحرموا اضطهادهم وتعذيبهم ، بل أضفوا عليهم من بيت مال المسلمين ما يكفل لهم المعيشة اذا الم بهم فقر أو اعترتهم الشيخوخة وكانوا معوزين .

ـ أحل الله الغنائم للمسلمين ، فاذا جاهدوا وتحقق نصر الله حق لهم أن يأخذوا ما غنموه طبقا للنظام الذى وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغزوات التى غزاها والسرايا التى أمر بها والسابق التنويه عنه .

نماذج من غنائم المعارك فى عهد الصديق :

نوضح فيما يلى نماذج من الغنائم التى حصل عليها المقاتلون فى المعارك التى خاضوها فى عهد الصديق رضى الله عنه :

منح الصديق خالد بن الوليد سلب هرمز :

أوضحنا فى موقعة ذات السلاسل أن هرمز طلب مبارزة خالد ابن الوليد فبارزه خالد وقتله وكان أهل فارس يجعلون قلانسهم على قدر أحسابهم فى عشائرهم ، فمن تم شرفه فقيمة قلنسوته مائة ألف ، فكان هرمز ممن تم شرفه فكانت قيمة قلنسوته مائة الف ، فنفلها أبو بكر الصديق رضى الله عنه خالد بن الوليد ، وكانت مفصصة بالجواهر ، وكانت للفرس بيوتات سبع تعتبر أعلى[٢٢] البيوتات ،

---

(٢٢) الطبرى جزء ٣ ـ مرجع سابق ـ ص ٣٤٩ .

وتمام شرف احد الفرس أن يكون من احد هذه البيوتات وكان هرمز من احدها ولقد منح أبو بكر الصـــديق رضى الله عنه خالدا هذه القلنسوة لأنها من سلب هرمز وكان مستندا فى هذا المنح لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قتل رجلا فله سلبه »(٢٣) ٠

خالد بن الوليد اعطى الأسلاب لمستحقيها :

وفى عهد أبو بكر الصديق كان خالد بن الوليد يعطى الأسلاب لمستحقيها فى المواقع التى خاضها ففى وقعة المذار مثلا يذكر المؤرخون انه سلم الأسلاب لمن سلبها بالغة ما بلغت(٢٤) ٠

خالد بن الوليد كان يرسل خمس الغنائم للخليفة :

كان خالد بن الوليد بعد نهاية المعركة يقســـم الغنائم فيبدأ بالخمس ويرسله لأبىبكر الصديق رضى الله عنه بالمدينة ، فبعد نهاية واقعة ذات السلاسل ارسل خالد بنتيجة المعركة وكانت الفتح ومابقى من الأخماس للخليفة ، فقرىء الفتح على الناس ليعلموه ، وكان مع الأخماس فيل مصنوع كان من ضمن الغنائم فطيف به فى المدينة ليراه الناس ٠

فكانت ضعيفات النساء يقلن : « أمن خلق الله ما نرى » ثم رأينه مصنوعاً ٠

وكان زر بن كليب هو مبعوث خالد بالفتح بالخمس والفيل فرد ابو بكر الصديق رضى الله عنه معه الفيل(٢٥) ٠

وفى موقعة المذار بعث خالد بالخمس وبأخبار المعركة للخليفة مع الوليد بن عقبة(٢٦) ٠

---

(٢٣) انظر حالات عملية على السلب فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتابنا « السياسة المالية للرسول » ص ١٢١ — ١٢٣ ٠

(٢٤) الطبرى جزء ٣ — مرجع سابق — ص ٣٥٢ ٠

(٢٥) المرجع السابق ص ٣٥٠ ٠

(٢٦) المرجع السابق ص ٣٥١ ٠

وفي وقعة الزميل بعث خالد بالخمس الى أبى بكر رضى الله عنه مع النعمان بن عوف بن النعمان الشيباني[27] .

وبعث كذلك بخمس غنائم تغلب الى أبى بكر رضى الله عنه مع الصباح بن فلان المزني[28] .

وبعث أيضا خالد بأخماس غنائم اليرموك الا ما نفل منها مع عمير بن سعد الانصار لأبى بكر الصديق رضى الله عنه[29] .

وهكذا كان القواد فى عهد ابى بكر الصـــديق يطبقون فيما يغنمون بعد النصر نصوص القرآن الكريم بشأن خمس الغنائم .

تقدير القيمة الكلية لبعض غنائم الفتوح فى عهد الصديق :

ـ ذكرنا أن جيش خالد بن الوليد فى ذات السلاسل كان يضم ثمانية عشر ألف مسلم ويذكر المؤرخون أن سهم الفارس من الغنيمة في يوم ذات السلاسل والثنى بلغ ألف درهم والراجل على الثلث عن ذلك[30]

فمن هذا يتضح أن خالد جعل سهم الفارس ثلاثة أمثال سهم الراجل .

وفي ضوء هذه المعلومات المتاحة يمكن بطريقة حسابية الوصول الى قيمة تقريبية لغنائم ذات السلاسل والثنى وذلك كما يلى :

عدد المجاهدين المسلمين ١٨٠٠٠ مسلم

لتوزيع عدد المجاهدين بين الفرسان والراجلين نفترض أن عدد الفرسان ١٠٪ من عدد المجاهدين فيكون عدد الفرسان ١٨٠٠ فارس ويكون عدد الراجلين ١٦٢٠٠ راجل .

---

(٢٧) المرجع السابق ص ٣٨٢ .
(٢٨) المرجع السابق ص ٣٨٣ .
(٢٩) المرجع السابق ص ٤٠٨ .
(٣٠) المرجع السابق ص ٣٣٠ .

ومجموع غنائمهم باعتبار أن الفارس أخذ ١٠٠٠ درهم
= ١٫٨٠٠٫٠٠٠ درهم

ومجموع غنائم الراجلين باعتبار أن الراجل أخذ ⅓ الفارس أى ١٦٢٠٠ × ٣٣٣⅓ درهم = ٥٫٤٠٠٫٠٠٠ درهم

مجموع ماحصل عليه المجاهدون وهو يمثل ٤/٥ الغنائم
= ٧٫٢٠٠٠٠٠ درهم

قيمة ١/٥ الغنائم الذى أرسله خالد لبيت مال المسلمين بالمدينة
= ١٫٨٠٠٠٠٠ درهم

مجموع غنائم ذات السلاسل والثنى = ٩٫٠٠٠٫٠٠٠ درهم

فتكون الموقعة حققت نصر الله واعلاء كلمة الدين وغنائم بلغت ٩ ملايين درهم ..

ـ وفى أمغيشيا كان العسكر ١٨٠٠٠ فارس أو يزيدون(٣١) .

ويقول الطبرى « لم يصب المسلمون فيما بين ذات السلاسل وأمغيشيا مثل شىء أصابوه فى أمغيشيا بلغ سهم الفارس ألفا وخمسمائة سوى النفل الذى نفله أهل البلاء »(٣٢) .

وباتباع نفس الأساس السابق وهو افتراض أن عدد الفرسان ١٠٪ من عدد المجاهدين يكون عدد الفرسان ١٨٠٠ فارس وعدد الراجلين ١٦٢٠٠ راجل .

ومجموع غنائم الفرسان وقد أخذ كل منهم ١٥٠٠ درهم × ١٨٠٠ فارس = ٢٫٧٠٠٫٠٠٠ درهم

ومجموع غنائم الراجلين وقد أخذ كل منهم ⅓ الفارس أى ٥٠٠ درهم أى ١٦٢٠٠ راجل × ٥٠٠ درهم = ٨٫١٠٠٫٠٠٠ درهم

---

(٣١) الطبرى جزء ٣ مرجع سابق ص ٣٥٧ .
(٣٢) الطبرى جزء ٣ مرجع سبق ص ٣٥٨ .

ويكون مجموع غنائم المقاتلين المسلمين وهو يمثل ٤/٥ الغنائم
= ٠٠٠ر٨٠٠ر١٠ درهم

قيمة ١/٥ الغنائم الذى أرسله خالد للمدينة طبقا لآية الخمس
= ٠٠٠ر٧٠٠ر٢ درهم

مجموع غنائم امغيشيا = ٠٠٠ر٥٠٠ر١٣ درهم

ويكون ما حققه المسلمون من غنائم فى موقعتين من مواقع العراق وهما ذات السلاسل والثنى وامغيشيا ٩ ملايين درهم + ١٣½ مليون درهم = ٢٢½ مليون درهم ٠

ـ وفى واقعة اليرموك بالشام كان عدد المجاهدين ٤٦٠٠٠ مقاتل ٠

وكان سهم الفارس يومئذ ألفا وخمسمائة(٣٣) ٠

فبافتراض أن عدد الفرسان ١٠٪ من عدد المجاهدين يكون عدد الفرسان ٤٦٠٠ فارس وعدد الراجلين ٤١٤٠٠ راجل

ويكون مجموع غنائم الفرسان وقد أخذ كل منهم ١٥٠٠ درهم أى ٤٦٠٠ × ١٥٠٠ = ٠٠٠ر٩٠٠ر٦ درهم

ويكون مجموع غنائم الراجلين وباعتبار نصيب الراجل ⅓ نصيب الفارس أى ٤١٤٠٠ × ٥٠٠ = ٠٠٠ر٧٠٠ر٢٠ درهم ٠

ويكون مجموع غنائم المقاتلين هو يمثل ٤/٥ الغنائم

= ٠٠٠ر٦٠٠ر٢٧ درهم

قيمة الخمس الذى يؤول لبيت مال الدولة الاسلامية

= ٠٠٠ر٩٠٠ر٦ درهم

مجموع غنائم واقعة اليرموك = ٠٠٠ر٥٠٠ر٣٤ درهم

---

(٣٣) المرجع السابق ص ٤٠٠ ٠

وهكذا كانت فتوحات الاسلام فى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه خيرا وبركة باعلاء دين الله وبالأموال التى آلت لبيت مال المسلمين ممثلة فى خمس الغنائم ونصيب المجاهدين من الغنائم وكان مرتفعا . وهذا غير ما أخذه الأدلاء والنساء اللائى ساعدن فى المعركة .

النفال من الطعام فى عهد الصديق :

لما هزم الفرس فى واقعة أليس وأخلوا عن عسكرهم ورجع المسلمون من طلبهم ودخلوه وقف خالد على الطعام فقال : قد نفلتموه فهو لكم .

وقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتى على طعام مصنوع نفله وقد نفل يوم خيبر الخبز والطبيخ والشواء(٣٤) .

فقعد عليه المسلمون لعشائهم بالليل ، وجعل من لم ير الأرياف ولا يعرف الرقاق يقول :

« ماهذه الرقاق البيض ؟! »

وجعل من قد عرفها يجيبهم ، ويقول لهم مازحا :

« هل سمعتم برقيق العيش » ؟

فيقولون : « نعم »

فيقول : « هو هذا » .

فسمى الرقاق وكانت العرب تسميه القرى(٣٥) .

هذا وما ذكره خالد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتى على طعام مصنوع نفله فمن ذلك ما حدث فى موقعة خيبر ، ففى أثنائها أتى بنى سهم من أسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٣٤ ، ٣٥) الطبرى جزء ٢ — مرجع سابق — ص ٢٥٧ .

فقالوا : يارسول الله والله لقد جهدنا ، وما بأيدينا شيء ، فلم يجدوا عند رسول الله شيئا يعطيهم اياه .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم داعيا الله : « اللهم انك قد عرفت حالهم وأن ليست بهم قوة وأن ليس بيدى شيء أعطيهم اياه ، فافتح عليهم حصونها اكثر طعاما وودكا »

فغدا الناس ففتح الله عليهم حصن الصعب بن معاذ وما بخيبر حصن أكثر طعاما وودكا منه(٣٦) .

اعطاء طيلســـان مرصع من الغنائم للحسن :

كان مما أرسله خالد بن الوليد الى الصـــديق في الغنائم طيلسان مرصع وهو كساء أخضر ثمين يلبسه رؤســـاء الفرس ووجهاؤهم وكان خالد قد غنمه من قرية اسمها بانقيا في ناحية من نواحي الكوفة فأعجب الطيلسان أبا بكر رضى الله عنه ، فكساه الحسن بن على عليهما السلام(٣٧) .

ولعل مما حدا بالصديق أن يؤثر الحسن بالطيلسان تذكره قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » ولأنه من أهل البيت الذين قال فيهم الله جل وعلا :

« انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهـــل البيت ويطهركم تطهيرا » (الأحزاب / من ٣٣)

انفال من الثياب في عهد الصديق وموعظة :

كان من بين خمس الغنائم الذى أرسل للصـــديق حلل فاخرة للثريات من نساء العجم والروم فوزع الصديق تلك الحلل بالتساوى بين نساء المدينة وفيهن أمهات المؤمنين ، أزواج النبى رضى الله عنهن .

---

(٣٦) انظر كتابنا « السياسة المالية للرسول » ــ مرجع سابق ــ ص ١٠٧ .

(٣٧) الصديق أول الخلفاء ــ مرجع سابق ــ الفصل الخامس .

ونال السيدة عائشة رضي الله عنها ثوب من الديباج الموشى وكان طويلا لا عهد لنساء المدينة به وكان لاحــــدى الأميرات ، فبدا عليها وكأنها تختال به ٠

قالت عائشة رضي الله عنها تصف ما كان منها ومن الخليفة فى أمر هذه الثياب :

« لبست ثيابى ، فطفقت أنظر الى ثيابى وذيلى ، فدخل أبو بكر على :

فقال : ياعائشة ، أما تعلمين ان الله لا ينظر اليك الآن

قلت : ومم ذاك ؟

قال : أما علمت ان العبد اذا دخله العجب بزينة الدنيا مقته ربه عز وجل حتى يفارق هذه الزينة ؟

فنزعته عائشة ، فتصدقت به

قال أبو بكر : عسى الله أن يكفر عنك »(٣٨)

تنظيم توزيع الغنائم فى ارض المعركة :

كان الصديق رضي الله عنه يختار للمعــــركة قائدها ويعظه ويفوضه فى أمر المعركة ويكل اليه تحقيق النصر ، وبعد النصر يتولى تجميع الغنائم مسئول ويقال لما جمع من الغنائم (الاقباض) ، ففى معركة اليرموك كان على الاقباض عبد الله بن مسعود ، وبعد نهاية المعركة يقوم القائد بتجنيب خمس الغنائم وارساله مع مسئول الى الخليفة وتوزيع الباقى على من يستحقه ٠ وكان يجوز للقائد فى عهد الصديق النفل من الخمس قبل أرساله ٠

---

(٣٨) المرجع السابق ـ الفصل الثامن ٠

وفى ذلك يقول الطبرى :

« ولما انتهى الخبر الى خالد عن قارن قسم الفىء على من أفاءه الله ، ونفل من الخمس ماشاء الله وبعث ببقيته وبالفتح الى أبى بكر .. »(٣٩) .

وفى موضع آخر يقول :

« وبعث خالد بالاخماس الا ما نفل منها مع عمير بن سـعد الانصارى وبمسيره الى الشام »(٤٠) .

جواز المفاضلة فى توزيع الغنائم :

كان من اجتهاد الصـديق فى توزيع الغنائم بين الغانمين أن الغنيمة لا تضاف للغانمين اضافة الملك ، ولكن لهم فى الغنيمة حقا ليس لغيرهم ممن لم يحاربوا ، من أجل ذلك أصبح للامام الأعظم وهو ولى الأمر أن يرتب الغنائم ويقدم امرا على أمر ، ويفضل أحد الغانمين على آخر ، وأمر الصديق كذلك امراء جيوشه أن يفضلوا من الغانمين اولئك الذين أبلوا فى الحرب بلاء حسنا ، وأن يقدموا المجاهدين بقدر بذلهم وبلائهم فى الحرب .

ولقد آثر الصديق رجلا أرسله اليه خالد بن الوليد يبشره بالنصر على الفرس فى احد المعارك المضنية ومعه الغنائم والسبايا فأهداه احدى الجوارى(٤١) .

وقد رأينا كيف آثر الحسن بالطيلسان .

---

(٣٩) الطبرى ــ مرجع سابق ــ ص ٣٥١ .

(٤٠) المرجع السابق ص ٤٠٨ .

(٤١) الصديق أول الخلفاء ــ مرجع سابق ــ الفصل السابع .

قراءة سورة الأنفال عند اللقاء تبارك تحقيق النصر والغنائم :

وفى عهد الصديق ، أحيا قواد الجيوش سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد سن الرسول بعد غزوة بدر أن تقرأ سورة الجهاد عند اللقاء ، وهى الأنفال ، وفى موقعة اليرموك كان القارىء المقداد(٤٢) .

والواقع أن السورة تضمنت من الآيات ما ينظم أحكام القتال والاستعداد له والجنوح للسلم ان جنح الأعداء ومقام القوة المعنوية فى تحقيق النصر وأحكام غنائم الحرب ، وفيمايلى بعض سور آية الانفال وأهدافها :

الاســـتعداد للقتال :

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شيء فى ســـبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون » (الأنفال / ٦٠) .

حـــالة الجنـــوح للســـلم :

« وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم » (الأنفال / ٦١)

وجوب القتال لمنع الفتنة ويكون الدين لله :

« وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير) (الأنفال / ٣٩) .

---

(٤٢) الطبرى ـ مرجع سابق ـ ص ٣٩٧ .

الثبـــات عند اللقـــاء :

« يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » (الأنفال / ٤٥)

النهي عن تولي الأدبار :

« يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار » (الأنفال / ١٥)

رفع الروح المعنوية بتذكر أيام الرسول :

« واذكروا اذ أنتم قليل مســـتضعفون فى الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون » (الأنفال / ٦)

الصـــبر في القتال من عوامل النصر :

« يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون » (الأنفال / ٦٥)

« الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا ، فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين » (الأنفال / ٦٦)

الملائكة عاونوا المجاهدين :

« اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم انى ممدكم بألف من الملائكة مردفين » (الأنفال / ٩)

النصـــر من عند الله :

« وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم » (الأنفال / من ١٠)

توزيع الغنـــائم :

« واعلموا انما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السـبيل ان كنتم آمنتم بالله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان ، يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير » (الأنفال / ٤١)

الغنيمة حلال طيبة :

« فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم » (الأنفال / ٦٩)

أســـرى المعـــارك :

« ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم » (الأنفال / ٦٧)

الفصــــل الثانى

توالى الايرادات العامة من الجزية
في عهد الصديق

كلمة عامة عن الجزية :

عرفت الجــــزية قبـــل الاســــلام عنــد الرومان والفرس والبيزنطيين واســـتندت في الاسلام الى الآية التاسعة والعشرين من سورة التوبة التي نزلت في السنة التاسعة من الهجرة وهى عبارة عن ضــــريبة ســـنوية على أهل الكتاب الذين احتفظوا بدينهم ولم يستجيبوا لدعوة الاسلام وظلوا مستوطنين فى الدولة الاسلامية يتمتعون بالامان على أنفسهم وأموالهم وذرياتهم وبسائر الخدمات العامة للدولة الاسلامية وتفرض على الرجال القادرين على القتال طبقا لدرجة يسارهم . وترفع عنهم الجزية اذا اسلموا ، فليس على مسلم جزية ، وتحصل نقدا أو عينا ويراعى فى تحصيلها الرفق فلا يعذب أهل الذمة عند تحصيلها ولايؤخذ فى الجزية الميتة والخنزير والخمر ، ويمكن تأخير تحصيلها من أهل الكتاب لوقت ظهور غلاتهم من باب الملاءمة والرفق فى التحصيل ، وفى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حصلت الجزية من المجوس لأن لهم شبهة كتاب وألحقوا بالكتابيين ·

وقد نفذ الرسول صلى الله عليه وسلم أية الجزية على النحو الذى سبق ايضاحه(١) فسن بذلك لمن جاء بعده فسار على سنته أبوبكر الصديق رضى الله عنه ، فكان قواده يدعون أهل الكتاب للاسلام أولا فاذا أسلموا فلهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ، واذا أبوا يدفعون جزية للدولة الاسلامية فاذا أبوا حل قتالهم ··

نموذج عملى لاعلان أهل الكتاب قبل القتال :

وفيما يلى نموذج لما كان خالد بن الوليد أحد قواد أبى بكر الصديق يعلن به الناس من أهل الكتاب قبل الحرب ، ففى واقعة اليرموك جرى النقاش التالى بين خالد بن الوليد وجرجة وكان مقدم عسكر الروم بعد أن أمن كل منهما صاحبه :

فقال جرجة : ياخالد أصدقنى ولا تكذبنى فان الحر لا يكذب فان الكريم لا يخادع المسترسل بالله ، هل أنزل الله على نبيكم سيفا من السماء فأعطاكه ، فلا تسله على قوم الا هزمتهم ؟

قال خالد : لا ··

قال جرجة : فبما سميت سيف الله المسلول ؟

قال خالد : ان الله عز وجل بعث فينا نبيه صلى الله عليه وسلم فدعانا فنفرنا عنه ونأينا عنه جميعا ثم ان بعضنا صدقه وتابعه ، وبعضنا باعده وكذبه ، فكنت فيمن كذبه وباعده وقاتله ، ثم ان الله أخذ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به فتابعناه ، فقال : أنت سيف من سيوف الله سله الله على المشركين ! ودعا لى بالنصر فسميت سيف الله بذلك ، فأنا من أشد المسلمين على المشركين ·

قال جرجة : صدقتنى ، ياخالد أخبرنى الام تدعونى ؟

قال خالد : الى شـــــهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، والاقرار بما جاء به من عند الله ·

---

(١) يرجع للآية فى الفصل الثانى من الباب الثانى من هذا الكتاب ·

قال جرجة : فمن لم يجبكم ؟

قال خالد : فالجزية ونمنعهم

قال جرجة : فان لم يعطها ؟

قال خالد : نؤذنه بحرب ثم نقاتله

قال جرجة : فما منزلة الذى يدخل فيكم ويجيبكم الى هذا الامر اليوم ؟

قال خالد : منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا شريفنا ووضيعنا وأولنا وآخرنا ٠

قال جرجة ٠ هل من دخل فيكم اليوم ياخالد مثل مالكم من الأجر والذخر ؟

قال خالد : نعم وأفضل ٠٠

قال جرجة : وكيف يساويكم وقد سبقتموه ؟

قال خالد : انا دخلنا فى هذا الامر وبايعنا نبينا صلى الله عليه وسلم وهو حى بين اظهرنا تاتيه أخبار السماء ويخبرنا بالكتب ويرينا الآيات ، وحق لمن رأى ما رأينا وسمع ماسمعنا ان يسلم ويبايع ، وانكم انتم لم تروا مارأينا ولم تسمعوا ماسمعنا من العجائب والحجج ، فمن دخل هذا الأمر منكم بحقيقة ونية كان افضل منا ٠

قال جرجة : بالله صدقتنى ولم تخادعنى ولم تألفنى

قال خالد : بالله لقد صدقتك ومابى اليك ولا الى أحد منكم حاجة ، وان الله لولى ما سألت عنه ٠

فقال : صدقتنى ٠٠

وأسلم جرجة وانضم لجيش الاسلام بعد أن تطهر وصلى ركعتين وقتل اثناء القتال ولم يصل بعد اسلامه ألا الركعتين(٢) ٠

---

(٢) الطبرى جزء ٣ ـ مرجع سابق ـ ص ٣٩٨ ـ ٤٠٠ ٠

الجـــزية أحيانا هى الحـــل لأهل الكتاب المقســـهم :

يعترض بعض أهل الكتاب على الجزية باعتبارها صـــغار ، والواقع أنها مشاركة منهم فى الأعباء العامة بعد ما آثروا الاحتفاظ بدينهم وعدم القتال والدخول فى ذمة الدولة الاسلامية مما يتيح لهم الأمن والأمان والتمتع بالخدمات العامة للدولة ، وقد كان فى رأى هرقل لمابدأت جحافل المسلمين بفتح الشام فى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه أن الجزية هى الحل .

فقد كان هرقل وقتئذ ببيت المقدس أتاها حاجا ، فبينما هو مقيم أتاه الخبر بقرب الجنود منه فجمع الروم وقال : أرى من الرأى الا تقاتلوا هؤلاء القوم ، وأن تصالحوهم ، فوالله لأن تعطوهم نصف ما أخرجت الشام ، وتأخذوا نصفا وتقر لكم جبال الروم خير لكم من أن يبلغوكم على الشام ، ويشاركوكم فى جبال الروم .

ولكن قومه عصوه ، فلما هزموا

قال هرقل لجلسائه : ألم أقل لكم لاتقاتلوهم ! فانه لا قوام لكم مع هؤلاء القوم ، أن دينهم دين جديد يجدد لهم ثبارهم(٣) ، فلا يقوم لهم أحد حتى يبلى .

فقالوا . قاتل عن دينك ولا تجبن الناس واقض الذى عليك

قال : وأى شىء أطلب الا توقير دينكم(٤) .

تحليل نموذج عملى لشروط الصلح على الجزية فى عهد الصديق :

مضى خالد بن الوليد رضى الله عنه الى الحيرة فقال لهم خالد :

---

(٣) الثبار على الأمر : المواظبة عليه .

(٤) الطبرى جزء ٣ : ص ٤٠٢ ، ٤٠٣ .

« أدعوكم الى الله والى الاسلام فان انتم فعلتم فلكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم، وان أبيتم فاعطوا الجزية ، فان أبيتم فقد أتيتكم بقوم هم أحرص على الموت منكم على الحياة » .

فقال ممثلهم بعد مناقشات عديدة :

« مالنا فى حربك من حاجة ومانريد أن ندخل معك فى دينك ، نقيم على ديننا ونعطيك الجزية » .

فصالحوه على ستين ألفا

ورحل على ألا يهدم لهم بيعة ولا كنيسة ولا قصرا من قصورهم التى كانوا يتحصنون بها اذا نزل بهم عدو لهم ولا يمنعون من ضرب النواقيس ولا من اخراج الصلبان فى يوم عيدهم وعلى ألا يستملوا على تغبة(٥) ، وعلى أن يضيفوا من مر بهم من المسلمين مما يحل لهم من طعامهم وشرابهم وكتب بينهم هذا الكتاب .

« بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من خالد بن الوليد لأهل الحيرة ، أن خليفة رسول الله صلى الله عليهوسلم أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه أمرنى أن أسير بعد منصرفى من أهل اليمامة الى أهل العراق من العرب والعجم بأن أدعوهم الى الله جل ثناؤه والى رسوله عليه السلام وأبشرهم بالجنة وأنذرهم من النار فان أجابوا فلهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين ، وانى انتهيت الى الحيرة فخرج الى اياس ابن قبيصة الطائى فى أناس من أهل الحيرة من رؤسائهم ، وانى دعوتهم الى الله والى رسوله فأبوا أن يجيبوا فعرضت عليهم الجزية أو الحرب .

فقالوا . لا حاجة لنا بحربك ولكن صالحنا على ما صالحت عليه غيرنا من أهل الكتاب فى اعطاء الجزية وانى نظرت فى عدتهم فوجدت عدتهم سبعة آلاف رجل ثم ميزتهم فوجدت من كانت به زمانة

---

(٥) التغبة بسكون الغين : القبيح والريبة وبالتحريك الفساد والهلاك .

ألف رجل فأخرجتهم من العدة ، فصار من وقعت عليه الجزية ستة آلاف ، فصالحوني على ستين ألفا ، وشرطت عليهم عهد الله وميثاقه الذي أخذ على أهل التوراة والانجيل :

أن لا يخالفوا ولا يعينوا كافرا على مسلم من العرب ولا من العجم ولا يدلوهم على عورات المسلمين ، عليهم بذلك عهد الله وميثاقه الذي أخذه أشد ما أخذه على نبي من عهد أو ميثاق أو ذمة فان هم خالفوا فلا ذمة ولا أمان ·

وان هم حفظوا ذلك ورعوه وأدوه الى المسلمين فلهم ما للمعاهد وعلينا المنع لهم ·

فان فتح الله علينا فهم على ذمتهم لهم بذلك عهد الله وميثاقه أشد ما أخذ على نبي من عهد أو ميثاق وعليهم مثل ذلك لا يخالفون ·

وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنيا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين وعياله ما أقام بدار الهجرة ودار الاسلام · فان خرجوا الى غير دار الهجرة ودار الاسلام فليس على المسلمين النفقة على عيالهم ،

وأيما عبد من عبيدهم أسلم أقيم في أسواق المسلمين فبيع بأعلى ما يقدر عليهم في غير الوكس ولا تعجيل ، ودفع ثمنه الى صاحبه ·

ولهم كل ما لبسوا من الزي الا زي الحرب من غير أن يتشبهوا بالمسلمين في لباسهم ، وأي رجل منهم وجد عليه من زي الحرب سئل عن لبسه ذلك ، فان جاء منه بمخرج والا عوقب بقدر ما عليه من زي الحرب ·

وشرطت جباية ما صالحتهم عليه حتى يؤدوه الى بيت مال المسلمين عمالهم منهم ، فان طلبوا عونا من المسلمين أعينوا به ومئونة العون من بيت مال المسلمين »(٦) ·

---

(٦) كتاب الخراج للقاضي أبي يوسف يعقوب بن ابراهيم صاحب الامام أبي حنيفة ــ الطبعة السلفية ــ ص ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ·

فكانت جزية الحيرة أول جزية حملت من أرض المشرق وأول مال قدم به من المشرق على أبى بكر الصـــديق رضى الله تعالى عنه(٧) ٠

ومن تحليل الكتاب السابق يتبين أن التطبيق العملي للجزية فى عهد الخليفة أبى بكر الصديق رضى الله عنه قام على الأســس التالية :

ـ دعوة أهل الكتاب للاسلام فان أسلموا فلهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين وان أبوا فعليهم الجزية فان أبوا حل قتالهم ـ وهذا هو مافعله خالد بن الوليد رضى الله عنه مع أهل الحيرة ويستند ذلك الى آيتين من القرآن الكريم وهما :

« لا أكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم » (البقرة / ٢٥٦)

« قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » (التوبة / ٢٩)

ـ اذا أبوا الاسلام وفضلوا البقاء على دينهم أعلنوا ذلك لقائد جيش الاسلام وأبدوا استعدادهم لاعطاء الجزية ـ وهذا هو ما أبداه ممثلو أهل الحيرة ٠

ـ يقوم قائد جيش الاسلام ومعاونوه بتحديد الخاضــعين للجزية، وهم الرجال ، ولا تفرض على النساء والأطفال لأن الرجال هم الذين يقاتلون عادة والنساء والأطفال لا يقاتلون ، ويعفى من الجزية الذين لا يستطيعون القتال من الرجال بســبب ما بهم من العاهات وهذا ما فعله خالد بن الوليد رضى الله ، فوجد أن عدد الرجال سبعة آلاف رجل ، ثم استبعد من كانت به زمانة أى عاهة وعددهم ألف رجل فكان الخاضعون للجزية ستة آلاف رجل ٠

---

(٧) المرجع السابق ص ١٥٤ ٠

ـ لم تحدد آية الجزية فئة محددة يخضع لها أهل الكتاب ، فترك ذلك لظروف كل حالة ودرجة يســـار كل اقليم ، وقد حددها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أحد كتبه لأهل الكتاب (بدينار واف أو قيمته من المعافر (ثياب اليمن) أو عرضـــه (عرضه) ثيابا[8] » • وحددها الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه بمراعاة درجة يسار الخاضعين لها فجعلها تصاعدية على أساس •

٤٨ درهما على الموسر وهو صاحب الحرفة

٢٤ درهما على متوسط الحال وهو الأقل كسبا

١٢ درهما على العامل بيده مثل الخياط والصباغ والاسكافى ومن شابههم[9] •

وحددها خالد بن الوليد رضى الله عنه بعشر دراهم عن كل رجل وكانت الجزية المستحقة على أهل الحيرة كلهم ستين ألف درهم •• فجعلها ثابتة الفئة ولم تكن تصاعدية •

ـ تنقص حصيلة الجزية خلال سريان التصالح بمقدار ما ترفع عن الفئات التالية التى حددها خالد بن الوليد بسبب ماطرأ على حالتهم من تغير :

الشيوخ الذين ضعفوا عن العمل

الشيوخ الذين أصابتهم آفة من الآفات

---

(٨) أنظر كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم للحارث بن كلال وآخرين ورد بكتابنا السياسة المالية للرسول ص ١٤١ وكتابه صلى الله عليه وسلم لوفد بنى الحارث بن كعب ص ١٤٢ ، ١٤٣ من الكتاب .

(٩) أنظر كتابنا المالية العامة للدولة الاسلامية ـ اصــدار معهد الدراسات الاسلامية ـ طبعة رابعة ص ١٨٤ نقلا من كتاب الخراج لأبى يوسف ص ٦٩ ، ٧٠ .

الشيوخ الذين كانوا أغنياء فافتقروا وصار أهل دينهم يتصدقون عليهم ويعولهم بيت مال المسلمين ماداموا مقيمين بدار الاســـلام فيتكفل بنفقات الاعالة

— عبيد أهل الكتاب الذين يعتنقون الاسلام يصيرون أحرارا ويعوض أهل الكتاب عنهم بأن يدفع ثمنهم لأصحابهم ·

— يقوم أهل الحيرة بجباية ما استحق عليهم وتوريده لبيت مال المسلمين واذا طلبوا عونا فى الجباية تعينهم الدولة الاسلامية ، ويتحمل بيت مال المسلمين نفقات المساعدة فى الجباية ·

— رتب الــــكتاب الذى كتبه خالد بن الوليد رضى الله عنه الحقوق التالية لأهل الكتاب :

لا تهدم لأهل الكتاب بيعة ولا كنيسة ولا يمنعون من ضرب النواقيس ولا من اخراج الصلبان فى يوم عيدهم ·

ويصيرون فى ذمة الدولة الاسلامية وعلى الدولة المنع لهم ·

— رتب الكتاب أيضا واجباتهم وهى :

لا يشتملوا على تغبة أى افساد أو اهلاك

ويضيفون من مر بهم من المسلمين مما يحل لهم من طعامهم وشرابهم ··

ولا يلبسون زى الحرب ··

المبادىء المستخلصة من النموذج السابق لشروط الصــــلح على الجزية :

وبذلك يكون التصالح الذى عقده خالد بن الوليد رضى الله عنه قام على المبادىء السامية التالية :

ســـماحة الاســـلام :

ويتمثل ذلك فى عدم اكراه أهل الكتاب على اعتناق الاسلام وكفالة الحرية لهم فى أداء تعاليم دينهم ، وتمتعهم بحقوق المسلمين

من الحماية والامان وغيرها من الخدمات العامة بسبب دخولهم فى ذمة المسلمين ٠

العـــدالة المـــالية :

ويتمثل ذلك فى قصر الجزية على الرجال ورفعها عن الشيوخ اذا ألمت بهم ما يقعدهم عن الكسب وتحمل بيت المال مصـــاريف الجباية اذا طلب أهل الكتاب معاونتهم فى الجباية ٠

المـــرونة المـــالية :

تحددت قيمة الجزية بفئة ثابتة على كل رجل ، ويورد اقليم الحيرة الحصيلة الكلية للدولة الاسلامية ، ويمكن لرؤساء الاقليم اعادة توزيع العبء على الرجال طبقا لدرجة يسارهم بحيث يوردون القيمة الاجمالية المستحقة لبيت مال المسلمين ، وبذلك اتسم الاتفاق بالمرونة المالية ٠

تحـــرير العبيد :

تضمن الاتفاق نظاما بمقتضـــاه يعتق عبيد أهل الكتاب اذا اعتنقوا الاسلام بعد تعويض أصـــحابهم ، وبذلك يتمتعون بكامل حقوقهم السياسية كسائر المسلمين ٠

ايصالات باداء الجزية(١٠) :

وكان عمال الجزية يكتبون البراءات لأهلها لاثبات قبضها ، وكانت من نسخة واحدة وهذا نصها :

---

(١٠) المرجع السابق ص ٣٦٩ ٠

« بسم الله الرحمن الرحيم

براءة لمن كان من كذا وكذا من الجزية التى صالحهم عليها الأمير خالد بن الوليد ، وقد قبضت الذى صالحهم عليه خالد ، وخالد والمسلمون لكم يد على من بدل صلح خالد ما أقررتم بالجزية وكففتم • أمانكم أمان وصلحكم صلح ، نحن لكم على الوفاء » •

وكان يشهد على الكتاب نفر ممن أشهدهم خالد على الصلح •

اعلان رؤساء البلاد الأهالى بأداء الجزية(١١) :

وكان أهل البلاد يكتبون كتابا للأهالى بأدائهم الجزية المستحقة على النحو السابق ايضاحه •

الصديق يرفض هدايا وردت مع الجزية ويدخلها فى حسابها(١٢) :

لما عاهد نقباء أهل الحيرة خالد بن الوليد على دفع الجزية دفعوها وأهدوا له هدايا فبعث بالجزية والهدايا الى أبى بكر رضى الله عنه ، فقبلها أبو بكر ولكن من الجزية ، وكتب لخالد أن « أحسب لهم هديتهم من الجزية الا أن تكون من الجزية ، وخذ بقية ما عليهم نقو بها أصحابك » •

فمن هذا يبين أن الخليفة لم يقبل الهدية الا أن تكون من حساب الجزية فتصبح من حقوق بيت المال ، وأصدر بذلك تعليمات لخالد بن الوليد ليحسب لهم هديتهم من الجزية الا اذا كانت حسبت فعلا من المبالغ التى أرسلها اليه ، مما يظهر مدى تعفف الخليفة عن الأموال العامة ورفضه هدايا متعلقة بأعمال الدولة •

كما أن الخليفة وجه الباقى المستحق على أهل الكتاب من الجزية لتقوية جيوش المسلمين فهى نفقة عامة من الايرادات العامة للدولة •

---

(١١) المرجع السابق ص ٣٦٩ •

(١٢) المرجع السابق ص ٣٦٢ •

تقويه بعض رؤساء الحيرة من اهل الكتاب عن جزية المسلمين :

بعد أن صالح خالد بن الوليد أهل الحيرة عن الجزية وتركها لمواصلة الفتوحات الاسلامية أذاع رؤساء الحيرة من أهل الكتاب ، كتابا ينوهون فيه عن المسلمين ويوضحون أن الجزية نظير منع المسلمين البغى عنهم .

فقد ورد بالكتاب :

« انا قد أدينا الجزية التى عاهدنا عليها خالد العبد الصالح والمسلمون عباد الله الصالحون ، على أن يمنعونا وأميرهم البغى من المسلمين وغيرهم »(١٣) .

امهال الذميين لاداء الجزية فى عهد الصديق :

الجزية ضريبة على الرؤوس وجمعها يتطلب وقتا لتحصيلها ممن يقع عليهم عبؤها ، وفى جزية الحيرة تم جمعها فى خمسين يوما ، وكان خالد بن الوليد قد جعل رؤوس الدساتيق رهنا فى يده لضمان الوفاء والأداء(١٤) .

عمال الجزية فى عهد أبى بكر الصديق(١٥) :

فى عهد أبى بكر الصديق ، وبعد عقد الصلح بين أهل الكتاب على أداء الجزية ، كان القائد الذى يعقد الصلح مع أهل الكتاب متضمنا دفع الجزية ، يعين بالبلاد عمالا لقبض الجزية المتفق عليها ، وفيما يلى بعض عمال خالد بن الوليد الذين عينهم لقبض الجزية :

عبد الله بن وثيمة النصرى : نزل بالفلاليج لقبض الجزية

---

(١٣) الطبرى — مرجع سابق — ص ٣٧١ .

(١٤) الطبرى — مرجع سابق — ص ٣٧٠ .

(١٥) الطبرى جزء ٣ — مرجع سابق — ص ٣٧١ .

جرير بن عبد الله : عينه على بانقيا وبسما

بشير بن الخصاصية : عينه على النهرين

وسويد بن مقرن المزنى : عينه على نستر

وأط بن أبى أط : عينه على روزمستان

نماذج من قيمة جزية بعض البلاد فى عهد الصديق :

فيما يلى نماذج أخرى من الجزية التى تصالح عليها خالد بن الوليد أثناء فتوحاته فى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه :

جـــزية أهل السيس :

ـ « ثم بعث (أى خالد بن الوليد) طليعة له الى أهل السيس وفيها حصن فيه رجال مسلحة لكسرى فحاصرهم وفتح الحصـــن وأخرج من فيه من الرجال وضرب أعناقهم وسبى نساءهم وذراريهم وأخذ ما كان فيه من المتاع والسلاح وهدم الحصن وأحرقه .

فلما رأى أهل السيس ذلك وما صنع خالد بأهل الحصن طلبوا منه الصلح على أداء الجزية فأعطاهم فأدوا اليه الجزية »(١٦) .

جزية أهل قرية أسفل الفرات :

ـ « ثم أن خالد مضى الى قرية أسفل الفرات يقال لها بانقيا وفيها رجال مسلحة لكسرى فى حصن فحاصرهم ، فافتتح الحصن وقتل من فيه من الرجال وسبى نساءهم وذراريهم وأخذ ما كان فيه من المتاع والسلاح وأحرق الحصن وهدمه ، فلما رأى ذلك أهل القرية طلبوا الصلح منه على أداء الجزية ، فكان من ولى الصلح

---

(١٦) وردت بكتاب الخراج للقاضى ابى يوسف ـ مرجع سابق ـ ص ١٤٢ .

عنهم هانىء بن جابر الطائى فصـــالحه عنهم على ثمـــانين ألف درهم »(١٧) .

جـــزية أهل بانقيـــا :

ـ « ثم سار (أى خالد بن الوليد) حتى نزل بانقيا على شط الفرات فقاتلوه ليلة الى الصباح وحاصرهم واشتد قتالهم فافتتحها بقوة الله تعالى وعونه . وفيها أساورة كان كسرى صيرهم فيها ، فقتلهم وسبى ذراريهم ونساءهم وأحرق الحصن وهدمه ، فلما رأى أهل بانقيا ذلك طلبوا الصـــلح منه فأعطاهم ، ثم بعث جرير بن عبد الله الى قرية بالسواد ، فلما اقتحم الفرات ليعبر الى أهل القرية ناداه دهقانها صلوبا : « لا تعبر أنا أعبر اليك » .

فعبر اليه فصالحه على مثل ما صالحه عليه أهل بانقيا وأعطاه الجزية »(١٨) .

جـــزية أهل ماروســـما :

ـ وصالحه أهل ماروســـما وما حولها من القرى على ما صالحه عليه أهل الحيرة(١٩) .

الصـــديق أخـــذ الجـــزية من المجوس :

كان المجوس قوماً يعبدون النار ليسوا يهوداً ولا نصـــارى ولا أهل كتاب ، وقد قال على بن أبى طالب أن رسول الله وأبا بكر وعمر أخذوا منهم الجزية .

واستند أبو بكر فى ذلك الى ما روى عن أبى عبيدة ، فقد قال :

كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المنذر بن ساوى

(١٧ ، ١٨ ، ١٩) المرجع السابق ص ١٤٥ .

« أن من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم له ذمة الله وذمة رسوله ، فمن أحب ذلك من المجوس فهو آمن، ومن أبى فعليه الجزية »(٢٠)

وقد كان المجوس أهل كتاب ثم عبدوا النار ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم الجزية لأهل كتابهم وحرم مناكحتهم وذبائحهم لشركهم(٢١) .

الجزية في عهد الصديق كانت أحيانا عينية :

كانت الجزية تؤدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم نقدا أي عينا ، وقد سار الصديق رضى الله عنه على سنة الرسول ، فلما أتى خالد بن الوليد دمشق ، تصدى له صاحب بصرى وجماعته ، غظفر بهم خالد بن الوليد وهزمهم فدخلوا حصنهم وطلبوا الصلح فصالحهم ودفعوا الجزية عن كل شخص دينارا وجريب حنطة كل عام(٢٢) .

اقرار الصديق شروط جزية اهل نجران مع الرسول :

لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أتى أهل نجران أبا بكر الصديق رضى الله عنه ، وقدموا له كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم بالصلح معهم ونصه كما يلى(٢٣) :

« بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما كتب محمد النبى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل نجران ، اذ كان له حكمه عليهم :

---

(٢٠) الخراج لأبى يوسف — مرجع سابق — ص ١٣١ .
(٢١) المرجع السابق ص ١٣٠ .
(٢٢) الطبرى — جزء ٣ — مرجع سابق ص ٤١٨ .
(٢٣) كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورد بكتاب الأموال لأبى عبيد ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ .

أن في كل سوداء وبيضاء وحمراء وصفراء وثمرة ورقيق ، وأفضل عليهم(٢٤) وترك ذلك لهم : ألفي حلة وفي كل رجب ألف حلة كل حلة أوقية ، مازاد الخراج أو نقص فعلى الأواقي فليحسب ، وما قضوا من ركاب أو خيل أو دروع أخذ منهم بحساب(٢٥) . وعلى أهل نجران مقرى رسلى(٢٦) عشرين ليلة فما دونها : وعليهم عادية ثلاثين فرسا وثلاثين بعيرا وثلاثين درعا اذا كان كيدا باليمن ذو معذرة(٢٧) وما هلك مما أعاروا رسلي فهو ضامن على رسلي حتى يؤدوه اليهم ولنجران وحاشيتها(٢٨) ذمة الله وذمة رسوله ، على دمائهم وأموالهم وملتهم وبيعهم ورهبانيتهم وأساقفهم وشاهدهم وغائبهم ، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير ، وعلى ألا يغيروا أسقفا من سقيفاه ، ولا واقها من وقيهاه(٢٩) ولا راهبا من رهبانيته. وعلى أن لا يحشروا ولا يعشروا(٣٠) ولا يطأ أرضهم جيش ، ومن سأل منهم حقا فالنصف بينهم بنجران ، على أن لا يأكلوا الربا(٣١)، فمن أكل الربا من ذي قبل فذمتي منه بريئة وعليهم الجهد والنصح فيما استقبلوا غير مظلومين ولا معنوف عليهم

---

(٢٤) أفضل عليهم يعني تفضل ومن عليهم بترك اموالهم بعد ان صار له الحكم عليهم .

(٢٥) يعني اذا قضوا ما عليهم من خراج هذه الاشياء المذكورة تؤخذ منهم بحالها .

(٢٦) اي ضيافتهم وقراهم .

(٢٧) يعني اذا حصل غدر من أهل اليمن واحتاج المسلمون أن يستعيروا منهم هذه الأشياء للحرب فعليهم أن يعيروهم اياها ترد اليهم بعد الحرب ، واذا تلف منها شيء ضمنه المسلمون .

(٢٨) وحاشيتها : يعني ما يتبعها من القرى والدساكر .

(٢٩) قال ابن الأثير في النهاية (هكذا يروى بالقاف وانما هو بالفاء ولا وافة عن وفيته) والوافة هو القيم على البيت الذي فيه صليب النصارى .

(٣٠) يحشروا يعني يجلوا من أرضهم ويعشروا يعني يؤخذ منهم العشور .

(٣١) حرم عليهم أكل الربا بالذات دون سائر المعاصي حتى لا يقع من يتعامل معهم من المسلمين في أكل الربا .

شهد بذلك عثمان بن عفان ومعقب

تحليل كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جزية أهل نجران :

ومن تحليل كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتضح أن على أهل نجران واجبات ولهم حقوق وذلك على النحو التالى :

واجبـــات أهـــل نجـــران :

- يؤدون كجزية الفى حلة وفى كل رجب ألف حلة
- تقوم كل حلة بأوقية
- تكون الأوقية أساس حساب الخراج
- يجوز أداء الجزية ركاب أو خيل أو دروع
- على أهل نجران ضيافة رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم لمدة عشرين ليلة
- فى حالة غدر أهل اليمن ، وبناء على طلب المسلمين ، يعير أهل نجران المسلمين ثلاثين فرسا وثلاثين بعيرا وثلاثين درعا وإذا تلف منها شىء ضمنه المسلمون ·
- لا يتعامل أهل نجران بالربا

حقوق أهل نجران :

- من رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم بترك أموالهم لهم ولم يصادرها مع أنه له الحكم عليهم ·
- لأهل نجران ولأهل ما يتبعها من القرى الدساكر ذمة الله وذمة رسوله ·

- يأمن أهل نجران وما يتبعهم من القرى والعساكر على أموالهم وملتهم وبيعهم ورهبانيتهم وأساقفتهم ، ويسرى ذلك على الحاضر منهم والغائب .

- لا يغير المسلمون رجال الدين لأهل نجران

- يبقى أهل نجران فى أرضهم ولا يجلون عنها .

- لاتؤخذ منهم عشور

- لا يطأ أرضهم جيش

- انصاف المطالبين بأى حق لهم يكون بنجران .

اقر أبو بكر الصديق كتاب رسول الله لهم وكتب لهم كتابا نحو من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم(٣٢) فضمن لهم حقوقهم اذا أوفوا بالتزاماتهم تنفيذا لعهد رسول الله صلى عليه وسلم واستجابة لقول الله جل وعلا .

« يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » ...) (المائدة من ١)

وقد ظل أهل نجران بالجزيرة العربية طيلة عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، فلما كان عهد عمر بن الخطاب أجلاهم عن نجران لأنهم تعاملوا بالربا فخالفوا بذلك عهدهم ، فأتوا العراق واتخذوا النجرانية وهى قرية بالكوفة مقرا لهم وأوصى عمر رضى الله عنه الأمراء بأن يقطعوهم الأرض لا زرع فيها ولا شجر وليست فى يد أحدليعملوا فيها ، ويرى البعض أن اجلاء عمر لهم انما كان تنفيذا لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين بأن لا يبقى بأرض العرب دينان وأن يخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب(٣٣) .

(٣٢ ، ٣٣) الأموال لأبى عبيد - مرجع سابق - ص ٢٤٥ .

تثبيت الجـــزية فى عهد الخليفة الأول :

مما سبق يتضح أن أبا بكر الصديق ثبت أمر الجزية كما ثبت أمر الزكاة ، وان كانت الزكاة تبرز علاقة المسلمين ببيت المال ، فان الجزية تجسد علاقة أهل الكتاب ببيت مال المسلمين ، والعلاقة الثانية تختلف عن العـــلاقة الاولى ، فبينما علاقة الزكاة تنشأ طيعة من المسلمين لأن اعتناقهم الاسلام يربطهم بالله وبدولة الاسلام ، فان علاقة الجزية تنشأ بين أهل الكتاب من النصارى واليهود وهم على دين غير دين الدولة ، وكانت أعناقهم قد اشرأبت بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليروا ماذا سيتم فى أمر الاسلام والمسلمين ودولتهم بعد أن أتت القبائل المسلمة الا من عصم الله الى أبى بكر الصديق رضى الله تطلب اعفاءها من أداء زكاة الأموال ، فلما بلغهم تصميم أبى بكر وانتصاره على المرتدين ، واعلانه الجهاد وارسال الجيوش لنشر راية الاسلام عرفوا أن الاسلام مستمر ، وأن الله نزل الذكر ، وأنه جل وعلا حافظا له ، فعادت أعناقهم الى الاعتدال بعد أن اشرأبت وأدوا الجزية عن يد وهم صاغرون ٠

رد الجزية لأهل حمص فى عهد أبى بكر :

أوضحنا أن أداء أهل الكتاب الجزية يجعلهم فى ذمة المسلمين يأمنون على إنفسهم وأموالهم ، فاذا تعذر تحقيق هذا الأمان ترد الجزية لدافعيها ، وهذا هو ما فعله أبو عبيدة مع أهل حمص ، عندما شغل المسلمون عن نصرة أهل حمص بسبب حشد المسلمين لمقابلة جيش هرقل فى معركة فاصلة ، فرد أبو عبيدة لهم ما كان قد أخذه منهم من الجزية ٠

فقال المسلمون لأهل حمص : قد شغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم ، فأنتم على أمركم ٠ . . . .

فقال أهل حمص : لولايتكم أحب الينا مما كنا فيه من الظلم والغشم ، ولندفعن جند هرقل عن المدينة مع عاملكم .

وقال اليهود : والتوارة ، لا يدخل عامل هرقل مدينة حمص الا أن نغلب عليها ونجهد فأغلق أهـــل حمص أبواب مـدينتهم وحرسوها (٣٤) .

---

(٣٤) الصديق أول الخلفاء ــ مرجع سابق ــ الفصل الخامس .

سنة الرسول توجه خراج الأرض في عهد الصديق

أنواع الأرضين التي تركها رسول الله :

لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفه أبو بكر الصديق رضى الله عنه كانت أوضاع الأرض العامة والتى آلت للدولة من الفتوحات الاسلامية كما يلى :

ـ أرض بنى النضير وكانت مما افاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ومما لم يوجف المســــلمون عليه بخيل ولا ركاب ، فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ، فكان ينفق منها على أهله نفقة سنة ، وما بقى جعله فى الكراع والسلاح عدة فى سبيل الله .

ـ ارض بنى قريظة وقد آلت للدولة الاســــلامية بعد بعض القتال ، فآل للدولة الاسلامية خمسها طبقا لآية الخمس لله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن الســـبيل والاربعة أخماس الباقية وزعت على المقاتلين .

ـ كما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك أرض خيبر بعد أن افتتحها والمجاهدون عنوة وقسمها على أساس الخمس للمسمين

فى آية الخمس والاربعة اخماس الباقية للفاتحين ، ثم دفع الرسول صلى الله عليه وسلم الارض لاهل خيبر ليعملوها ويكون ثمرها بين المسلمين وبين أهل خيبر بالنصف وتجليهم الدولة الاسلامية فى الوقت التى تريد ٠

ــ كما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح مكة ثم لم يقسمها ولم يجعلها غيئا وقال « ان مكة حرام حرمها الله لا يحل بيع رباعها ولا أجور بيوتها »

نصيب الرســـول فى الارض العامة :

وعلى ذلك يكون للرسول صلى الله عليه وسلم الانصبة التالية فى الارض العامة :

أرض بنى النضير كلها ولكنه صلى الله عليه وسلم اكتفى منها بما ينفق منها على أهله نفقة سنة وما بقى أنفقه على الجهاد فى سبيل الله ٠

سهم الخمس المقرر له طبقا لآية الخمس فى أرض بنى قريظة ٠

سهم الخمس المقرر له طبقا لآية الخمس فى أرض خيبر ٠

وقد ثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان زاهدا وكثيرا ما بات وأهل بيته طاوين من الجوع ، وقد أشارت لذلك أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها فقالت أن الأيام كانت تمر ولا يوقد فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم نار لطهى الطعام ، وشكت أمهات المؤمنين رضى الله عنهن من أنهن لا يجـــدن ما يكفيهن من النفقة والزينة ٠

عدم توريث أرض الرسول وأيلولتها لبيت المال :

ولو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رئيس دولة فقط ولم يكن نبيا لآل لورثته ما آل اليه من تلك الاراضى ولآل لرئيس الدولة بعده وهو أبو بكر الصديق رضى الله عنه ما كان مخصصا للرسول

صلى الله عليه وسلم للانتفاع بريعه ، ولكن أبا بكر الخليفة الأول للرسول صلى الله عليه وسلم لم يورث ما تركه الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد أرسلت فاطمة الزهراء رضى الله عنها بنت رسول الله اليه تطلب ارثها من أبيها ، فرد عليها أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « نحن الأنبياء لا نورث ، فما تركناه صدقة » فما كان جوابها الا أن قالت « أنت وماسمعت من رسول الله » أى التزمه[1] ٠

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه على رأى أبى بكر فيما تركه النبى ٠

واختلف الناس بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كيفية تطبيق ما ورد بآية الخمس من تخصيص سهم للرسول وسهم لذى القربى ، فقال قوم سهم الرسول للخليفة من بعده ، وقال اخرون سهم ذوى القربى لقرابة الرسول عليه السـلام ٠ وقالت طائفة : سهم ذوى القربى لقرابة الخليفة من بعده ، فأجمعوا على أن جعلوا هذين السهمين فى الكراع والسـلاح[2] وهذا ما فعله أبو بكر الصديق رضى الله عنه[3] ٠

اذا فقد آلت الأراضى العامة كلها التى كانت للرسول صلى الله عليه وسلم لبيت مال المسلمين لينفق من خراجها على شئون الدولة بصفة عامة وعلى هدى ما كان يعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم مع تخصيص نصيب الرسول وذى القربى للانفاق على الخيل الغازية فى سبيل الله وما يلزم المجاهدين من سلاح ٠

---

(١) يذكر الطبرى أن السيدة فاطمة رضى الله عنها ماتت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بستة أشهر فيكون مطالبتها بميراثها من والدها فى أوائل عهد الصديق ــ الطبرى ــ مرجع سابق ــ ص ٢٤٠ ٠

(٢) الخراج لأبى يوسف ص ٢١ ٠

(٣) وردت بنفس الآراء المختلفة بخصوص سهم الرسول وذى القربى بكتاب ــ الأموال لأبى عبيد مرجع سابق ص ٤١٦ ٠

زكاة ارض المسلمين وخراج ارض الكتابيين آل لبيت المال :

وليس الخـــــراج وحده هو ما كان يؤول لبيت المال فى عهد الصديق رضى الله عنه ، بلكان يؤول لبيت المال زكاة الزروع والثمار التى كان يتملكها المسلمون تنفيذا لقول سبحانه وتعالى (وءاتوا حقه يوم حصاده) (الأنعام من ١٤١) واستنادا لأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم التى أوضحت نصاب زكاة الزروع وما يخضع منها للزكاة وفئاتها وطريقة تحديدها ، ومن المعلوم أن الزكاة التى تؤول لبيت مال المسلمين تختلف عن الخراجفى وجوه انفاقها فالأولى مخصصة للانفاق منها على وجوه الانفاق الثمانية التى وردت فى القرآن الكريم ، بينما أن الخراج ينفق منه على وجوه الانفاق العامة للدولة الاسلامية .

ماذا تم فى ارض الفتوح فى عهد أبى بكر :

ذكرنا أنه قد تحققت انتصارات فى الفتوحات الاسلامية فى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه وأن الغنائم كانت تقسم بين المسلمين بعد أيلولة الخمس لبيت مال المسلمين مما يدعو الى التساؤل وماذا تم فى تقسيم أراضى تلك البـــلاد المفتوحة ؟ ان الفتح العام لهذه الأراضى لم يتم نهائيا فى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه وانما تم فى عهد عمر بن الخطاب بسبب انتكاسات لفتوح العراق انتصر بعدها المسلمون كما استكملت باقى فتوح العراق فى عهد عمر ، مما جعل مسألة توزيع أراضى الغنائم تثار فى عهد عمر بن الخطاب وليس فى عهد الصــــديق رضى الله عنهما ، فقد تقدم الفاتحون لعمر بن الخطاب طالبين تقسيم أراضى السواد فى كل من العراق والشام عليهم، ولكن عمر رضى الله عنه كان من رأيه أن تؤول ملكية أراضى الفتوح للدولة ولا تقسم ويبقى عليها أهلها من أهل الكتاب يزرعونها ويؤدون عنها الخراج للدولة ، فلما استشار كبار الصـــحابة من المهاجرين أيده بعضهم وعارضه آخرون ، فاجتهد واستند الى الآيات من السادسة حتى العاشرة فى سورة الحشر بأن الفىء من الأرضين لأهل القرى والمهاجرين والأنصار ولمن يأتى من بعدهم ، وعرض

الأمر على كبار الأنصار فأيدوه فى رأيه ورضى بذلك الفاتحون ازاء تفسير عمر وتأييد كبار مجتهدى الأمة ·

ولو تمت الفتوحات نهائيا فى عهد أبى بكر الصديق واستشار الصحابة كما استشار عمر لانتهى رأيهم الى ما انتهوا اليه فى عهد عمر ولأخذ به الصديق ايثارا لمصلحة الأمة ومصلحة أجيال المسلمين المقبلة وحتى لا تنشأ فى الدولة الاسلامية وقتئذ طائفة لكبار ملاك الأراضى تشغلهم عن الجهاد فى سبيل الله وتؤول الى ورثتهم من بعدهم دون باقى المسلمين ·

أنواع الأرض العامة فى عهد أبى بكر :

وعلى ذلك كانت أنواع الأرض طبقـا لعـلاقاتها ببيت مال المسلمين فى عهد الصديق كالآتى :

ـ أرض ملك للدولة وتديرها كأرض بنى النضير وهذه يؤول كل ريعها لبيت مال المسلمين ·

ـ أرض يملكها المسلمون فهى أرض عشـرية تؤدى زكاة الأموال لبيت المال عن محصولاتها اذا بلغت نصابا ·

ـ أرض خراجية وتحت يد أهل الكتاب ليزروعوها كأرض خيبر ، فهذه أرض خراجية تؤدى الخراج طبقا للشروط التى تم الاتفاق معهم عليها أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أقر أبو بكر الصديق لما تولى الخلافة ما اتفق عليه الرسول مع أهل خيبر ··

ـ أرض حرام وهى أرض مكة لا يحل بيع رباعها ولا أجور بيوتها ، والذى يقوم على مراعاة حرمتها هى الدولة تنفيذا لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم ،

الفـرق بين الخـراج والجـزية :

على أنه يجب التفرقة بين الخراج والجزية فلكل منهما خصائص تختلف عن الأخرى ، وان كان يدفع كل منهما الذمى من أهل الكتاب

وكل منهما ضريبة تؤدى لبيت المال ويقوم بتحصيلها ممثلون عن الدولة الاسلامية ، وتتمثل الفروق بينهما فيما يلى :

ـ الجزية ضريبة على الرؤوس والخراج ضريبة على ناتج الأرض ٠

ـ تحدد فئات الجزية طبقا لدرجة يسار الذمى من أهل الكتاب فيمكن زيادتها على الغنى والتدرج بها هبوطا فى السعر كلما هبط دخل الخاضع لها بينما تحدد فئات الخراج على الأرض طبقـا لخصوبتها ونوع الرى اذا كان ميسرا أم له تكلفة عالية ، وطبقا لنوع المحصول الذى تنتجه الأرض وما اذا كان سعره مرتفعا أم منخفضا ٠

ـ تحصل الجزية فى الغالب مرة واحدة كل سنة بينما يرتبط تحصيل الخراج بعدد المحاصيل التى تزرع سنويا ومواعيد ظهورها ٠

ـ كان الرسول يأخذ الجزية عينا أو نقدا وكان يغلب أن يؤدى الخراج عينا من نوع المحصول ٠

شاعر يخلط بين الجزية والخراج فى عهد أبى بكر :

فى أحد حروب الردة وبعد أن اتفق المرتدون على ايثار السلام ودفع الجزية قال ابن بقيلة فى ذلك شعرا يقارن بين ما تم الاتفاق عليه كجزية وبين ما كان قومه يدفعونه كخراج لكسرى وقد عبر عن الجزية بالخراج وهو خطأ فقد أوضحنا الفرق بين الجزية والخراج، فقال الشاعر :

نؤدى الخـرج بعد خراج كسـرى
وخـرج من قـريظة والنضـير

كذاك الدهـر دولتـه سـجال
فيوم من مسـاءة أو سـرور(٤)

---

(٤) الطبرى ـ مرجع سابق ـ ص ٣٦٢ ٠

عـــدول أبى بكر عن التنازل عن خراج البحرين :

جاء الزبرقان والأقرع وهما من رؤساء القبائل الى أبى بكر وقالا : اجعل لنا خراج البحرين ونضـــسمن لك الا يرجع من قومنا أحد (أى الردة) ·

ففعل أبو بكر وكتب كتابا بذلك وأشهدوا شهودا منها عمر بن الخطاب وكان الذى يتوسط بين أبى بكر وبينهما طلحة بن عبيد الله

فلما عرض الكتاب على عمر بن الخطاب رفض أن يشهد على الكتاب

وقال : لا والله ولا كرامة

ثم مزق الكتاب ومحاه

فغضب طلحة وأتى أبا بكر

فقال : أأنت الأمير أم عمر ؟

فقال : عمر ، غير أن الطاعة لى

فسكت طلحة(٥)

ولربما كانت فلسفة أبى بكر ، أنه لا يمنع فى سبيل رفعة الاسلام واعلاء أمر الدين ومنع الردة من تأليف القلوب بالمال ولا ضير فى ذلك ، فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتألف من لم يخلص اسلامه من رؤساء العرب وقال عليه الصلاة والسلام :

« والله انى لأعطى الرجل وأدع الرجل والذى أدع أحب الى من الذى أعطى ، ولكنى أعطى أقواما لما أرى فى قلوبهم من الجزع والهلع وأكل (أترك) أقواما الى ما جعل الله فى قلوبهم من الغنى والخير » ·

---

(٥) المرجع السابق ص ٢٧٥ ·

ولربما كانت فلسفة عمر بن الخطاب ، أن الردة لا تعالج إلا بالحسم ، ولو فتح الباب للقبائل لتأخذ ثمن عدم ارتدادها من أموال الخراج لفشى ذلك بين القبائل الأخرى ولتقلص سلطان الدولة المالى ولتشتت خراجها ، وقام الدين فى نفوس البعض على أساس المنفعة ·

والفلسفة الأولى نبعت مما اتصـــف به الصـــديق من لين والفلسفة الثانية نبعت مما اتصف به عمر بن الخطاب من شدة ·

ولا ضير من أن يرجع الصديق عن رأيه ويأخذ برأى عمر ، فتبادل الآراء والأخذ بأصلح الآراء هو النتيجة الحتمية للمشورة التى أمر بها الله جل وعلا رسوله الكريم ، فقال جل وعلا :

« وشاورهم فى الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله » (آل عمران من ١٥٩)

اقطاع الأرض للأفراد فى عهد أبى بكر :

للأرض العامة جانب آخر يتصل بالمالية العامة وهو اقطاع الأرض للأفراد بدون ثمن ليصلحوها ويعمروها واذا لم يعمروها تعود للدولة ، وقد ثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم أقطع بعض الأراضى العامة لبعض المسلمين(٦)

العدول عن اقطاع أرض لطلحة بن عبيد الله :

فلما خلفه أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، أقطع أرضا لطلحة ابن عبيد الله رضى الله عنه وكتب له بها كتابا وأشهد له ناسا فيهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فأتى طلحة عمر بالكتاب

---

(٦) لمزيد من التفاصيل – انظر كتابنا السياسة المالية للرسول – ص ١٥٨ وما بعدها .

فقال : اختم على هذا

فقال عمر : لا أختم ، أهذا كله لك دون الناس ؟

فرجع طلحة مغضبا الى أبى بكر

فقال : والله ما أدرى ، أنت الخليفة أم عمر ؟

فقال أبو بكر : بل عمر ولكنه أبى(٧)

ومن هذا يبين فلسفة أبى بكر فى اقطاع الأرض وفلسفة عمر ابن الخطاب ، فبينما أبو بكر يرى اقطاع الأرض للاصلاح ، ويرى عمر تقييد الاقطاع بحيث لا تعطى مساحة كبيرة لفرد فى الامة دون سائر الناس ، ولعل ذلك ماحدا بعمر ألا يقسم أرض الفتوح على المقاتلين ، ولا يخصها بهم دون باقى أفراد الشعب حاليا ومستقبلا ، وآثر أن تؤول للدولة ليكون عائدها للجميع ، وقد سبق ان نوهنا عن ذلك .

مناقشة مبدأ اقطاع الارض فى عهد الصديق :

جاء رجلان الى أبى بكر من الذين كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتألف قلوبهم :

فقالا له : يا خليفة رسول الله ، عندنا أرض سبخة ، ليس فيها كلأ ولا ينتفع بها . فان رأيت أن تقطعناها ، لعلنا نحرثها أو نزرعها ، ولعل الله أن ينفع بها بعد اليوم .

فقال ابو بكرلمن حوله : ما رأيكم فيما قالا ؟

قالوا : ان كانت أرضا سبخة لا منفعة بها ، فنرى أن تقطعها هذين ، لعل الله أن ينفع بها بعد اليوم .

فأقطعهما الصديق اياها ، وكتب لهما بذلك كتاب واشهد عمر وهو ليس فى القوم .

---

(٧) الاموال لابى عبيد ـ مرجع سابق ـ ص ٢٥١ ، ٢٥٢ .

فانطلق الرجلان الى عمر بن الخطاب ليشهداه ، فوجداه يهنا بعيرا له (هنا البعير طلاه بالقطران)

فقالا له : ان أبا بكر أشهدك على ما فى هذا الكتاب · فمن لنا أن نقرأه عليك ، أو تقرأ ؟

قال : أنا على الحال التى ترياننى ، فان شئتما فاقرءا ، وان شئتما فانتظرا حتى أفرغ فأقرأ ·

قال : بل نقرأ

فقرآه

فلما سمع عمر ما فى الكتاب تناوله من أيديهما ، ثم تفل عليه فمحاه ، فتذمرا

وقالا له مقالة سيئة

فقال لهما : ان رسول الله كان يتألفكما والاسلام يومئذ قليل ذليل ، وان الله عزوجل قد أعز الاسلام ، اذهبا فاعملا ، واجهدا جهدكما ، لا رعى الله جهدكما ان رغبتما (أى عن العمل)

فاقبلا الى أبى بكر وهما يتذمران

فقالا يستفزانه : والله ما ندرى من الخليفة أنت أم عمر ؟

قال الصديق · بل هو لو كان شاء ·

فجاء عمر وهو مغضب حتى وقف على أبى بكر ·

فقال : يا خليفة رسول الله ، أخبرنى عن هذه الأرض التى أقطعتها هذين أأرض لك خاصة أم بين المسلمين عامة ؟!

قال الصديق : بل هى للمسلمين عامة ·

قال عمر : فما حملك أن تخص بها هذين دون جماعة المسلمين ؟

قال الصديق : استشرت هؤلاء الذين حولي فأشـــاروا على بذلك .

قال عمر : فاذا استشرت هؤلاء الذين حولك ، أفكل المسلمين وسعتهم شورة ورضا ؟

قال أبو بكر : قد قلت لك انك اقوى على هذا الامر منى ، ولكنك غلبتنى .

وأقر الصديق عمر على اجتهاده(٨) .

ومن تحليل هذه الواقعة يمكن استخلاص ما يلى :

ـ كانت موافقة الصديق على اقطاع الأرض للرجلين لتزرع ـ وهى أرض ســـــبخة ـ فينتفعا بها ، وينتفع بنتاجها ، مما يؤدى الى زيادة الانتاج العام وهو من الأهـــداف التى تدخل فى اختصاص الحكومات وولى الأمر .

ـ أن الصديق طبق مبدأ المشورة قبل أن يتخذ القرار

ـ أنه قصد بقراره أن يتألف القلوب كما كان يفعل رســـول الله صلى الله عليه وسلم .

واعتراض عمر تأسس على ما يلى :

ـ أن الأرض أرض عامة فهى ملك الأمة جمعاء .

ـ لا يكفى للتنازل عنها استشارة البعض دون البعض الآخر .

ـ أنه لا محل لتأليف القلوب بعد أن أعز الله الاسلام ، (وقد أوقف عمر بعد توليه الخلافة الانفاق على المؤلفة قلوبهم من الزكاة لأنه رأى أن الاسلام والدولة قويا وأصبحا فى غير حاجة للتأليف) .

---

(٨) الصديق أول الخلفاء الراشـدين ـ عبد الرحمن الشرقـاوى ـ الفصل السـابع .

- نصح عمر الرجلين ان يعملا بدلا من أن يعتمدا على أرض الدولة وكان يرى أن لا حق لهما فيها ٠

وقد أقر الخليفة فى النهاية رأى عمر ، ولعله حينما أشسهده على كتابه للرجلين ، كان ينتظر رأيه ، فلما أبداه تقبله ، لانه لا يريد الا الصالح العام ٠

وفاء أبى بكر لوعد الرسول باقطاع أرض :

فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم تقدم اليه تميم الدارى بعد أن أسلم

فقال : يارسول الله ان لى جيرة من الروم بفلسطين لهم قرية يقال له جيرون وأخرى يقال لهاعينون ، فان فتح الله عليك الشام فهبهما لى ٠

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هما لك ٠

قال : فاكتب لى بذلك كتابا ٠

فكتب له الكتاب التالى :

« بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من محمد رسول الله لتميم بن أوس الدارى أن له قرية جيرون وبيت عينون قريتهما كلهما وسهلهما وجبلهما وماؤهما وحرثهما وأنباطهما وبقرهما ولعقبه من بعده لا يحاقه فيهما أحد ولا يلجهما عليهم أحد بظلم ، فمن ظلم واحدا منهم شيئا فان عليه لعنة الله » ٠

فلما ولى أبو بكر كتب للداريين الكتاب التالى :

« بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من أبي بكر امين رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أستخلف فى الأرض بعده ، كتبه للداريين ان لا يفسد عليهم سبدهم[9] ولبدهم[10] من قرية جيرون وعينون فمن كان يسمع ويطيع فلا يفسد منهما شيئا وليقم عمودى الناس عليهما وليمنعهما من المفسدين[11] .

فلما استخلف عمر وظهر على الشام جاءه تميم الدارى فانجز كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤيد بكتاب أبى بكر رضى الله عنه[12] .

حمى الأرض فى عصر أبى بكر :

ينبت الكلأ ببعض اراضى الدولة التى ليست ملكا لأحد الناس، ويظهر هذا الكلأ بدون جهد للناس من بذر أو رى أو حرث أو غير ذلك ، فيكون الكلأ الذى نبت فيها مباحا لأنعام الناس ، وذلك طبقا لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم بأن الناس شركاء فى الماء والكلأ والنار ، فلا يجوز ان تحمى هذه الأرض بان تمنع عن الناس ليرعوا فيها أنعامهم ، الا اذا كان المنع لله ولرسوله ، وكان ذلك فى ايام الرسول صلى الله عليه وسلم للخيل الغازية فى سبيل الله .

وقد حمى أبو بكر الصديق رضى الله عنه بلدة الأبرق بعد أن انتصر فى قتال أهلها المرتدين فمنعوا من دخولها ، فاتوا ابا بكر فى المدينة .

---

(9) السبد : القليل من الشعر .

(10) اللبد : الكثير من الشعر .

(11) كتاب الخراج للقاضى أبى يوسف ـ مرجع سابق ـ ص ٢١٦ .

(12) الأموال لأبى عبيد ـ مرجع سابق ص ٣٤٩ .

فقالوا : علام نمنع من نزول بلادنا ؟

فقال : كذبتم ليست لكم ببلاد ولكنها موهبى ونقذى[13] .

وحمى الابرق لخيول المسلمين ، ثم حماها وسائر البلاد الربذة لصدقات المسلمين ، لقتال كان وقع بين الناس وأصحاب الصدقات فمنع بذلك بعضهم من بعض[14] .

---

(١٣) النقذ : ما استنقذه من العدو

(١٤) الطبرى جزء ٣ ـ مرجع سابق .

الفصـــل الرابع

مناقشة الايرادات العامة للدولة فى عهد الصديق فى ضوء الفن المـالى الحديث

أنواع الايرادات العامة الحديثة :

لم تتضمن الايرادات العامة فى عهد الصـــديق أنواعا من الايرادات العامة تظهر فى الموازنات العامة الحديثة ، ولمناقشــة أسباب ذلك نوضح أهم أنواع الايرادات العامة الحديثة ومالم يكن موجودا منها أيام الصديق وأسبابه ثم نوضح طبيعة الايرادات فى عهد الصديق فى ضوء الفن المالى الحديث ·

أنواع الايرادات العامة الحديثة

الضـــريبة :

وهى فريضة نقدية تفرضها الدولة جبرا على الأفراد كل على قدر طاقته ، بمالها من حقوق السيادة ويدفعونها دون مقابل بقصد تغطية النفقات العامة ·

وتتبع الدولة نظما مختلفة فى فرض ضرائبها ، فقد تفرض ضريبة موحدة أو تفرض ضرائب متعددة للحصول على الايرادات

العامة اللازمة لها ، وقد تتنوع الضرائب فتكون على الأشخاص أو على الأموال ، وقد تكون ضرائب الدولة مباشرة وغير مباشرة ، وقد تكون ضرائب الدولة شخصية ترعى شخصية الممول فى قواعد ربطها وضرائب ذات صبغة عينية لا تراعى شخصية الممول كالضرائب الجمركية ، وقد تكون ضرائب للدولة ذات سعر تناسبى ثابت مهما زاد الايراد أو تكون ذات سعر تصاعدى يتزايد كلما زاد الايراد الخاضع للضريبة وقد تشمل النوعين معا ٠

الرســــم :

وهو مبلغ نقدي تحصله الحكومة من بعض الأفراد جبرا مقابل مزايا تمنحها لهم أو خدمات من نوع خاص تؤديها لهم ٠

وبذلك يختلف الرسم عن الضريبة فالرسم يدفعه الممول نظير مقابل يعود عليه أما الضريبة فتفرض ويدفعها الممول دون مقابل مباشر يعود عليه ٠

وقد تعددت الرسوم فى الدول حديثا بتعدد الخدمات العامة التى تؤديها الدولة للأفراد كرسوم التعليم والصحة والعدالة ٠

الثمن العـــام :

يدفع الأفراد للحكومة مبلغا نقديا مقابل المشتريات العامة التي تقدمها لهم بدون الزام من الحكومة وبذلك تختلف الاثمان العامة عن الرسوم ، كما هو الحال عندما تقوم الحكومة بادارة المرافق العامة كالمياه والكهرباء وينتفع بها الأفـــراد طواعية نظير دفع الثمن ٠

ايرادات الممتلكات العامة :

للدول ممتلكات كالاراضى والمساكن وغيرها وتستغلها فتساهم مواردها فى التمويل العام لتلك الدول ٠

الإتــــاوة :

هى عبارة عن مبلغ من المال تفرضه الدولة جبرا نظير تنازلها عن حق من حقوقها للغير لمدة محدودة كحق استغلال محجر أو منجم .

فوائض وحــدات القطــاع العـــام :

نتيجة لتدخل الدولة فى النشاط الاقتصادى تقوم بانشاء شركات عامة بقصد مزاولة الأنشطة التجارية والصناعية والزراعية والفنادق وغيرها ، وتكون رؤوس أموال هذه الشركات اما مملوكة للحكومات ملكية كاملة أو لها نصيب فى ملكيتها ، وفى نهاية السنة يؤول فائض هذه الوحدات كله أو نصيب منه للدولة بمقدار ما تملكه فى الشركة ويعتبر ما تحصل عليه الدولة من فوائض هذه الشـــركات من الايرادات العامة لها[1] .

ايرادات عامة حديثة لم تكن موجودة فى عهد الصديق :

ولميكن موجودا فى عهد الصديق رضى الله عنه الأنواع التالية من الايرادات العامة :

الرســـــم :

لما كان الرسم يؤديه الأفراد حاليا للدولة نظير خدمة عامة يحصلون عليها ، ولما كانت قديما تؤدى الدولة الخدمات العامة للأفراد دون مقابل لأنها كانت قليلة الأنواع ولأنها لم تكن باهظة التكاليف فلم تحصل منهم على مقابل لها خصوصا وأن الخدمات العامة كانت قاصرة على الخدمات التقليدية ، ففى الدولة الاسلامية

---

(١) للتفصيل يرجع لكتابنا الموازنة العامة ص ٢٤٧ وما بعدها - طبعة ثالثة الهيئة المصرية العامة للكتاب .

الأولى كانت الخدمات العامة هى أداء الشعائر وتعليم الدين والجهاد فى سبيل الله والخدمات الاجتماعية وهى بطبيعتها دون مقابل لأنها معروضة على الأغنياء والقادرين للفقراء والمساكين وأمثالهم ·

الثمن العـــام :

لم تكن الحكومة تاجرة فى القرون الوسطى ولم تكن للدولة الاسلامية فى خلافة أبى بكر الصديق مرافق عامة حتى تبيع ناتجها للأفراد وتحصل منهم على ثمن عام منهم ·

الاتـــــــــاوة :

لم يثبت فى عهد أبى بكر الصديق أنه قد تقدم للدولة شخص لاستغلال مناجم أو محاجر أو غيرها مما تملكه الدولة الاسلامية وان كان هذا النوع من الايراد أصبح من أهم الموارد العامة فى الجزيرة العربية بسبب ما تم من اكتشافات لحقول البترول حديثا · وقد ثبت أنه فى عهد الصديق اكتشف منجم للذهب قرب المدينة(٢) ·

فوائض وحـــدات القطـــاع العـــام :

لم تكن الفلسفة الاقتصادية بشأن تدخل الدول لاحداث التوازن الاقتصادى والقيام بالمشروعات العامة قد عرفت بعد فى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه وانما طبقت فى الثلاثينيات وعلى ذلك لم تشمل الايرادات العامة فائض لقطاع الأعمال فى عهد الصديق ·

---

(٢) فى كتاب الصديق ابو بكر ـ محمد حسين هيكل ـ الطبعة السابعة ـ طبعة دار المعارف ـ يذكر المؤلف ص ٣٠٨ ، « أن الصديق سوى فى قسمة الذهب الذى كان يجىء من المنجم الذى فتح على مقربة من المدينة فى عهده بين المسلمين » وعلى ذلك فان المنجم كان يدار بمعرفة الدولة ·

ايرادات الممتلكات العامة :

كان للدولة الاسلامية فى عهد أبى بكر الصديق أراضى عامة على النحو الذى أوضحناه ولكنها لم تكن بالكثرة التى تحققت فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه حينمـــا آلت أراضى الدولة المفتوحة للدولة الاسلامية ولم تقسم كباقى الغنائم على الفاتحين ·

طبيعة الايرادات العامة فى عهد الصديق فى ضـــوء الفقه الحديث للمالية العامة :

يثور بعد ذلك السؤال عن طبيعة الايرادات العامة فى عهد أبى بكر الصديق رضى عنه هل هى كلها ضرائب كالضرائب الحديثة أم أن بعضها ضرائب والبعض الآخر له طبيعة خاصة تتواءم مع طبيعة الدين الاسلامى ومنهجه ؟ ونوضح فيما يلى طبيعة كل ايراد من الايرادات العامة الدولة الاسلامية فى عهد الصديق رضى الله عنه :

الزكاة فريضة اسلامية ذات طابع مالى :

الزكاة ليست من انواع الضرائب بل لها طبيعة خاصة فرضها الله سبحانه وتعالى والضرائب تفرضها الدول ويدفع المزكى الزكاة طواعية ، بينما الضرائب يدفعها الممول جبرا عنه ولا يحصل مقابلها على منفعة مباشرة وانما يعود عليه من الخدمات العامة كســائر المواطنين ومؤدى الزكاة يجزى عنها بثواب الله جل وعلا ورضائه ، وبذلك لا تجزى الضرائب عن الزكاة ولا يحل أحدهما محل الاخر · فالزكاة اذن فريضة دينية ذات طابع مالى ·

الزكاة ليســـت جـــزية :

اعتبر بعض المرتدين فى عهد أبى بكر الصديق رضى الله أن الزكاة جزية ، وفى ذلك يقول أحد الكتاب ، فزحفوا عليها (أى زحف المرتدون على المدينة) وظنوا أنهم اذا هددوها وهى عزلاء وتوسلوا

بالمفاوضة والوساطة في الوقت نفسه رجع الخليفة عن عناده وقبل منهم ما ساوموه عليه ، وهو اقامة الفرائض كلها والاعفاء من الزكاة ۰۰۰۰ أو من الجزية كما سموها »(٣) ۰

ولقد كان المرتدون في اعتبارهم الزكاة جزية مضللين مخطئين عاصين لأن الزكاة خلاف الجزية كما يتضح مما يلي :

ـ آيات الزكاة بالقرآن الكريم خلاف آيات الجزية ۰

ـ الزكاة ليست ضريبة كما أوضحنا والجزية ضـــريبة كما سنوضح ۰

ـ الزكاة مفروضة على المسلم والجزية مفروضة على أهل الكتاب وليس على مسلم جزية ۰

ـ الزكاة يدفعها المســـلمون طواعية ، والجزية يعطيها أهل الكتاب لبيت مال المسلمين عن يد وهم صاغرون ۰

ـ يعفى من الزكاة من هم دون النصاب من المسلمين ويعفى من الجزية الصغار والنساء والعاجزين من الرجال فاعفاء الزكاة خلاف اعفاءات الجزية ۰

ـ اداء الزكاة ابتغاء ثواب الله وأداء الجزية ابتغاء احتفاظ أهل الكتاب بدينهم وعدم القتال والتمتع بالأمن والأمان على النفس والمال والولد ۰

ـ وجوه نفقات الزكاة محددة بالقرآن بينما الانفاق العام من الجزية مطلق غير محدد ۰

الزكاة ليســـت اتاوة :

كان بعض العرب الممتنعين عن أداء الزكاة بعد وفاة رســـول الله صلى الله عليه وسلم يرون أن الزكاة اتاوة فرضها الرسول صلى

---

(٣) الصديق أبو بكر ـ محمد حسين هيكل ـ الطبعة السابعة ـ دار المعارف بمصر ص ٧٢

الله عليه وسلم وطالبوا الاعفاء منها بعد وفاته ، فقد قال أحد رؤساء القبائل وهو قرة بن هبيرة لعمرو بن العاص بعد أن أكرمه وهو فى الطريق عائدا من مهمة أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم لأدائها قبل وفاته ما يلى :

« ان العرب لا تطيب لكم نفسا بالأتاوة (يقصد الزكاة) فان أنتم أعفيتموها من أخذ أموالها فستسمع لكم وتطيع وان أبيتم فلا أرى أن تجتمع عليكم » ·

فقال عمرو : أكفرت ياقرة

فقال: لنردنكم الى فيئتكم ـ اجعلوا بيننا وبينكم موعدا ·

فقال عمرو : أتوعدنا بالعرب وتخوفنا بهـــا ، موعدك حفش أمك[٤] ، فوالله لأوطئن عليك الخيل

وقدم عمرو بن العاص على المسلمين فأخبرهم ·

وبعد ذلك وقع قرة بن هبيرة فى أسر خالد بن الوليد فأوثقه وبعث به الى أبى بكر فلما قدم عليه

قال له قرة : يا خليفة رسول الله انى قد كنت مسلما ، ولى من ذلك على اسلامى عند عمرو بن العاص شـــهادة ، قد مر بى فأكرمته وقربته ·

فدعا أبو بكر عمرو بن العاص فقال : ما تعلم من أمر هذا ·

فقص عليه الخبر حتى انتهى الى ما قال من أمر الصدقة ·

قال قرة لعمرو : حسبك رحمك الله ·

قال عمرو : لا والله ، حتى أبلغ كل ما قلت

وبلغ عمرو الخليفة بكل ما قاله قرة ·

---

(٤) الحفش : حقيبة المرأة تضع فيه زينتها ·

فتجاوز الخليفة عن قرة وحقن(٥) دمه(٦) ٠

وقد ضل الممتنعون عن الزكاة واخطأوا بوصفهم اياها بأنها اتاوة ، فمن الناحية الفنية تعـــرف الاتاوة بأنها « مبلغ من المال تفرضه الدولة جبراً وتحصل عليه من الغير نظير منحه حق استغلال أحد امتيازاتها لفترة محددة كحق استغلال محجر او منجم ق أراضي الدولة » كما ذكرنا ٠

فالاتاوة طبقا لهذا التعريف تختلف عن الزكاة ولا تعتبر الزكاة اتاوة لما يلي :

ـ الزكاة فرضها الله جل وعلا والاتاوة تفرضها الدولة ٠

ـ الزكاة تحصل عليها الدولة لتنفقها في وجوه محددة حددها الله تعالى ، بينما الأتاوة تشـــيع مع ايرادات الدولة الاخرى ولا تخصص لوجوه انفاق عامة محددة ٠

ـ الزكاة أبدية الى يوم البعث بينما الأتاوة موقوتة بمـــدة محددة ٠

ـ المســـلم يدفع الزكاة لوجه الله تعالى طاعة له ولا ينتظر مقابلها خدمة من الدولة بينما من يدفع الاتاوة يتمتع بأحد وجوه امتياز الدولة ٠

خمس الغنائم ايراد عام له طبيعة خاصة :

فرض الله الجهاد على المسلمين فجاهدوا وحقق لهم النصـــر وأغنمهم غنائم احلها لهم على أن يؤدوا خمسها لبيت مال المسلمين ق الدولة الاسلامية ٠ وقد حق للدولة الاسلامية أن تحصل بأمر الله جل وعلا على هذا الخمس ، خصـــوصا وأنها عـــادة تخطط أمور الجهاد وتنظمه وتعبئه وتشارك ق تمويله وبعد أن تحصل على

---

(٥) حقن دمه : حل به القتل ولم ينفذه ٠

(٦) الطبرى ـ جزء ٣ ـ مرجع سابق ـ ص ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ٠

الخمس لا تشيعه على أى نوع من النفقات العامة ، بل يجب عليها أن توجهه لوجوه انفاق محددة وردت فى آية الخمس ، فالخمس اذن ، ايراد عام له طبيعة خاصة ولا يعتبر نوعا من أنواع الايرادات العامة التى تظهر حديثا فى الموازنات العامة للدول ٠

الجـــزية ضـــريبة :

أمر الله جل وعلا بفرض الجزية على أهل الكتاب اذا آثروا الاحتفاظ بدينهم ، وتتوافر فى الجزية جميع أركان الضريبة لأنها مال نقدى أو عينى يدفعـــه الكتابى جبرا لأنه يفرض عليه دفعه للدولة الاسلامية دون مقابل مباشر يعود عليه كدافع جزية بالذات ، وانما يتمتع هو وعائلته ممن لا يحق عليهم جزية بحقوق المواطنة فيأمنون على أموالهم وانفسهم وأولادهم ويتمتعون بســـائر الخدمات العامة للدولة التى يتمتع بها المسلمون ، وهى ضريبة شخصية لأنها تفرض على شخص الكتابى حسب مقدرته وكان يعفى منها الصغار والنساء والعجزة والفقراء غير القادرين على الكسب ، فهى بذلك تتســـم بالعدالة الضريبية ، خصوصا وأنه كان يراعى فى استئدائها الرفق وعدم الظلم والملاءمة فكانت تؤخذ نقدا أو عينـــا بما يلائم حالة الممول ٠

خـــراج الأرض ضـــريبة :

خراج الأرض نوع من انواع الضـــرائب على الأرض التى افتتحها المسلمون أو تصالحوا عليها فصارت ملكا للدولة الاسلامية يستغلها القائمون عليها من أهل الكتاب ويؤدون نسبة معينة مما تخـــرجه الأرض نقدا أو عينا طبقا للسعر الذى تحـــدده الدولة الاسلامية تحديدا عادلا بمراعاة خصوبة الأرض ونوع المحصول وسهولة الرى أو صعوبته وكان يراعى أن يترك للقائمين على الأرض بقية يقابلون بها ما قد يتعرضون له من نوائب وضائقة ، فهى شبيهة بضريبة الأطيان التى تفرضها حاليا الدول ٠

وحديثا ضرائب الأطيان تعتبر من انواع الضرائب على الأرض غير أن أسس فرضها تختلف عن خراج الأرض فى الاسلام ، ففى مصر مثلا تفرض ضريبة الأطيان بقانون ، وتخضع لها الأراضى المنزرعة فعلا أو القابلة للزراعة ، فلا تخضع لها الأجران والأراضى الداخلة فى نطاق المدن والأراضى المقام عليها مبان للسكنى ، ووعاء الضريبة هو القيمة الايجارية للأرض ، وتقدر القيمة الايجارية لجان للتقدير وتستمر القيمة الايجارية لمدة سنوات ، وهذه القيمة الايجارية تمثل الايراد الذى يحصل عليه مالك الأرض كعائد للملكية. وسعر الضريبة نسبى وهو ١٤٪ ، والضريبة سنوية وتحصل على أقساط روعى فى توقيتها أن تكون متفقة مع مواعيد الحصاد ، ويقع عبء الضريبة على مالك الأرض .

ايرادات عامة اخـــرى عارضـــة :

وقدتوجد فى عهد الصديق ايرادات عامة أخرى عارضة ليس لها طبيعة التكرار كاللقيا وتركات من لا وراث له فهى تؤول لبيت مال المسلمين وتخصص المصرف منها على الفقراء . وهذه الايرادات العارضة لها مقابل فى العصر الحديث ، فقد جرت العادة أن يدرج فى الموازنات العامة تحت عنوان « ايرادات أخرى » كل ايراد عام لا يندرج تحت أى نوع من أنواع الايرادات العامة الحديثة السابق التنويه عنها .

مثال لايرادات عارضة فى عهد الصديق :

وفيمايلى مثال لايرادات عامة عارضة وضعت فى بيت المال فى عهد الصديق رضى الله عنه :

لما أراد أبو بكر الصديق رضى الله عنه لقاء الروم استنفر أهل اليمن ، فأتاه ملوك اليمن يقودهم ذو الكلاع الحميرى ملك حمير ، من خلفه ومن حوله الف عبد من الفرسان ، وعلى رأسه التاج وعلى حلته الجواهر المتلالئة وبردته تسطع بخيوط الذهب المرصع باللآلىء

والياقوت والمرجان ، وقد لبس ذلك استعدادا لمقابلة الخليفة فقد كان يظنه ملكا فلما دخل المسجد ليقابله وجد الخليفة شيخا نحيلا وعليه ثوب خشن ويجلس على الحصباء فاستحى ذو الكلاع وخرج وأخبر مرافقيه بما رأى فألقوا ما يرتدونه ولبسوا أثوابا خشنة وتخلوا عن التيجان المثقلة بالجواهر وتركوا حلل المخمل الموشى بخيوط الذهب والياقوت والدر والمرجان ، ووضع الصديق فى بيت المال ما تخلوا عنه جميعا من نفائس(٧) ٠

---

(٧) الصديق اول الخلفاء ــ مرجع سابق ــ الفصل الخامس .

الباب الخامس

الإنفاق العام فى عهد الصديق

الفصـــــــل الأول

النفقات العامة المخصصة
فى عهد الصديق

التعريف الفنى الحديث للنفقة العامة :

تعرف النفقة العامة حديثا بأنها :

« مبلغ من المال يخرج من ذمة شخص ادارى سدادا لحاجة عامة »

فالركن الأول هو استعمال مبلغ من النقود ثمنا لما تحتاج اليه الحكومة من خدمات أو مواد أو انشاءات أو غيرها • فالأســـاس النقدى أصبح سمة أساسية للنفقات العامة ، ومع ذلك يمكن أن تتخذ النفقة الشكل العينى فيمكن أن يتخذ أجر العاملين بالدولة شكل المزايا العينية فيحصل عليها العامل مقابل جزء من أجره على شكل مأكل أو مسكن أو علاج ، وان كان يمكن تقويمها دائما تقويما نقديا •

والركن الثانى فى النفقة العامة هو أن تكون من شخص ادارى عام أى من الدولة أو وحدات الحكم المحلى أو من هيئة عامة أو مؤسسة عامة أو سائر المنشآت ذات الشخصية العامة الادارية •

والركن الثالث هو أن يكون الغرض من الانفاق سداد حاجة عامة ، فلا تكون لمنفعة فرد كما كان يحدث فى بعض الدول المستبدة فى الماضى ، فقد كانت تعتبر من النفقات العامة النفقات الخاصة لرؤساء هذه الدول ، وكما تكون الحاجة العامة التى توجه لها النفقة العامة حاجة حاضرة تكون حاجة مستقبلة كالنفقات العامة التى تنفقها الدول على المشروعات الاستثمارية التى تقوم بها ، وقد تكون الحاجة العامة مباشرة كمصروفات الأمن لحماية أفراد الشعب أو غير مباشرة كأعباء المعاشات والاعانات التى تمنح للفقراء من أفراد الشعب فهى تعود بمنفعة غير مباشرة على الشعب ، فتقوى حاجته للضمان الاجتماعى وتوفر استقرار المجتمع وتدعيم روابط طبقاته ٠

ونبحث فيمايلى مدى توفر أركان النفقة العامة فى النفقات المخصصة من الزكاة وخمس الغنائم :

تطبيق التعريف الفنى للنفقة العامة على وجوه انفاق الزكاة :

يقول الله جل وعلا « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بهاوصل عليهم ان صلاتك سكن لهم » (التوبة / من ١٠٣) ٠

ويقول سبحانه وتعالى « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » (التوبة / ٦٠) ٠

فما مدى توفر أركان النفقة العامة فى مصارف الزكاة الثمانية الواردة بالقرآن الكريم ؟

الركن الأول فى النفقة العامة وهو اتخاذها الشكل النقدى يتوفر فى النفقة العامة من زكاة الأموال فبعضها بطبيعته نقدى كزكاة الذهب والفضة وزكاة التجارة فما ينفق منه على مصارف الزكاة يتخذ الشكل النقدى بطبيعته ، وبعض أنواع زكاة الأموال الأخرى بطبيعته عينى كزكاة الزروع والأنعام ومع ذلك يمكن أداء زكاتها نقدا بعد تقويم المحصول واخراج نسبة الزكاة المحددة شرعا ، واذا جمعها بيت المال عينا ووزع منها على مستحقى الزكاة عينا ، فان

ماجمعه بيت المال عينا ووزعه عينا من الممكن تقييمه بالنقد السائد في الدولة ، والأداء العيني للزكاة كان أحد وجوه التيسير على من يقع عليه عبء الزكاة فكان لمصلحته .

الركن الثاني في النفقة العامة أن تكون صادرة من الدولة أو أحد مكوناتها ، وهذا هو الأصل في نفقات الزكاة ، فالأصل طبقا للآية ١٠٣ من سورة التوبة أن يجمعها كلها ولى الأمر أو من ينوب عنه ، وكان ومازال في بعض الدول الاسلامية جباة من قبل الدولة لجمع الزكاة، ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يجمعها ممن يأتونه من الناس ويعطونه اياها طوعا لا كرها ، والنبي صلى الله عليه وسلم علاوة على أنه نبي مرسل من الله جل وعلا كان أول رئيس للدولة الاسلامية ، وكان الخلفاء من بعده رؤساء للدولة الاسلامية ، ويرون أن جمع الزكاة من حق ولى الأمر . وقد رأينا كيف قاتل الصديق رضى الله عنه الممتنعين عن أداء الزكاة المفروضـــة حتى أدوها .

الركن الثالث للنفقة العامة أن تكون سدادا لحاجة عامة ، ومن الحاجات العامة الهامة لأي دولة هو تحقيق التضامن القومي الذي هو أساس الجماعة وأحد عناصر التضامن القومي تحقيق التوازن الاجتماعي في المجتمع وتحقق المصارف التالية للزكاة هذا الهدف القومي .

ـ الانفاق على الفقراء والمســـاكين من الزكاة المأخوذة من أموال الأغنياء يزيد دخول الطبقة الفقيرة فتقل حدة التفاوت الواسع بين طبقات الأغنياء والفقراء عن طريق التقارب النسبي في الدخول .

ـ الانفاق من الزكاة على العاملين عليها يمثـــل دفع أجر لعاملين قاموا بالعمل في تحصيل زكاة الأموال ،فأجرهم نظير خدمة عامة أدوها للدولة المنوط بها جمع الزكاة .

ـ الانفاق العام من الزكاة على المؤلفة قلوبهم يقلل من عدائهم للدولة ويحوله الى مودة فيشيع الأمان والاطمئنان بين ربوعها وعلى حدودها ، والأمن والأمان أحد الحاجات العامة لأي دولة .

ـ الانفاق العام من الزكاة على مصرف (وفى الرقاب) يؤدى الى منح العبيد حريتهم فيصبحون أكثر ولاءا وارتباطا وانتماء للمجتمع مما يساهم فى كفالة تضامن جميع أبناء الشعب ٠

ـ الانفاق العام من الزكاة على الغارمين وهم من يعجزون عن سداد ديونهم المشروعة يؤدى الى رفع أعباء المديونية عنهم وتسكين نفوسهم ويبعث الثقة بين المتعاملين فى المجتمع ، فتبعد عن الاقتصاد القومى نكسات الافلاس ومغبة الكساد وشيوع البطالة مما يميل بالمجتمع نحو التوازن وقد يكون الغارم هو من تحمل مبلغا فى سبيل تسكين خلاف بين مجموعتين من مجموعات المجتمع فتعطيه الدولة ما تحمله من أموال وبذلك يحل الوئام والسلام فى المجتمع محل الخلاف والنزاع ٠

ـ من وجوه الانفاق العام من الزكاة على مصرف (وفى سبيل الله) أن يوجه لتقوية جيوش الدولة بشراء الأسلحة والعتاد والانفاق على المحاربين للذود عن الأوطان ، والدفاع عن البلاد ضرورة أساسية من أى دولة لأنه يؤدى الى تأمين حدودها الخارجية من أى اعتداء عليها ٠

هذا ويرى بعض المفسرين أن سهم (فى سبيل الله) يمكن توجيهه لأى وجه من وجوه الانفاق العام يحقق المنفعة العامة للشعب ويوصل الى مصلحة الامة ٠

ـ الانفاق العام من الزكاة على مصرف (ابن السبيل) وهو ما انقطعت به الأسباب وكان فى سفر بحيث لا يستطيع الانتفاع بماله ـ كطلبة العلم ـ هذا الانفاق يعينهم ويقيهم مذلة السؤال فلا تخدش كرامتهم ٠ وكرامة المواطنين من كرامة الامة ٠

فوجوه انفاق الزكاة التى حددها الله جل وعلا ، اذا قامت بها الدولة مما تحصله من زكاة أموال المواطنين تعتبر نفقة عامة وتتوافر فيها أركان النفقة العامة طبقا لفقه المالية العامة الحديث ٠

تطبيق التعريف الفنى للنفقة العامة على وجوه انفاق خمس الغنائم :

يقول الله جل وعلا :

« واعلموا أنما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم امنتم بالله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير » (**الأنفال / ٤١**) ..

فما مدى اعتبار نفقات الخمس من النفقات التى تتوفر فيها الأركان الثلاثة للنفقة العامة :

فالركن الأول فى النفقة العامة هو اتخاذها الشـــكل النقدى والغنائم تكون أحيانا نقدية فبذلك يتوفر فيها الطابع النقدى وإذا كانت غير نقدية يكون من الممكن معادلتها بالنقد وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعادل أنواع الغنائم .

فقال رافع : كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم بذى الحليفة فأصبنا غنما وابلا فعدل عشرة من الغنم ببعير « أى جعل العشرة معادلة للبعير »(١) .

الركن الثانى : فى النفقة العامة أن تكون صادرة من الدولة والانفاق من الخمس كان صادرا من الدولة الاسلامية ، فاذا كان رئيس الدولة هو الذى يقود المجاهدين فى الفتوح الاسلامية أشرف على التوزيع وحجز لبيت المال خمس الغنائم ووزع أربعة أخماس الغنائم على المقاتلين واذا كان الذى يقود الجيش قائد غير رئيس الدولة جنب خمس الغنائم وأرسله لرئيس الدولة ليؤول لبيت المال فيقوم بتوزيعه على المستحقين ، وقد سبق أن أوضحنا أن خالد بن الوليد كان يقوم بعد النصر بارسال خمس ما يغنم للخليفة الصديق رضى الله عنهما ..

الركن الثالث للنفقة العامة ان تكون ســــدادا لحاجة عامة

---

(١) صحيح البخارى ــ جزء ٥ ــ مرجع سابق ص ١٨٤ .

تتطلبها الدولة وهو ما يتوافر في وجوه الانفاق التي حددتها آية الخمس ·

فمن أهم حاجيات الدولة الاسلامية أن تخصص نفقات لمعيشة نبي الاسلام في حياته خصوصا وأنه كباقي الأنبياء لا يأخذ أجرا ، وقد كان للتحديد بمعرفة الله جلا وعلا الحجة البالغة على المنافقين الذين يظهرون المحبة للاسلام والأمة الاسلامية ويخفون العداوة ، ويضمرون لها البغضاء اذ لو كان التحديد بمعرفة الرسول للمزوه في التحديد والتوزيع ·

والانفاق من الخمس على ذوى القربى من حاجات العامة للأمة ، لأن سهم ذوى القربى مخصص للفقراء منهم ، وقد حرم الرسول عليهم الأخذ من أموال الزكاة لأنها من أوساخ الناس ، فعلى الدولة أن تكفلهم تحقيقا للتكسافل الاجتماعى الذى هو أحد الوظائف الأساسية في الدولة الاسلامية ·

والانفاق على اليتامى في المجتمع الاسلامى من الخمس يمثل حاجة عامة لدخوله في دائرة التكافل الاجتماعى السابق التنويه عنه ·

وقد سبق أن أوضحنا الانفاق على المساكين وابن السبيل من الزكاة وبينا العائد الذى يعود على المجتمع من كفالتهم ، ويتحقق نفس العائد للأمة من كفالتهم من خمس الغنائم ·

ماذا فعل الصديق بسهم الرسول من الخمس بعد وفاته وسهم ذى القربى ؟

في حياة الرسول صلى عليه وسلم ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دفع صداق بعض ذوى قرباه من نصيبهم في الخمس(٢) وأنه قسم سهم ذوى القربى على بنى هاشم وبنى المطلب وحدث محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن أبيه قال :

---

(٢) انظر كتابنا السياسة المالية للرسول ص ١٩٦ وما بعدها ·

سمعت عليا رضى الله عنه يقول :

قلت يارســـول الله : ان رأيت أن توليني حقنا من الخمس فاقسمه في حياتك كيلا ينازعنا أحد بعدك فافعـــل ، ففعل (أى الرسول) فولانيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمته في حياته ثم ولانيه أبو بكر رضي الله عنه فقسمته في حياته ، ثم ولانيه عمر رضى الله عنه فقسمته في حياته ، حتى اذا كان آخر سنة من سنى عمر فأتاه مال كثير فعزل حقنا ثم أرسل الى

فقال (عمر) : خذ فاقسمه

فقلت : يا أمير المؤمنين تباعده العام عنى وبالمســـلمين اليه حاجة ، فرده عليهم تلك السنة ثم لم يدعنا اليه أحد بعد عمر حتى قمت مقامي هذا ، فلقيني العباس بن عبد الله بعد خروجي من عند عمر رضى الله عنه

فقال (أى العباس) : ياعلى لقد حرمتنا الغداة شيئا لا يرد علينا أبدا الى يوم القيامة (٣) ٠

فيبين من قول الامام على رضى الله عنه أن سهم ذوى القربى تولاه على بن أبى طالب رضى الله عنه في عهد أبى بكر وقسمه في حياته على ذوى القربى ٠

على أنه في احدى الروايات أن الناس أجمعوا على أن هذين السهمين أى سهم الرسول صلى الله عليه وسلم أستخدما في الكراع والسلاح (٤) ٠

---

(٣) الخراج لابى يوسف ــ مرجع سابق ــ ص ٢٠ ٠

(٤) المرجع السابق ص ٢١ ٠

ونحن نرجح قول الامام على رضى الله عنه بأن سهم ذوى القربى اعطاه اياه أبو بكر الصديق رضى الله عنه ليوزعه تطبيقاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ·

وكان الصديق حريصا على العمل بالسنة ، وأن سهم الرسول استخدمه الصديق بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فى سبيل الله ومن وجوهه شراء الكراع والسلاح ·

النفقات العامة غير المخصصة
في عهد الصديق

أسباب قلة النفقات العامة غير المخصصة في عهد أبي بكر :

بجانب وجود الانفاق المخصصة من كل من الزكاة وخمس الغنائم تقوم الدولة الاسلامية بباقي النفقات العامة اللازمة لها من سائر الايرادات العامة الاخرى وكانت في عهد أبيبكر الصديق من ايرادات الجزية والخراج ، وكانت النفقات العامة غير المخصصة قليلة نسبيا في عهد الصديق للأسباب التالية :

لم يكن في خلافة أبي بكر دواوين حكومية :

لم تأخذ الدولة الاسلامية بنظام الدواوين الا ابتداء من عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذ أنشأ ديوانين أحدهما للخراج والثانى للعطاء . وفي عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عهد أبي بكر الصديق رضى الله عنه كانت أمور الدولة وأنشطتها تزاول في مسجد الرسول ، ففيه كان الرسول يعلم ويبلغ المسلمين ما أنزل عليه من آيات القرآن الكريم ومما علمه الله ، وفيه كانت تأتى اليه الأموال العامة من الصدقات وخمس الغنائم والجزية وفيه كان يوزع

ما أتى اليه من أموال ،وفيه كان يخطط للغزوات والسرايا ويقيم القضاء بين المتخاصمين وغير ذلك من الأنشطة العامة الاخرى التى تدخل فى اختصاصات الحكومات وتقيم لها الدولة الأبنية من الدواوين والمصـــالح العامة ويقيم بها عمال الدولة ليزاولوا ما يدخل فى اختصاصاتهم من الانشطة العامة . واستمر هذا الوضع فى عهد الخليفة أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

ضآلة أجور العاملين بالدولة فى عهد الصديق :

فى الموازنات العامة الحديثة تمثل الأجور والمرتبات والمهايا والمكافآت والحوافز نسبة كبيرة من النفقات العامة للدول بســـبب استخدام الحكومات عدد كبير من العاملين لمزاولة الأنشطة التى تدخل فى اختصاصات رئيس الدولة والسلطات الثلاث التشـــريعية والتنفيذية والقضائية ، غير أنه فى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه كانت هذه النفقات ضئيلة جدا لاتكاد تذكر ويرجع ذلك الى ما يلى :

ــ ضآلة ما كان يتقاضاه الخليفة من جعل نظير عمله للدولة ، فبعد أن ولى الخلافة خرج كعادته لقوت عياله يتجر واستمر على ذلك ستة أشهر ثم وجد الصحابة أن أمور المسلمين لا يصـــلحها الا التفرغ لاداراتها فطلبوا منه أن يترك التجارة فعرضوا له فى كل سنة ستة آلاف درهم لينفق منها على عياله ويحج ويعتمر(١) .

ولما مرض مرض الموت وكانت ابنته عائشة أم المؤمنين تمرضه قال لها كما سنرى :

« أما والله لقد كنت حريصا على أن أوفر فىء المسلمين(٢) ، على انى قد أصبت من اللحم واللبن ، فانظرى ما كان عندنا فأبلغيه عمر » .

---

(١) الأموال لابى عبيد ــ مرجع سابق ــ هامش ص ٣٣٩ .

(٢) يعنى لا آكل منه شيئا .

وما كان عنده دينار ولا درهم ، ما كان الا خادما ولقحة(٣) ومحلبا .

فلما رجعوا من جنازته أمرت به عائشة الى عمر

فقال : رحم(٤) الله أبا بكر لقد أتعب من بعده(٥)

وسنورد تفاصيل ذلك في الفصل الثالث من الباب السادس

أين ما تقاضاه أبو بكر من بيت المال زاهدا متعففا مما يرصد في الموازنات العامة للدول حديثا من مخصصات لرؤساء الدول من مكافآت ومرتبات وأجور له ولحاشــــيته والعاملين بالرياسـة من مستشارين وخبراء ومدراء ومعاونيهم ، وأين ما تركه أبو بكر رضي الله عنه بعد وفاته وما يتركه الرؤساء حديثا من قصـــــور وضياع وأموال كانت كلها ، أو بعضها بسبب مراكزهم وتصدرهم لأمور الدولة .

ـ ضآلة عدد العاملين بالسلطة التنفيذية :

كان عدد العاملين الذين يقومون بأعمال السلطة التنفيذية في عهد أبي بكر الصديق عددهم قليل جدا يتمثل في الولاة القليلين الذين كانوا يرسلهم للأقاليم وهؤلاء كانوا يتناولون أجرا محددا نظير عملهم اقتداء بما حدده رســــول الله صلى الله عليه وســـــلم حينما استعمل عتاب بن أسد واليا على مكة فرزقه كل يوم درهما وكان هذا الأجر يعتبر يومئذ مجزيا .

ويتمثل كذلك في المصـــــــدقين الذين كانوا يجمعون الزكاة المفروضة وهؤلاء كانوا يحصلون على أجورهم من أموال الزكاة

---

(٣) اللقحة بفتح اللام وكسرها هي الناقة القريبة العهد بالنتاج .

(٤) اى أن ضربه المثل في الزهد والحرص على أموال المسلمين سيتعب من بعده من الخلفاء الذين عليهم أن يقتدوا به فيها .

(٥) الأموال لأبي عبيد ـ مرجع سابق ـ ص ٣٤٠ .

باعتبار أن أجورهم تصرف لهم من احد مصـــارف الزكاة وهو مصرف « العاملين عليها » أما أمراء الجيوش وسائر المقاتلين فقد كانوا لا ينالون أجرا كما هو الشأن فى العصور الحديثة فيدرج لهم حاليا بالموازنات العامة المرتبات والمكافآت والأجور والحوافز طيلة مدة خدمتهم والمعاشات المستحقة لهم بعد بلوغهم ســـن التقاعد والتعويضات اللازمة لهم اذا أصيبوا أو توفوا أثناء المعارك · وانما كان هؤلاء يعطون نصيبهم من الغنائم التى أحلها الله ورســـوله للمقاتلين وطبقا للأسس السابق ايضاحها ·

- التطوع بالعمل العام كان كثيرا فى عهد الصديق :

رأينا انه لما ولى أبو بكر الخلافة آتاه بعض الصحابة يعرضون قيامهم بالاختصاصات العامة التى يقوم بها الوزراء حاليا ، وكان هذا العرض منهم على ســـبيل التطوع ومعاونة للخليفة فى انجاح رســـالته فى ادارة الدولة ، بينما تدرج للوزراء حاليا اعتمادات لأجورهم وتنقلاتهم وأجور مستشاريهم والعاملين بمكاتبهم ·

كذلك فان السلطة التشريعية كان أعضاؤها فى عهد ابى بكر الصديق من صحابة رسول الله صلى الله عليهم وسلم ، وهم يقدمون آراءهم وفتاواهم وتفسيراتهم للدولة والخليفة والمسلمين كحصيلة لما تعلموه فى مدرسة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقدمونها تطوعا ابتغاء ثواب الله وما عند الله خير وأبقى ·

بينما لأعضاء السلطة التشريعية اعتمادات مخصـــصة فى الموازنات العامة الحديثة لمكافآتهم وبدلاتهم ومزايا أخرى يحصلون عليها ·

وفى عهد ابى بكر الصديق رضى الله عنه انحصرت الســـلطة القضائية تقريبا فى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقد قام بالقضاء تطوعا ، بينما فى الموازنات العامة الحديثة تزخر الموازنات العامة بالاعتمادات اللازمة للوظائف العديدة للسلطة القضائية ، فقد اتسعت المعاملات وزادت بين الناس وزادت خلافاتهم فاحتكموا فيها للقضاء

وكثر عدد القضاة ومعاونيهم وكان لزاما أن تدرج الدول الاعتمادات اللازمة لمرفق العدالة ٠

قلة الأغراض العامة التي كانت توجه اليها النفقات العامة في عصر الصديق :

ـ تدرج بالموازنات العسامة للدول اعتمادات أخرى لادارة دواوين الدولة كاعتمادات المياه والانارة والكهرباء والغاز اللازمة لها واعتمادات ايجارها واعتمادات صيانتها واعتمادات الاثاث والتجهيزات والمعدات اللازمة لادارتها وقطع الغيار المتعلقة بهذه التجهيزات والمعدات والوقود والزيوت والقوة المحركة اللازمة لتشغيلها ، ولم يكن لمثل هذه الاعتمادات وجود في خلافة الصديق رضى الله عنه بسبب اتخاذ المسجد النبوى مكانا لادارة أمور الدولة وعدم انشاء دواوين لهذا الغرض ٠

ـ كذلك لم يكن في عهد الصديق مايطلق عليه بالمصروفات الرأسمالية أو الاستثمارية التي تدرج حاليا بالموازنات العامة للدول للقيام بالمشروعات العامة كرصف الطرق واقامة الجسور وانشاء الكباري وغيرها من المشروعات العسامة اللازمة لاقامة البنية الاساسية وللقيام كذلك بالمشروعات العامة اللازمة لتنمية الدخل القومي والتي تكون عادة ضمن خطط التنمية التي تعدها الدول حديثا لتلحق بركب التقدم وتقاوم التخلف ٠

ويرجع ذلك الى ان خلافة ابى بكر الصديق رضى الله عنه كانت في القرون الوسطى ولم تكن الآراء الحديثة بتدخل الدول وماليتها العامة لاقامة بعض المشروعات العامة قد ظهرت بعد ، وان كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعد خلافة أبي بكر الصديق أقام بعض المشروعات العامة كتوسعة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وحفر الخليج من نهر النيل الى البحر الاحمر لتجرى فيه السفن حاملة الطعام والاقوات من مصر الى المدينة ومكة وأنشأ مدينتين جديدتين هما البصرة والكوفة ٠

كما يرجع ذلك أيضا الى قصر مدة خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

نماذج من النفقات العامة غير المخصصة فى خلافة الصديق :
اجور الخليفة والعاملين بالدولة :

سبق أن ناقشنا ما خصص للخليفة وما كان يتقاضاه الولاة وجامعو الصدقات .

نفقـــات الحج :

كان الخليفة يقوم بالحج ومعه بعض المسلمين باعتباره ركنا من أركان الاسلام ويقال أن الذى حج بالناس فى سنة احدى عشرة هجرية عبد الرحمن بن عوف عن تأمير أبى بكر اياه بذلك ، وقيل ان الذى أمره أبو بكر رضى الله عنه فى هذه الســنة عتــاب بن أسيد(٦) ، أما فى السنة الثانية عشر هجرية حج بالناس أبو بكر الصديق واستخلف على المدينة عثمان بن عفان رضى الله عنهما ، وقيل أن أبابكر لم يحج فى خلافته وأنه بعث كأمير للحج عمر بن الخطاب أو عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما(٧) . ولاشك أن نفقات حج ممثل الدولة الاسلامية كانت من النفقات العامة لبيت مال المسلمين .

نفقـــات الفتوح الاســـلامية :

أعداد جيوش الاسلام لمقاومة الردة ونشر راية الاسلام كانت تعتمد فى تمويلها على الجهاد فى سبيل الله بالنفس والمال ، غير أن بيت المال كان يمولها أيضا من المصادر المالية المخصصة لها بل اذا اقتضى الأمر من الايرادات العامة الأخرى غير المخصصة لنفقات محددة .

---

(٦) الطبرى جزء ٣ - مرجع سابق ص ٣٤٢ .

(٧) الطبرى جزء ٣ - مرجع سابق - ص ٣٨٦ .

فقد ثبت أن ابابكر الصديق خصص سهم النبى صلى الله عليه وسلم وذي القربى المنصوص عليها فى آية الخمس فى الخيل والعدة في سبيل الله(٨) ·

– ثبت كذلك أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال « كانت أموال بنى النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة فكان ينفق منها على أهله نفقة سنة ، وما بقى جعله فى الكراع والسلاح عدة فى سبيل الله وقد سار أبو بكر الصديق رضى الله عنه على سنة الرسول فيما يتعلق بتمويلها للكراع والسلاح ·

– أوضحنا أن الخليفة أبا بكر الصديق وجه الباقي من جزية أهل الحيرة لتقوية جيوش المسلمين تحت امرة خالد بن الوليد ·

نفقات التكافل الاجتماعي فى عهد الصديق :

تضمن الدول موازناتها العامة اعتمادات للتكافل الاجتماعى ممثلة فى اعانات ومعاشات شهرية للفقراء والمساكين وانشاء ملاجيء لايوائهم وبيوت لتعليمهم . وفى الاسلام حدد الله سبحانه وتعالى مصارف الزكاة فى آية « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » (التوبة / ٦٠) فالذين لا يملكون نصاب الزكاة وغير القادرين على الكسب والمحتاجون المتعففون والمحتاجون السائلون وكل من تنطبق عليهم مواصفات الفقر والمسكنة لهم فى الزكاة نصيب ·

وقد جاهد أبو بكر رضى الله عنه المرتدين الممتنعين عن أداء الزكاة ليحافظ على حقوق الفقراء والمساكين وليوفيها لهم من متحصلات الزكاة كما سبق أن أوضحنا ·

---

(٨) الأموال لأبى عبيد ص ٤١٦ ·

كما انه لليتامى الفقراء الحق فى مصارف الزكاة باعتبارهم فقراء وكذلك الحق فى مصـــارف خمس الغنائم باعتبارهم يتامى يستحق الانفاق عليهم من الخمس ، واليتامى هم من مات آباؤهم قبل البلوغ ولا يصبح اليتيم يتيما اذا بلغ ٠

عمل عظيم تم دون نفقة من بيت المال في عهد الصديق :

من الأعمال العظام التى تمت فى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه جمع القرآن ، فالله جل وعلا يقول : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » ولاشك ان من عوامل حفظ القرآن الكريم مسارعة أبى بكر الصديق رضى الله عنه الى جمعه ٠ فقد أسفرت موقعة اليمامة عن استشهاد عدد من المسلمين بعد أن أبلوا بلاء حسنا فى الدفاع عن دين الله ٠

فجاء عمر بن الخطاب الى أبى بكر فقال : « ان القتل قد استحر يوم اليمامة بالناس وانى لأخشى أن يستحر القتل بالقراء فى المواطن، فيذهب كثير من القرآن الا أن يجمعوه وانى لأرى أن يجمع القرآن »

قال أبو بكر فقلت لعمر : « كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله عليه الصلاة والسلام »

فقال عمر ٠ « هو والله خير »

يقول أبو بكر « فلم يزل عمر يراجعنى فيه حتى شرح الله صدرى فرأيت الذى رأى عمر » ٠

دعا أبو بكر زيد بن ثابت وقال له : انك شاب عاقل ولا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله عليه الصلاة والسلام فتتبع القرآن واجمعه ٠

عبر زيد عن عظم المهمة الملقاة على كاهله وخطورتها ٠

فقال : « فوالله لو كلفنى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرنى به من جمع القرآن » ٠

وبدأ يتتبع القرآن يجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب وصدور الرجال .

وبدأ بعد جمعه يرتبه فى الآيات والسور حسب القراءة التى كان يقرؤها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصلاة وفى غير الصلاة ، فكان ترتيب الآيات فى السور حسب ما بينه النبى عليه الصلاة والسلام لهم وحسب مابينه جبريل للنبى عليه الصلاة والسلام ، ومن ذلك لما نزل قول الله جل وعلا « واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ماكسبت وهم لا يظلمون »

قال جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم : « يا محمد ضعها فى رأس ثمانين ومائتين من البقرة » .

ووضعت الصحف التى جمع فيها القرآن عند أبى بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر رضى الله عنها .

فاستحق أبو بكر بذلك أعظم الأجر

ويشير الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه لذلك فيقول :

« أعظم الناس أجرا فى المصاحف أبو بكر كان أول من جمع القرآن بين اللوحين »(٩) .

ومثل هذه الأعمال العظيمة التى تقل بكثير عن عظمة جمع القرآن تشكل لها فى العصور الحديثة اللجان وتدرج لها الاعتمادات اللازمة للبحث عنها وتجميعها وترتيبها وطبعها وقد تستغرق عدة سنوات فتظهر لها فى موازنات الدول اعتمادات سنوية للانفاق عليها ومكافآت للعاملين فيها .

---

(٩) الخلفاء الراشدون ـ د. عبد العزيز نصار وآخرون ص ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ نقلا عن تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٧٧ .

ولكن ثواب الله خير وأبقى لمن ساهم فى جمع القرآن الكريم فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

وزيد بن ثابت جامع القرآن أنصارى من المدينة وكان سنه يوم قدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرا احدى عشرة سنة وأسلم الصبى الصغير مع المسلمين من أهله ، وصحبه آباؤه معهم الى غزوة بدر ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم رده لصغر سنه وجسمه ، ورده كذلك فى غزوة أحد ووعده وأقرانه بالغزوة المقبلة لصغر سنهم .. فبدأ زيد غازيا بدءا من غزوة الخندق وقد تابع القرآن حفظا وكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

يقول الشعبى :

« ذهب زيد بن ثابت ليركب فأمسك ابن عباس بالركاب

فقال له زيد : تنح يابن عم رسول الله

فأجابه ابن عباس : لا فهكذا نصنع بعلمائنا

ويقول قبيصة :

« كان زيد رأسا بالمدينة فى القضاء والفتوى والقراءة والفرائض »

ويقول ابن عباس :

« لقد علم المحفوظون من أصحاب محمد أن زيد بن ثابت كان من الراسخين فى العلم »

وكما استنجد أبو بكر الصديق بزيد بن ثابت استنجد به عثمان أيضا .

فقد كان القرآن مكتوبا فى أكثر من مصحف فطلب منه عثمان ابن عفان رضى الله عنه رسم المصحف ، فجمع زيد أصحابه وأعوانه

وجاءوا بالمصـــاحف من بيت حفصة بنت عمر رضى الله عنهما . وكانت محفوظة لديها وأتموا المهمة(١٠) .

سـمات الانفاق العام فى عهد الصـديق :

يثور بعدأن استعرضنا أنواع النفقة العامة فى عهد الصديق سؤال عن السمات العامة للانفاق العام فى ذلك العهد ؟ نبعت هذه السمات العامة من مصدرين أساسيين وهما القرآن والسنة وقد تمسك بهما الصديق رضى الله عنه ، وهذه السمات هى :

ـ ترشيد الانفاق العام : استنادا لقول الله جل وعلا :

« والذين اذا انفقوا لم يسـرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » (الفرقان / ٦٧)

وقوله سبحانه وتعالى :

« وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا » (الاسراء / ٢٦)

ـ الانفاق العام يكون سـرا وجهرا : استنادا لقول الله جل وعلا .

« قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه و لاخلال » (ابراهيم / ٣١) .

ـ عدالة الانفاق العام : اتباعا لقول الله سبحانه وتعالى :

« ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها وأذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، ان الله نعمـا يعظكم به ، ان الله كان سميعا بصيرا » (النساء / ٥٨) .

---

(١٠) رجال حول الرسول ـ مرجع سابق ـ ص ٤١٢ ـ ٤١٨ .

ـ شمول الانفاق العام : بحيث تخص المسلمين وغيرهم من الذميين من أهل الكتاب الذين ادوا الجزية للدولة الاسلامية وذلك استنادا لقول الله جل وعلا :

« لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين » (الممتحنة / ٨) ٠

ماعدا موارد الزكاة فانها تنفق على المسلمين ٠

ـ مرونة الانفاق العام :

بعض النفقات العامة ذات طبيعة مركزية كالانفاق العام على السلاح والعتاد والبعض الآخر له طبيعة محلية كالزكاة تجبى من أغنياء البلدة وتنفق على فقرائها استنادا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لمعاذ حينما ارسله لليمن ليدعو الناس للاسلام ، فمما قاله له :

« فاذا اقروا لك بذلك فقل لهم ان الله فرض عليكم صدقة أموالكم تؤخذ من أغنيائكم فترد فى فقرائكم »

شوائب المت بالانفاق العام للدول الحديثة :

تلك كانت سمات الانفاق العام فى عهد أبى بكر ، لأنه كان يطبق فى المالية العامة للدولة الاسلامية كتاب الله وسنة رسوله ، بينما تجد أن المالية العامة لبعض الدول حديثا لا تتوافر فيها هذه السمات الطيبة ، مما شاب انفاقها العام بمخالفات حادت به عن الترشيد وكتمان السرية ـ اذا كان سريا ـ وعن العدل والشمولية والمرونة وطيب المصدر ٠

فمن الانفاق العام للدول الحديثة وجوه اتسمت بالاسراف والتبذير وضياع الأموال العامة وعدم تحقيق النفقة العامة المنفعة العامة المرجوة منها ، اما نتيجة لأهواء القائمين على الأمور العامة

للأمة ، أو بسبب اهمال العاملين بالدولة وتراخيهم بقصد أو بغير قصد . وتتضمن تقارير أجهزة الرقابة على الأموال العامة بتلك الدول سنويا العديد من مخالفات التبذير والاسراف وعدم الترشيد .

وحديثا لا يلتزم القائمون على الانفاق العام السرى فى بعض الحالات بسريته ، بل يحدث أن تنكشف هذه السرية اهمالا أو خيانة، وساعد على ذلك تفنن أجهزة الاستخبارات حديثا فى كشف هذه السرية .

ويحدث فى بعض الحالات ألا يتسم الانفاق العام كذلك بالعدالة نتيجة سوء التوزيع بين وجوهه العامة ، كأن يؤثر بالتمويل مشروعات عامة يستفيد منها بعض علية القوم لسلطانهم أو لجاههم أو لقربهم من ذوى السلطان والجاه ، أو يوجه الانفاق العام لاستعمار دولة ضعيفة أو اسكات معارضة رشيدة أو كبت أصوات تعلو بالحق وتشكو من الظلم .

وقد لوحظ فى بعض الماليات العامة حديثا فقد بعض الانفاق العام لشموليته ، بسبب ايثار بعض المواطنين بالمنافع العامة التى تعود من الانفاق العام ضمانا لاستمرار الولاء الدينى أو السياسى أو الفكرى .

وبعض وجوه الانفاق العام خصوصا فى الدول النامية تعوزها المرونة نتيجة لتعقيد من بيدهم أمر الأموال العامة وكثرة الاجراءات . وتشدد اللوائح المنظمة لحركة المال العام ، وتركيز التصرفات الخاصة بالانفاق العام فى الوزارات المركزية وعدم التفويض فيها للوحدات العامة للحكم المحلى .

ومن الايرادات العامة التى تمول النفقة العامة ايرادات غير طيبة الكسب كاقتناص دولة كبيرة قوية لخيرات وثمرات دولة ضعيفة بطريق الاستعمار والجبر ، وما تتضمنه الايرادات العامة لبعض الدول من ايرادات تتمثل فى فوائد ربوية أو ضرائب على محرمات كضرائب الخمور والمراهنات والميسر .

الباب السادس

ادارة الصديق للمالية العامة
وتوازنهـا ووصاياه المـالية

الفصـــــل الاول

ادارة الصديق للمــالية العامة حققت التوازن

أهمية ادارة المالية العامة :

لابد أن تحاط الايرادات العامة والنفقات العامة للدولة باطار اداري تقود فيه العملية الادارية أنشطة المالية العامة نحو تحقيق أهدافها ، وقد ظهرت أهمية الادارة للمالية العامة بعد ان تدخلت الحكومات في الأنشطة المالية والاقتصادية والاجتماعية التي يزاولها الأفراد لاحداث التوازن الاقتصادي والاجتماعي والسياسي ، فتنشأ عن ذلك كثير من المشاكل التي تتصدى الادارة المالية لحلها .

وللادارة المالية دورة عبارة عن عدة مراحل تمر بها وهي :

التخطيط المالي .

التنظيم والاشراف المالي .

تعبئة الموارد .

الرقابة المالية .

وتوضح فيمايلي طبيعة هذه المراحل في المالية العامة الاسلامية ومدى تأثرها باجراءات يكون الخليفة الأول أجراها أو سلوكيات سلكها :

تخطيط المالية العامة في عهد الصديق :

التخطيط المالي في المالية العامة الاسلامية بالنسبة لبعض الموارد العامة تولاه الله جل وعلا في القرآن الكريم حينما فرض الزكاة وحدد أوجه صرفها وأحل الغنائم للمسلمين وأمر بأن يؤول خمسها لبيت المال لينفق في وجوه محددة ، وحينما أمر باستئداء الجزية من أهل الكتاب بعد أن تعرض عليهم بدائل ثلاثة الاسلام أو الجزية أو القتال ليختاروا أحد هذه البدائل .

وأما خراج الأرض وان لم يشر اليه مباشرة في القرآن الكريم فهو يمثل عائد الأرض التي هي أحد أنواع الغنائم العامة التي أحلها الله جل وعلا للمسلمين اذا تحقق النصر وآلت أراضي الدولة المفتوحة للدولة الاسلامية .

والانفاق العام كذلك خططه الاسلام تخطيطا عاما فأمر بترشيده فلا اسراف ولا تقتير ، وأجاز العلني منه والسري ، وحض على عدم اكتنازه ، وحرم معاملاته الربوية ، ونهى عن بخس معاملاته ، وقد كان التخطيط في القرآن الكريم للمال مطلقا فشمل بذلك المال العام والخاص .

اعلن أبو بكر الصديق رضي الله عنه في أول خطاب له عن عزمه على طاعة الله ورسوله ، ومن الطاعة الالتزام بما ورد بالقرآن الكريم بشأن تخطيط الموارد العامة والنفقات العامة .

وقد التزم الصديق بذلك التزاما اعتبره بعض الصحابة في أول الامر تشددا لا تجيزه الاحوال العامة التي كانت تمر بها الدولة

الاسلامية عقب وفاة الرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنه صمم وحارب المرتدين عن الزكاة كما أوضحنا ، وكان تخطيطه للمعارك والفتوحات على النحو السابق ايضاحه تخطيطا سليما موفقا أدى لانتصار المسلمين وكان من نتائج النصر تثبيت ايراد عام من موارد الدولة الاسلامية وهو الزكاة والانفاق العام منها على وجوهها المخططة بالقرآن ، وكان من نتائجه كذلك تدفق موارد عامة أخرى وهى خمس الغنائم والجزية على أهل الكتاب ٠

التنظيم والاشراف المالى فى عهد الصديق :

خطط الله جل وعلا كما ذكرنا الموارد العامة وكان هذا التخطيط عاما قد أبلغ به رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظم قواعدها ليتمكن المسلمون حكاما ومحكومين من تنفيذ ما أمر به الله جل وعلا ، فحدد الأموال الخاضعة للزكاة ونصابها وفئاتها وكيفية تحديد أوعيتها التى تسرى عليها وأرسل المصدقين لتحصيلها ووجهها لوجوه انفاقها بعد أن ابان وأوضح هذه الوجوه ٠

وطبق الجزية ونظم طرق تطبيقها فكان يرسل الكتب للملوك والرؤساء يدعوهم للاسلام أو الجزية وكان يكتب شروط الصلح وشروط دفع الجزية وكان يحصلها نقدا أو عينا ، ونظم كذلك خراج أرض خيبر وغنائم الفتوح على النحو السابق ايضاحه ٠

وفى عهد أبى بكر الصديق أعلن كما سبق التنويه انه سيلتزم بطاعة الله وطاعة رسوله فأنفذ سننه وطبق نظمه ، فتولى الاشراف العام على أمور الدولة الاسلامية ومنها الأموال العامة وكان يساعده فى ذلك أبو عبيدة بن الجراح وعين الولاة الذين يدخل فى اختصاصهم جمع خراج الدولة والمصدقين المكلفين بجمع أموال الزكاة ، وقد رأينا كيف كان قواده يتلقون منه التعليمات باعلان الاسلام أو الجزية أو القتال ، وكيف كان هؤلاء بعد النصر يرسلون للخليفة ما جمعوه من الجزية من أهل الكتاب ، طبقا لعقود الصلح التى كانوا يبرمونها مع زعماء البلاد المفتوحة ، وكيف كانوا يعينون ممثلين عن الدولة

الاسلامية ليجمعوا ما استحق عليهم للدولة من خراج طبقا لشروط الصلح .

لم يكن فى عهد الصديق وحدة تنظيمية لبيت المال :

لمااتت الأموال أبا بكر الصديق .

قالوا له : ألا تجعل على بيت المال من يحرسه

قال : لا يخاف عليه

قالوا : ولم

قال : عليه قفل

وفى الحق أن بيت المال كان فى داره فكانت تجمع فيه موارد الدولة ومنها ينفق على وجوه نفقاتها المختلفة .

ولم تقام منشآت لبيت المال الا فى عهد عمر بن الخطاب حيث أنشأ ديوانين أحدهما للعطاء والآخر للخراج كما سبق أن ذكرنا .

وكان هذا هو الشأن فى كل أنشطة الدولة فكان الخليفة يدير أمور الأمة فى مسجد الرسول جالسا على الحصباء كما كان يفعل الرسول صلى الله عليه وسلم .

وصـــايا الصـــديق تضـــمنت مبادىء تنظيمية للولاة والعاملين بالدولة(١) :

عندما عقد الصديق ليزيد بن أبى سفيان على رأس جيش كبير ووجهه الروم أوصاه قائلا :

« يايزيد ، انى قد وليتك لأبلوك وأجربك ، فان أحسنت زدتك وان أسأت عزلتك ، فعليك بتقوى الله فانه يرى من باطنك مثل الذى

---

(١) الصديق أول الخلفاء ـ مرجع سابق ـ الفصل الخامس/٤ .

يرى من ظاهرك ، وان أولى الناس بالله أشدهم توليا له ، واقرب الناس من الله أشدهم تقربا بعمله ، وقد وليتك عمل خالد بن سعيد بن العاص ، فاياك وعيبة الجاهلية (عيبة بضم العين وكسر الياء المشددة وفتح الياء المشددة هى الكبرياء والزهو) فان الله يبغضها ويبغض أهلها ٠

واذا قدمت على جندل فأحسن صحبتهم وابدأهم بالخير وعدهم اياه (أى بالخير) ، واذا وعظتهم فأوجز فان كثير الكلام ينسى بعضه بعضا ، وأصلح نفسك يصلح لك الناس ، وصل الصلوات لأوقاتها باتمام ركوعها وسجودها والتخشع فيها ٠

واذا قدم عليك رسل عدوك فأكرمهم ، واقلل لبثهم (أى اقامتهم) حتى يخرجوا من عسكرك وهم جاهلون به ، ولا تريثهم (من التريث) فيروا خلك ويعلموا علمك ، وامنع من قبلك من محادثتهم ، وكن أنت المتولى لكلامهم ، و لاتجعل سرك لعلانيتك فيختلط أمرك ، واذا استشرت فاصدق الحديث تصدق المشورة ، ولا تخف عن المشير خبرك ، فتؤتى من قبل نفسك واسمر بالليل فى أصحابك تأتك الأخبار ، وتنكشف عنك الأستار ، وأكثر من حرسك ، وبددهم فى عسكرك ، وأكثر مفاجآتهم فى محارسهم بغير علم منهم بك ٠ فمن وجدته غفل عن محروسه فأحسن أدبه وعاقبه فى غير افراط وأعقب (اجعلهم يتعاقبون) بينهم بالليل ، واجعل النوبة الأولى أكثر من الأخيرة فانها أيسرها لقربها من النهار ، ولا تخف من عقوبة المستحق ولا تلجج فيها (من اللجاج) ، ولا تسرع اليها ، ولا تخذلها مدقعا (أى لا تجبن فيها) ولا تغفل عن أهل عسكرك فتفسده ولا تجسس عليهم فتفضحهم ٠

ولا تكشف الناس أسرارهم واكتف بعلانيتهم ٠

ولا تجالس العباثين (من العبث) وجالس أهل الصدق والوفاء ، وأصدق اللقاء ، ولا تجبن فيجبن الناس ٠

واجتنب الغلول (الخيانة) فانه يقرب الفقر ويدفع النصر ٠

وستجدون أقواما حبسوا أنفسهم فى الصوامع فدعهم وما حبسوا أنفسهم له »

وروى يزيد بن أبي سفيان :

« قال لي أبو بكر لما بعثني الى الشام :

يايزيد ! ان لك قرابة عسيت (من عسى) أن تؤثرهم بالامارة من ولي من أمر المسلمين شيئا فأمر عليهم أحدا محاباه ، فعليه لعنة الله ، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا (أي التوبة والعوض) حتى يدخله جهنم ، ومن أعطى أحدا حمى الله فقد انتهك في حمى الله شيئا بغير حقه ، فعليه لعنة الله ، وتبرأت منه ذمة الله عز وجل »

ومن الوصايا السابقة يمكن اســتخلاص المبادىء التنظيمية التالية :

مبادىء تنظيمية مستخلصة من وصايا الصديق :

ـ الكفاءة هي أساس اختيار من يتولون أمور الدولة •

وتستخلص هذه القاعدة من وصية الصديق « بأن من ولي أمر المسلمين شيئا فأمر عليهم أحدا محاباة فعليه لعنة الله » •

ـ لا يجوز للحاكم أن يؤثر ذوي قرباه بالتعيين لتولي أمور الدولة •

ويستخلص ذلك من وصية الصديق « ان لك قرابة عسيت أن تؤثرهم بالامارة »

ـ العمل العام مما يتقرب به الى الله •

ويستنتج ذلك من وصية الصـــديق « وأقرب الناس من الله أشدهم تقربا بعمله » •

ـ يمضي العاملون بالدولة في بدء تعيينهم فترة اختبار فان أحسنوا ثبتوا وان أساءوا عزلوا •

وهذا المبدأ ينبع من قول الصديق ليزيد « يايزيد اني قد وليتك لابلوك وأجربك فان أحسنت زدتك ، وان أسأت عزلتك »

ـ الولاة وعمال الدولة لا يتكبرون على الرعية ولا يزهون عليها ·

وذلك مأخوذ من قول الصديق محذرا « فاياك وعيبه الجاهلية »

ـ الوالى والرئيس قدوة لمرؤسيه ·

وذلك من وصية الصديق ليزيد « وأصلح نفسك يصلح لك الناس » ·

ـ صلاح الأعمال العامة يقتضى وجود العلاقات الانسانية بين الرؤساء والمرؤوسين ·

وتستفاد هذه القاعدة من قول الصديق ليزيد « واذا قدمت على جندك فاحسن صحبتهم » وقوله له « واسمر بالليل فى أصحابك »

ـ وجود نظام الحوافز ضرورى لحسن سير العمل ·

ويتضح ذلك من قول الصديق ليزيد بأن يبدأ جنده بالخير ويعدهم اياه ·

ـ الايجاز والتركيز فى التعليمات التحريرية والشفوية يسهلان تنفيذها ·

وذلك استنتاجا منقول الصديق ليزيد « واذا وعظتهم (أى الجنود)فأوجز فان كثير الكلام ينسى بعضه بعضا » ·

ـ نظام رقابة الأعمال يؤدى الى كفاءة أدائها ··

وهذا مستخلص من قول الصديق حينما أوصى يزيد بأن يكثر مفاجأة جنوده فى محارسهم بغير علم منهم بذلك ·

ـ عقاب المقصرين فى مهام الدولة تقتضيه المصلحة العامة ·

ويؤخذ ذلك من وصية أبى بكر ليزيد « فمن وجدته غفل عن محرسه فاحسن أدبه وعاقبه فى غير افراط » ·

ـ اذا وقع على مقصر عقاب وجب تنفيذه فى وقته ودون خرف وبغير زيادة ·

وذلك ما أمر به أبو بكر يزيد فقال « لا تخف من عقوبة المستحق، ولا تلجج ولا تسرع اليها ولا تخذلها مدقعا » .

ـ نظم ادارة الأعمال تتلاءم مع طبيعة كل عمل .

وذلك يؤخذ من وصية الصديق ليزيد بتنظيم نوبة الحراسة بين جنده وجعل النوبة الاولى أكثر من الأخيرة فانها أيسرها لقربها من النهار .

ـ شر ما يتصف به الأمراء والولاة وعمال الدولة الخيانة .

فقد أوصى الصديق يزيد بأن يتجنب الغلول فقال « واجتنب الغلول فانه يقرب الفقر ويدفع النصر » .

ـ صدق من يستشير ووضوح موضوعه ضروريان لنجاح المشورة .

وهذا ما نصح به الصديق يزيد فقال له « واذا استشرت فاصدق الحديث تصدق المشورة ولا تخف عن المشير خبرك فتؤتى من قبل نفسك » .

ـ لا يتخذ الأمراء والولاة والرؤساء حاشية من دونهم فيألونهم خبالا .

فقد قال الصديق ليزيد « ولا تجالس العباثين وجالس أهل الصدق والوفاء » .

ـ تقوى الله فيها صلاح الأمر كله .

فقد نصح الصديق يزيد فقال له « فعليك بتقوى الله فانه يرى من باطنك مثل الذى يرى من ظاهرك . وان أولى الناس بالله أشدهم توليا له » .

وقال له « وصل الصلوات لأوقاتها باتمام ركوعها وسجودها والتخشع فيها » .

الصديق يضرب المثل باختيار الأكفاء للأعمال :

جعل أبو بكر الصديق خالد بن الوليد في معركة اليرموك أميرا على أبى عبيدة الجراح لأنه أكفأ وأدرى منه بالحرب بالرغم من أن أبا عبيدة كان الأسبق اسلاما وواحدا من بين المبشرين العشـــرة بالجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أبو بكر فى الجنة ، وعمرفى الجنة ، وعثمان فى الجنة وعلى فى الجنة ، وطلحة فى الجنة والزبير فى الجنة ، وعبد الرحمن بن عوف فى الجنة ، وسعد بن أبى وقاص فى الجنة ، وسعيد بن زيد فى الجنة وأبو عبيدة بن الجراح فى الجنة »

وبالرغم من أن أبا عبيدة أمين الأمة وكان يوم السقيفة أحد الذين رشحهم الصديق الخلافة ·

وبذلك استفادت الأمة من كفاءة الأكفاء حتى ولو لم يكونوا من الذروة فى التقوى ·

تعبئة الموارد العامة فى عهد الصديق :

تعبئة الموارد العامة من الأهداف الهامة التى ينبغى أن تعمل على تحقيقها ادارة المالية العامة ، ذلك أن الموارد هى المنبع الذى يمول النفقات العامة على انشـــطة الدولة المختلفة ، وقد عملت السياسة التى انتهجها أبو بكر الصديق رضى الله عنه على تعبئة موارد الدولة الاسلامية ، فلولا تصميمه على محاربة الممتنعين عن الزكاة لتوقفت مواردها أو لاقتصـــر أداؤها على قبائل قليلة من العرب لم تمتنع عن اداء الزكاة كسائر القبائل ولو وهن الصديق رضى الله عنه فى محاربتهم لاشرأبت أعناق اليهود والنصارى وطالبوا المعاملة بالمثل فى أمور الجزية والخراج ، كما ان تمسك أبى بكر الصديق رضى الله عنه بسياسة الجهاد أدت الى زيادة الموارد فمن أسلم أدى الزكاة المفروضة ومن أبى من أهل الكتاب وقبل الجزية

أداها لبيت المال ، ومن قاتل المسلمين هزم وتحقق نصر الله وصارت أموالهم غنائم يؤول لبيت مال المسلمين خمسها ، وهكذا عبأ التصميم على الجهاد الموارد العامة للمالية العامة فى عهد الخليفة الأول رضى الله عنه ·

رقابة المال العـــــام فى عصـــــر الصـــديق :

نبعت رقابة الأموال العامة فى عهد الصديق من القدوة والتقوى القدوة بالصديق الذى ظل مدة من خلافته بدون أجر يتاجر لينفق على معاشه ، ثم حدد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم له مرتبا ليتفرغ لشئون الدولة ، ثم يعيش زاهدا فى الأموال العامة وفى الخلافة نفســـــها ، فيقول وهو فى مرض الموت « وودت أنى يوم سقيفة بنى ساعدة كنت قذفت الأمر فى عنق أحد الرجلين ــ يريد عمر وأبا عبيدة ــ فكان أحدهما أميرا وكنت وزيرا ·· »(٢) ·

وتعفف الرؤساء عن الأموال العامة يشيع فى الأمة قدسية المال العام وصيانته وأداء التزاماته ، كما أن التقوى تولد فى النفوس خشية الله فى الأموال العامة فيحافظ عليها الرؤساء والولاة والعاملون عليها ويؤدى المولون التزاماتهم طواعية خشية الله ، وقد أدت كل من القدوة والتقوى الى وجود الأنواع التالية من الرقابة على الأموال العامة فى عهد الصديق وجودا تلقائيا :

رقـــابة ذاتيـــــة :

ولدتها تقوى الخليفة والصحابة والممولين فخشوا الله وعرفوا أن المال العام مال الله فحافظوا عليه ورشدوا انفاقه وأدوا فرائضه لبيت المال ·

---

(٢) الطبرى ــ جزء ٣ ــ مرجع سابق ص ٤٣٠ ·

رقـــابة ســــــياسية :

حلت محل السلطة التشريعية حاليا فى رقابة حركة الأموال العامة للدولة ، وقد قام بها صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأصول التى تعلموها فى مدرسته والتى قامت على الزهد فى الأموال العامة والاستقامة فى السر والعلن ، وكان هؤلاء الصحابة حول الخليفة الأول يبذلون النصح ويقدمون المشورة فى أمور الدولة ومنها أمور المال العام ٠

رقـــابة الأداء :

كانت آيات القرآن الكريم وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وتمسك الأمة بها بعد وفاة الرسول مباشرة كفيلة بانضباط دورة المال العام واتقان تأدية عملياتها فالاسلام يهتم بجودة الأعمال ويرفع الله جل وعلا الاعمال الصالحة ، استنادا لآية :

« من كان يريد العزة فلله العزة جميعا ، اليه يصـــعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ٠٠٠) (فاطر / من ١٠) ٠

ومن الأحاديث النبوية :

« ان الله يحب من أحدكم اذا عمل عملا أن يتقنه »

« ان الخازن المسلم الامين الذى يعطى ما أمر به كاملا وموفرا طيبة بها نفسه حتى يدفعه الى الذى أمر له به ، أحد المتصدقين » أخرجه الامام أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وابن أبى شيبة فى مصنفه ٠

وعن بريدة الأسلمى رضى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

«من استعملناه على عمل فرزقناه رزقا فما أخذ بعد فهو غلول»

الصديق وضع نواة نظام لمحاسبة الولاة :

وقد أراد أبو بكر أن يضع نظاما للرقابة على أعمال الولاة ومحاسبتهم فلما قدم معاذ بن جبل أمير اليمن على المدينة ٠

قال له الصديق : ارفع حسابك

فغضب معاذ وقال : حساب من الله وحساب منكم ؟ والله لا الى لكم عملا أبدا ، وان كان الصديق وضع أساس هذا النظام فى عهده فقد توسع فيه عمر بن الخطاب ، فكان يحاسب الولاة على أى زيادة فى أموالهم ٠

التوازن المالى أهم أهداف ادارة المالية العامة :

من أهم ما تهدف اليه ادارة المالية العامة لأى دولة هو العمل على توازن ماليتها العامة بحيث لا تسفر الادارة عن ظهور عجز فى ماليتها العامة بسبب زيادة النفقات العامة عن الايرادات العامة ، لأن العجز لابد أن يغطى لتمويل النفقات العامة التى لم تكف الموارد العامة للدولة لتغطيتها ، وحديثا لتغطية عجز المالية العامة تقوم الدول بالاقتراض من دول أخرى أو من مؤسسات دولية تقوم باقراض الحكومات ، وكثيرا ما ينتج عن الاقتراض الحكومى مشاكل عامة ، فالقروض لها أقساط تحل فى سنوات مقبلة فتعتبر عبئا على الأجيال المقبلة ، وتحد من طاقة الدولة فى مستقبل السنين من الانطلاق المالى، اذ يلتهم سداد تلك الأقساط جزءا هاما من مواردها العامة ، وكثيرا ما توجه الأموال المقترضة لاشباع حاجات أو خدمات عامة لها طبيعة استهلاكية غير انتاجية فلا تؤدى أموال القروض الى زيادة الانتاج فتدخل الدول فى حلقات التضخم الاقتصادى وما يتبعه من ارتفاع الأسعار وغلاء حاجيات الشعوب خصـــوصا أصــــحاب الدخول المحدودة والفقراء والمساكين والضعفاء ٠

لم يحدث أن احتاج الصديق وهو رئيس دولة للجوء للاقتراض، فقد توازنت ماليته وحققت فائضا وهو ماسنوضحه فيما يلى :

توازن المالية العامة للدول بين الاقتصاديين القدماء والمحدثين :

كما سبق أن أوضحنا تعد الدول حديثا موازنات عامة سنويا يظهر فى أحد جانبيها تقديرات الايرادات العامة وفى الجانب الآخر تقديرات النفقات العامة ، فاذا ساوى مجموع الايرادات مجموع النفقات كانت الموازنة العامة متوازنة توازنا كميا ، واذا زاد اجمالى الايرادات العامة عن اجمالى النفقات العامة كان بالموازنة العامة فائض ، والعكس اذا زاد اجمالى النفقات العامة عن الايرادات العامة أسفرت موازنة الدولة عن عجز ٠

وكان توازن الموازنة العامة محل آراء بين الاقتصاديين القدماء والمحدثين ٠

فقد رأى الاقتصاديون القدماء ألا تزيد الدولة نفقاتها العامة على ايراداتها العامة لأن ذلك يحقق عجزا فى الموازنة العامة مما يضطر الحكومة لتغطية هذا العجز عن طريق الاقتراض من المواطنين ، وهذا يؤدى الى سحب الأموال من الاستثمار الخاص ، وانفاقها فى وجوه عامة استهلاكية غير انتاجية مما يحرم المجتمع من زيادات فى الدخل القومى كانت ستتحقق لو لم تقترض الدولة هذه الأموال، فضلا عن أن الحكومة بهذا الانفاق تزيد الطلب على السلع المتاحة فترتفع أسعارها مما يؤدى الى حدوث التضخم الاقتصادى ، كما أن أقساط القروض تمثل عبئا على الموازنات العامة المستقبلة ٠

غير أنه فى الثلاثينيات عدل الاقتصاديون عن مبدأ التوازن الكمى ونادوا بالتوسع المحسوب فى الانفاق الحكومى بزيادة النفقات العامة عن الايرادات العامة ولو أدى الأمر للاقتراض والقيام بمشروعات عامة تزيد الانتاج وتوظف العمال ، فتحدث توازنا اقتصاديا ، وهو أهم من التوازن الكمى ٠

فالتوازن الكمى للموازنة العامة للدولة كان هو السائد فى القرون الوسطى ، فماذا كان موقف المالية العامة للدولة الاسلامية فى عهد الصديق رضى الله عنه ؟ هل كانت متوازنة فكان الانفاق العام

فى حدود الموارد العامة ، أم كانت الموارد العامة أكثر من النفقات العامة فحققت فائضا أم العكس زادت النفقات العامة عن الايرادات العامة فحققت عجزا ؟

المالية العامة فى عصر الصديق توازنت وحققت فائضا وزع منه عطاءا على الرعية :

قدم على أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه مال

فقال : من كان له عند النبى صلى الله عليه وسلم عدة فليأت

فجاءه جابر بن عبد الله فقال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو جاء مال البحرين أعطيتك هكذا وهكذا يشير بكفيه

فقال له أبو بكر رضى الله عنه : خذ

فأخذ جابر بكفيه ثم عده فوجده خمسمائة

فقال له أبو بكر رضى الله عنه : خذ اليها ألفا

فأخذ جابر ألفا

ثم أعطى أبو بكر رضى الله عنه كل انسان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعده شيئا .

وبقيت بقية من المال فقسمها بين الناس بالسوية على الصغير والكبير والحر والمملوك والذكر والأنثى ، فخرج على سبعة دراهم وثلث لكل انسان(٢) .

فلما كان العام المقبل جاء مال كثير هو أكثر من ذلك فقسمه بين الناس فأصاب كل انسان عشرين درهما فجاء ناس من المسلمين فقالوا : ياخليفة رسول الله ، انك قسمت هذا المال فسويت بين الناس

---

(٢) الخراج لأبى يوسف ص ٤٢ وفى رأى آخر أنها تسعة وفى كتاب الأموال لأبى عبيد نصف دينار لكل انسان ص ٣٣٥ .

ومن الناس أناس لهم فضل وسوابق وقدم ، فلو فضلت أهل السوابق والقدم والفضل بفضلهم ؟

فقال أبو بكر رضى الله عنه ' أما ما ذكرتم من السوابق والقدم والفضل فما أعرفني بذلك ، وانما ذلك شيء ثوابه على الله جل ثناؤه ، وهذا معاش ، فالأسوة فيه خير من الاثره(٤) .

وكان أبو بكر رضى الله عنه يقول : وددت أني اتخلص مما أنا فيه بالكفاف ويخلص لي جهادي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم(٥) .

أبو بكر يساوى فى العطاء بين الأسياد وتابعيهم :

قال أبو قرة : « قسم لى أبو بكر من الفيء مثل ما قسم لسيدى » .

وبذلك طبق سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن مولى القوم منهم . ذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم كان قد بعث رجلا من بنى مخزوم على الصدقة .

فقال لأبى رافع (وهو أحد موالى النبى) : اصحبنى كيما تصيب منها (أى من الصدقة)

قال أبو رافع : لا حتى آتى النبى صلى الله عليه وسلم فاسأله وانطلق فسأله :

فقال صلى الله عليه وسلم : أن الصدقة لا تحل لنا وان موالى القوم من أنفسهم(٦) .

---

(٤) الخراج لأبى يوسف - مرجع سابق - ص ٤٢ .
(٥) الأموال لأبى عبيد - مرجع سابق - ص ٣٣٥ .
(٦) المرجع السابق ص ٣١١ ويذكر أبو عبيد أباقرة تابع ولكنه كان محررا وليس من العبيد .

الأنصار عارضوا المساواة فى العطاء ثم اقتنعوا :

وكان الأنصار من المعارضين لمبدأ المساواة فى قسمة فائض المال العام لأنهم كانوا يرون أن يفضلهم الخليفة ، فهم الذين آووا المهاجرين ونصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا ملاك المدينة وحكامها وأصحاب أمرها وأموالها قبل الاسلام ، فنزلوا عن الأمر للرســـول ثم من بعده للمهاجرين حينما بايعوا أحدهم وهى خليفة رسول الله ، فجاءوا الخليفة

وقالوا له : فضلنا ياخليفة رسول الله

قال : صدقتم ، ان أردتم أن أفضلكم صار ماعملتوه للدنيا ، وان صبرتم كان لله عز وجل ٠

فقالوا . والله ما عملنا الا لله تعالى

فصعد أبو بكر المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى وسلم على النبى ثم قال :

يا معشر الأنصار ان شـــئتم تقولوا انا آويناكم فى ظلالنا ، وشاطرناكم فى أموالنا ونصرناكم بأنفسنا لقلتم ، وان لكم من الفضل مالا يحصيه العد ، وان طال به الأمد فنحن وأنتم كما قال طفيل

جـــزى الله جعفــر حــــين ازلقت

بنـــا نعلنـــا فى الواطئـــين فزلت

أبوا أن يمـــلونا ولو أن أمنـــا

تلاقى الذى يلقـــون منـــــا لملت

هم أســـكنونا فى ظلال بيـــوتهم

ظـــلال بيـــوت أدفـــأت وأظلت

ونزل أبو بكر

وتذكر هو وبعض كبار الأنصـــار ما كان منهم يوما من أيام الرسول صلى الله عليه وسلم حينما لم يعط الأنصار من غنائم هوزان

فوجدوا عليه فى أنفسهم لما صنع ، فجمع الأنصار ، وكان مما قاله عليه الصلاة والسلام لهم ·

« أما والله لو شئتم لقلتم ولصدقتم ، أتيتنا مكذبا فصدقناك ومخذولا فنصرناك وطريدا فآويناك وعازلا فآسـيناك ، وجدتم فى أنفسكم يا معشـر الأنصـار فى لعاعة من الدنيا تآلفت بها قوما ليسلموا ، ووكلتم الى اسلامكم ، أفلا ترضون يامعشر الأنصار ، أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وترجعوا برسول الله الى رحالكم ، فوالذي نفس محمد بيده ، لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ، ولو سلك الناس شعبا وسلكت الأنصار شعبا ، لسلكت شـعب الأنصار ، اللهم أرحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار

فبكى القوم وقالوا : رضينا برسول الله قسما وحظا (٧) ·

العدول عن مبدأ المساواة فى خلافة عمر :

فلما كان عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه وجاءت أموال الفتوح عدل عن المساواة وفضل ·

وقال : لا أجعل من قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كمن قاتل معه ، ففرض لأهل السوابق والقدم من المهاجرين والأنصار ممن شهد بدرا خمسة آلاف ولمن لم يشهد بدرا أربعة آلاف ، وفرض لمن كان له اسلام كاسلام أهل بدر دون ذلك ، أنزلهم على قدر منازلهم من السوابق (٨) ·

فمن ذلك يبين أن المالية المسـامة فى عهد أبى بكر كله حققت فائضـا مكنته من توزيع معاش على جميع المسلمين بالتساوى بدأ قليلا ثم زاد فى السنة الثانية ، وقد توفى فى السنة الثالثة من خلافته فلما آلت الخلافة لعمر بن الخطاب رضى الله عنه زاد التوزيع وجعله على قدر منازل الناس من السوابق ·

---

(٧) الطبرى جزء ٣ – مرجع سابق – ص ٩٣ ، ٩٤ ·

(٨) الخراج لأبى يوسف ص ٤٢ ·

ويرجع توازن المالية العامة فى عهد أبى بكر الصديق وتحقيق فائض للأسباب التالية :

أسباب التوازن المالى فى عصر الصديق وتحقيق فائض :

- صمم أبو بكر الصديق على استرداد بيت المال لحقوق الفقراء من الزكاة ، فلما امتنع المرتدون عن الأداء حاربهم وانتصر عليهم فتدفقت أموال الزكاة على بيت المال مما غطى حاجة المستحقين لها .

- استمرار الصديق فى سياسة الجهاد لاعلاء كلمة الله ونشر الدين الاسلامى وتحقيق النصر أدى الى غنائم لأموال الأعداء وأتى بيت مال المسلمين خمس هذه الغنائم على النحو السابق تفصيله .

- كان لسياسة الجهاد اثرها فى زيادة مورد آخر من موارد بيت المال وهو الجزية اذا تمسك أهل الكتاب بدينهم ورضوا بالصلح ودفع الجزية وعدم اللجوء للقتال .

- كان ممن يعملون للدولة من لا يتناولون منها أجرا اكتفاء بثواب الله سبحانه وتعالى ، كنشاط مساعدى الخليفة ونشاط أفراد السلطة التشريعية والسلطة القضائية على النحو السابق ايضاحه .

- أديت بعض الخدمات العامة للدولة تطوعا بدون نفقة عامة ، فالخدمات التعليمية مثلا التى تدرج لها الدول حاليا الاعتمادات الكبيرة لأجور الأساتذة بالجامعات والمعلمين بالمدارس ومعاهد التعليم المختلفة كان يؤديها الصحابة ابتغاء ثواب الله فيعلمون الناس ما وعوه وسمعوه من قرآن كريم وأحاديث نبوية شريفة وتفاسير قرآنية وسير الغزوات وفقه المعاملات .

- ساهم فى هذا الفائض ذهب أتى من منجم للذهب ظهر غير بعيد عن المدينة ، كما أتى الخليفة مال من معدن ثمين اكتشف فى أرض جهينة .

- كان المسجد النبوي هو المكان الوحيد للنشاط الحكومي ، فكفى المالية العامة في عهد أبي بكر الصديق عن ادراج الاعتمادات لمقابلة نفقات انشاء الدواوين العامة والمصالح وأبنية المدارس وانشاء المحاكم وغيرها كما يتبع حاليا في الموازنات العامة للدولة ٠

مما سبق يتضح انه كانت في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه عوامل أدت الى زيادة الايرادات العامة وتقليل وترشيد الانفاق العام مما أدى الى توازن المالية العامة في عهده وتحقيق فائض وزعه الخليفة على الناس بالتساوي ٠

على أن التوازن المالي لم يكن هو التوازن الوحيـــد في عهد الصديق رضي الله عنه ، فقد تحققت أنواع أخرى من التوازن وهي :

تحقق التوازن الديني في عهد الصديق بجانب التوازن المالي :

ليس بالتوازن المالي فقط في الدول الاسلامية يتحقق التوازن العام للدولة والأفراد ، بل لابد أن يكون مصحوبا بالتوازن الديني في نفوس وقلوب الأمة قولا وعملا ، وفي عهد أبي بكر الصديق لم يكن تصميمه على أداء الزكاة فقط بهدف حماية الحقوق المالية لمستحقيها ، وانما كان أساسا لأنها ركن من أركان الدين وعمود من عمده ، فاذا هوى هذا الركن ومال هذا العمود ، أدى الى عدم توازن تطبيق المسلمين لقواعد الاسلام وتعاليمه وعدم الاستجابة لآيات الزكاة في القرآن وسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشأنها ٠

ومما زاد في التوازن الديني للأمة والدولة في عهد أبي بكر العمل على استمرار الجهاد بعد رسول الله صلى الله عليه وســـلم والتطوع بالأموال والأنفس والاستشهاد في سبيل العقيدة ، فأطمأنت النفوس وزكت القلوب وسمت الأرواح ، ولو كانوا تركوه لضاع التوازن ولضربهم الله بالذل كما قال الصـــديق في اول خطاب له ولألزمهم الله مذلة في رقابهم لا تنفســك عنهم حتى يتوبوا الى الله ويرجعوا الى ما كانوا عليه من جهاد كما أشار الى ذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم السابق ذكره عند التنويه عن فضل الجهاد :

تحقق التوازن الاجتماعي في عصر الصديق بجانب التوازن المالي والديني :

ساهمت المالية العامة بجانب التوازن الديني في الحفاظ على التكافل الاجتماعي الذي تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته في مجتمع الدولة الاسلامية ، فقد كفل في عهده الأنصار المهاجرين وكفل الأغنياء الفقراء وكفل القادرون العاجزين ، وكاد صرح من صروح هذا التكافل أن يتصدع وهو الزكاة ، ويقف أثرها الفعال في تذويب الفروق بين الطبقات بما يناله الفقراء والمساكين من حقوق لهم في أموال الأغنياء ، وكاد أثرها في تحرير العبيد وحصولهم على حقوقهم السياسية بما ينفق على تحريرهم من الزكاة لعتقهم وأداء مكاتبتهم أن يتلاشى ، ولكن الصديق حارب وثبت الزكاة فاستمرت في أداء رسالتها في تحقيق التكافل والتوازن الاجتماعي ، فلم يشهد المجتمع الاسلامي طيلة خلافة أبي بكر ما شهده في آخر أيام عمر بن الخطاب من فروق واسعة بين الأغنياء والفقراء مما جعل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول في أواخر خلافته(٩) ٠

« لو استقبلت من أمري ما استدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء فقسمتها على الفقراء »

ولم يشهد المجتمع الاسلامي ما شهده في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه من دعوة صحابي جليل وهو أبو ذر الغفاري لأغنياء المسلمين بأن في أموالهم حقوقا فوق الزكاة لفقراء المسلمين ولم يشهد تلك الفتنة الكبرى التي وقعت في عهد الخليفة الثالث فأطاحت باستقرار الدولة الاسلامية وتكافل ابنائها(١٠) ٠

---

(٩) انظر كتابنا « السياسة المالية لعمر بن الخطاب » طبعة الهيئة العامة للكتاب ص ٢٣٢ ٠

مميزات عطاء بيت المال في عصر الصديق :

عطاء بيت المال مصدره الايرادات العامة من الجزية والخراج وليس مصدره الزكاة ولا خمس الغنائم فهى مخصصة لوجوه انفاق محددة وليست لكل المسلمين ، وقد تميز العطاء في عهد الصديق رضى الله ، كما ذكرنا ، أنه قام على المساواة بين الناس ، فلم يكن له الأثر الذى كان لعطاء عمر بن الخطاب والذى قام على أفضلية السابقين في الاسلام على من جاء بعدهم ، فقد أدى الى توسيع درجات الغنى وتوسيع الفروق بين الأغنياء والفقراء مما جعل عمر بن الخطاب يقول قولته السابقة ويقول أيضا بشأن العطاء :

« والله لئن بقيت الى هذا العام المقبل لألحقن آخر الناس بأولهم ولأجعلنهم بيانا واحدا »[11] .

وبذلك أراد أن يرجع لسياسة الصديق التى قامت على المساواة في عطاء بيت المال للمسلمين .

عطاء بيت المال خير من تكوين احتياطى عام :

اذا فاضت الايرادات العامة للدول الحديثة عن نفقاتها العامة وحققت فائضا فانه يرحل للسنوات التالية كاحتياطى عام لمقابلة أى نقص في الموارد العامة أو زيادة طارئة في النفقات العامة ، مما يدعو للتساؤل لماذا لم يبق الصديق الفائض لمقابلة أى عجز مستقبل ؟ يبدو أن الصديق كان يتأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم الذى

---

(١٠) انظر كتابنا « السياسة المالية لعثمان بن عفان » الهيئة العامة للكتاب ص وما بعدها .

(١١) انظر كتابنا « السياسة المالية لعمر بن الخطاب » ـ مرجع سابق ـ ص ٢٣٢ .

كان يكره أن تبيت عنده أموال عامة ، وكان يسرع في توزيعها[12] وكان يعتقد أن أساس رخاء الأمة الاسلامية هو تقوى أبنائها أولا وذلك استنادا لقول الله جل وعلا ٠

« ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون » (الاعراف / ٩٦) ٠

وقد قال قائل بعد خلافة أبي بكر لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب « لو تركتنا في بيت الأموال عدة لكون ان كان »

فغضب وقال « كلمة القاها الشيطان على فيك وقاني الله شرها ، وهي فتنة لمن بعدي ٠ بل أعد لهم ما أمرنا الله ورسوله ، طاعة الله ورسوله فهي عدتنا التي بها أفضيت الى ما ترون ، فان كان هذا المال ثمن دين أحدكم هلكتم»[13] ٠

عطاء الصديق لوجه الله تعالى :

كان عطاء الصديق نقيا لوجه الله سبحانه وتعالى ، فلم يكن لتحقيق أغراض سياسية كما حدث في عهد بني أمية بعد الخلفاء الراشدين حينما كانوا يمنحون العطاء لن والاهم ووالى ملكهم وحكمهم ويمنعونه عن طوائف أخرى من المسلمين كانت تعتقد أن أتباع علي بن أبي طالب رضي الله عنه أحق من بني أمية بالحكم ٠

صحابي يمتنع عن أخذ عطاء بيت المال :

عن سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير أن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال :

سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاني

---

(١٢) انظر كتابنا « السياسة المالية للرسول » ــ مرجع سابق ــ ص ١٩٤ ٠

(١٣) انظر كتابنا « السياسة المالية لعمر بن الخطاب » لنا مرجع سابق ــ ص ٢٠٥ ٠

ثم قال لى : ياحكيم ان هذا المال خضر حلو فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ، ومن أخذه باشراف نفس[14] لم يبارك له فيه ، وكان كالذى يأكل ولا يشبع ، واليد العليا[15] خير من اليد السفلى[16] .

قال حكيم : فقلت يارسول الله والذى بعثك بالحق لا أرزأ[17] أحدا بعدك شيئا حتى أفارق الدنيا .

فكان أبو بكر يدعو حكيما ليعطيه العطاء فيأبى أن يقبل منه شيئا[18] .

وبذلك ضرب حكيم المثل فى التعفف عن حقه المشروع فى الأموال العامة ، أين هذا مما يحدث الآن من محاولات للبعض للاثراء من الأموال العامة بكل الطرق ، فبعض المؤتمنين على الاموال العامة يختلسون منها ، وبعض العاملين فى الأمور العامة يضحون بأموالها ويضيعون حقوقها المالية فى سبيل مال حرام يحصلون عليه أو منفعة غير مشروعة تعود عليهم أو لارضاء صاحب نفوذ أو للتقرب لذى جاه ، فالله من ورائهم محيط .

صحابى آخر يوزع عطاءه ويأكل من عمل يده :

كان سلمان الفارسى يوزع عطاءه ــ وكان فى أيام عمر بن الخطاب وفيرا ــ ويرفض أن يناله منه درهم واحد ويقول :

« أشترى خوصا بدرهم فأعمله ، ثم أبيعه بثلاثة دراهم ، فأعيد درهما فيه ، وأنفق درهما على عيالى ، وأتصدق بالثالث .. ولو أن عمر بن الخطاب نهانى عن ذلك ما انتهيت »[19] .

---

(14) اشراف النفس أى بتطلب النفس وتطلعها اليه وحرصها الشديد
(15) العليا أى المنفقة .
(16) السفلى أى السائلة .
(17) أى لا آخذ من أحد بعدك شيئا من ماله .
(18) صحيح البخارى جزء ٥ ــ مرجع سابق ص ١٢ .
(19) رجال حول الرسول ــ خالد محمد خالد ــ طبعة ثالثة ــ ص ٥٩ .

عجوز ترد عطاء ابى بكر :

أرسل الصديق عطاء بيت المال مع زيد بن ثابت الى امرأة عجوز .

فقالت لزيد : ما هذا ؟

قال زيد : مال قسمه ابو بكر بين النساء

قالت : أترشونني فى دينى

قال زيد : لا

قالت : أتخافون أن أدع ما أنا عليه (أى تترك الاسلام)

قال زيد : لا ..

قالت : والله لا آخذ منه شيئا(٢٠)

---

(٢٠) الصديق اول الخلفاء ــ عبد الرحمن الشرقاوى ــ الفصل الخامس .

الفصـــل الثـــانى

اعداد موازنة عامة للدولة
فى عهد الصديق

المالية العامة فى عهد الصديق كانت كاملة الاركان :

مما سبق يتضح أن المالية العامة الاسلامية فى عهد الصديق كانت متكاملة الأركان :

فهى مالية عامة لدولة لها ســـــلطاتها الثـــلاث التنفيذية والتشريعية والقضائية ·

وهى مالية عامة لها مواردها العامة المتعددة المتميزة ·

وهى مالية عامة لها نفقـــاتها العامة المخصـــــصة وغير المخصصة ·

وهى مالية عامة لها ادارتها المالية التى حققت توازنهـــا وفائضـــها الذى وزع على افراد الأمة وبذلك تكون قابلة للتطـــور لتستوعب أى مستحدث فى الفن المالى العام مادام لا يتعارض مع الدين ·

امكانية اعداد موازنة عامة للدولة فى عهد الصديق :

وفى ضوء تكامل أركان المالية العامة الاسلامية فى عهد الصديق يمكن بلورة عناصرها لاعداد موازنة عامة ، مع أن نظام الموازنات

العامة لم يعرف ويطبق الا فى القرن الثامن عشر ، أى بعد خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه بمئات السنين ، ولو فرض وأعدت فى عهد الصديق هذه الموازنة العامة كان سيراعى طبيعة الموارد المخصصة وهى الزكاة وخمس الغنائم من أنها توجه حصيلتها لوجوه الانفاق المحددة لها بالقرآن ، اذ لا يجوز لأى دولة اسلامية أن تخالف أحكامه بعدم مراعاة هذا التخصص ، أما الموارد غير المخصصة وهى الجزية والخراج فهى مطلقة تنفق منها الدولة على سـائر النفقات العامة لادارة الدولة ولتأدية الخدمات العامة لتحقيق رعاية الشعب ٠

وكان سيراعى كذلك أن ايرادات الزكاة ايرادات محلية تؤخذ من أغنياء الولاية وتنفق على فقرائها طبقا لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ حين بعثه الى اليمن ليدعوهم الى الاسـلام والصلاة فقال « فاذا أقروا لك بذلك فقل لهم ان الله فرض عليكم صدقة أموالكم تؤخذ من أغنيائكم فترد على فقرائكم ٠

وبناء عليه فان الموازنة للدولة لو أعدت فى عهد الصـديق لتكونت من الموازنات العامة التالية :

الموازنة العـامة للزكاة :

وايراداتها العامة من متحصلات الزكاة وأوجه نفقاتها العامة محددة بالقران وهى للفقراء والمسـاكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل ٠

وتكون عبارة عن موازنتين موازنة محـلية للزكاة وموازنة مركزية يؤول اليها ما فاض من أموال الزكاة المحصلة من الأغنياء عن حاجة مصارفها المحلية وتنفقه الحكومة المركزية على الوجوه المحددة بالقرآن للزكاة أيضا ولكن على مستوى الدولة الاسلامية ، وان كان فى عهد الصديق وبسبب الردة أتته القبائل بعد انتصاره

عليها وأدت اليه الزكاة[1] فكان جمعها مركزيا للخليفة نفسه ولربما صرفها على فقراء ومساكين نفس القبائل[2] ·

الموازنة العامة لخمس الغنائم :

وايراداتها العامة من خمس الغنائم الذى يؤول لبيت المال وينفق منها فى الوجوه التى حددها القرآن ، وهى بعد موت الرسول صلى الله عليه وسلم لليتامى والمساكين وابن السبيل والكراع والسلاح ، لأن أبابكر الصديق وجه سهم الرسول وذى القربى للكراع والسلاح

كما سبق أن رأينا ، وهذه الموازنة العامة بطبيعتها موازنة عامة مركزية ·

الموازنة العامة للجزية والخراج :

ومواردها من الجزية والخراج ويمثل جانب النفقات العامة فيها كل ما أنفقه الصديق رضى الله عنه على المصالح العامة على النحو السابق ايضاحه وهى الاجور ونفقات الحج ونفقات الفتوح الاسلامية وأية نفقات تكون استلزمتها استكمال نفقات التكافل الاجتماعى اذا لم تكف موارد الزكاة[3] ·

تبويب الموازنة العامة فى عهد الصديق رضى الله عنه :

لا تظهر النفقات العامة والايرادات العامة فى الموازنات العامة الحديثة مجملة بل تظهر مبوبة طبقا لأسس مختلفة تختار كل دولة

---

(1) انظر الطبرى جزء ٣ — مرجع سابق — ص ٢٤٧

(٢) لذلك صورنا فيما بعد الموازنة العامة للزكاة مركزية ·

(٣) كان من الممكن تصوير أيضا موازنة عامة مستقلة للضوائع وتركات من وارث له وهى لتخصص للفقراء ، ولكن لم يصادفنا ما يثبت تحقيق موارد منها فى عهد الصديق ·

الأساس الذى تراه ملائما لها ، فاذا اخترنا أحد هذه الأسس وهو التقسيم طبقا لطبيعة الايراد وطبيعة النفقة ، يمكن تقسيم الايرادات العامة للدولة الاسلامية ونفقاتها العامة فى عهد الصديق الى الأبواب التالية :

تقسيم الايرادات العامة هى :

باب (١) ايرادات الزكاة

باب (٢) ايرادات خمس الغنائم

باب (٣) ايرادات الجزية

باب (٤) أيرادات الخراج

تقسيم النفقات العامة هو :

باب (١) ويشـــتمل على أنواع الأجور العامة التى تدفعها الدولة للعاملين بها ·

باب (٢) ويشتمل على جميع النفقات الجارية خلاف ما سبق فى البـــاب الأول اللازمة لادارة الدولة والاعـــانات التى تعطى للمستحقين والاعطيات التى منحت للمسلمين فى عهد الصديق رضى الله عنه[٤] ·

وفى ضوء ماسبق تكون الموازنة العامة للدولة فى عهد الصديق رضى الله عنه على النحو التالى :

---

(٤) من المعتاد أن يفرد باب ثالث للنفقات العامة ذات الطبيعة الراسمالية ولكن لم يصادفنا ما يثبت انفاق من هذا القبيل فى عهد الصديق ·

الموازنة العامة للزكاة للدولة الاسلامية
عن السنة الثانية عشرة هجرية(٥)

الايرادات العامة	المبلغ
	درهما
باب (١) ايرادات الزكاة	...
اجمالى	...

النفقـــات العـــامة	المبلغ
	درهما
باب (١) رواتب العاملين على الزكاة	...
باب (٢) نفقات جارية وتشمل اعانات	
الفقراء	...
المساكين	...
المؤلفة قلوبهم	...
فى الرقاب	...
الغارمين	...
فى سبيل الله	...
ابن السبيل	...
اجمـــالى	...

(٥) لم يعرف التقويم الهجري الا فى عهد عمر بن الخطاب ولكن لو عرف الموازنات العامة فى عهد الصديق لتوصل المختصون للتقويم الهجرى .

الموازنة العامة لخمس الغنائم للدولة الاسلامية
عن السنة الثانية عشرة هجرية

الايرادات العامة	المبلغ
	درهما
باب (٢) ايرادات خمس الغنائم	
٥/١ غنائم موقعة ...	...
٥/١ غنائم موقعة	...
٥/١ غنائم موقعة	...
٥/١ غنائم موقعة	...
٥/١ غنائم موقعة	...
اجمالى	...

النفقات العامة	المبلغ
	درهما
باب (٢) نفقات جارية	
اعانات لليتامى	..
اعانات للمساكين	...
اعانات لأبناء السبيل	...
شراء كراع وسلاح	...
اجمالى	...

الموازنة العامه للجزيه والخراج للدولة الاسلاميه
عن السنة الثانية عشرة هجرية

الايرادات العامة	المبلغ
	درهما
باب (٣) ايرادات الجزية	٠٠٠
باب (٤) ايرادات الخراج	٠٠٠
اجمـــــالى	٠٠٠

النفقـــــات العامة	المبلغ
باب (١) ايرادات الزكاة	درهما
باب (١) راتب الخليفة ورواتب العاملين بالدولة	٠٠٠
باب (٢) نفقات جارية (مصـــاريف ادارة الدولة والخـــدمات العامة واقامة الشـــعائر واعانات وعطاء من غير الزكاة وشراء السلاح والعتاد من غير موازنة خمس الغنـــائم	٠٠٠
اجمـــــالى	٠٠٠

تصور دورة الموازنة العامة لو اعدت فى عهد الصديق(٦) :

ولو كان نظام الموازنات العامة معروفا فى عهد الصديق لمرت الموازنة العامة بمراحل دورتها التى تمر بها الموازنات العامة للدول الحديثة وهى :

مرحـــــلة الإعــــداد :

وكان سيعد الموازنة فى عهد الصديق ابو عبيدة الجراح رضى الله عنه باعتبار أنه عرض نفسه على الخليفة ليعاونه فى المسائل المالية ، كما سبق أن أوضحنا ، وكان سينتدب لمعاونته في الاعداد من يراهم صالحين للقيام بالمهمة ٠

مرحـــــلة الاعتمــــاد :

بعد أن تعد السلطة التنفيذية فى الدول حاليا مشروع الموازنة العامة للدولة ترسله للسلطة التشريعية ممثلة فى المجالس النيابية لمناقشـة المشـــروع وابداء الرأى فى محتوياته واجراء ماتراه من تعديلات أو رفضه ،فاذا أجازت السلطة التشريعية مشروع الموازنة العامة ، اعتمده وصار قابلا للتنفيذ بعد الاعتماد ٠

وفى عهد الصديق ، سبق أن أوضحنا أن جماعة الصـــحابة كانت تكون السلطة التشـــريعية ، فلو كان نظام الموازنات العامة معروفا فى عهد الصديق رضى الله عنه ولو أعد مشـــروع الموازنة العامة للدولة لمر على جماعة الصحابة وهم أهل الشورى لمناقشته واجازته بعد تبادل الرأى وبذلك يعتمد ويصبح قابلا للتنفيذ ٠

---

(٦) يرجع لكتابنا الموازنة العامة للدولة ص ١٠٩ وما بعدها ـ طبعة ثالثة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ٠

مرحـــــلة التنفيـــــذ :

بعد أن يعتمد مشروع الموازنة العامة فى الدول حاليا يحال للسلطة التنفيذية لتنفيذ ما فيه بمعرفة السلطة التنفيذية وممثليها ، وفى عهد الصديق لو كان نظام الموازنات العامة معــــروفا وأعدت مشروع موازنة الدولة بعد اعداده لقام بالتنفيذ الخليفة نفســـه ومعاونوه ممن كانوا يقومون بالكتابة له كعثمان بن عفان رضى الله عنه وآخرون ، وكان سيقوم الولاة ممن سبق التنويه عنهم بالمساهمة فى هذا الشأن ·

وهكذا يتضح أن المالية العامة الاسلامية فى عهد الصديق كانت مكتملة لدرجة أنها كانت قادرة على استيعاب وتطبيق أحد النظم المالية الأساسية التى طبقت بعد ذلك العهد بمئات السنين وهو نظام الموازنات العامة ·

مبادىء الموازنة العامة فى عصر الصديق(٧) :

وكانت ستتحقق فى عهد الصديق لو أعد موازنة عامة للدولة نفس المبادىء التى تتسم بها الموازنات العامة حاليا بعد اعدادها وهى :

السـنوية :

فتعد الموازنة العامة حاليا بصفة عامة عن فترة زمنية تبلغ سنة هجرية وقد أمكن اعداد موازنة عامة عن سنة فى عهد الصديق ·

الشــيوع :

فى الموازنات العامة الحالية لا يجوز تخصيص ايراد عام معين لنفقة عامة محددة بل تمول الايرادات العامة النفقات العامة بصفة عامة شائعة ودون تخصيص ، الا ما استثنى بنص ·

---

(٧) المرجع السابق ــ الصفحات ٢٩ وما بعدها ·

وقد تبين فى الموازنة العامة التى تصـــورنا اعدادها فى عهد الصديق أن الايرادات العامة للجزية والخراج شائعة وغير مخصصة لنفقات محددة •

وأنه تطبيقا للنصوص القرآنية خصـــصت ايرادات الزكاة لنفقات محددة وكذلك الشأن فى ايرادات خمس الغنائم •

الشـــمول :

ومعناه أن تشمل الموازنة العامة للدولة جميع ايراداتها العامة ونفقاتها العامة ، فلا يجوز الانفاق خارج الاعتمادات الموضـــحة بالموازنة العامة وهو مبدأ كان من السهل الاخذ به لو أعدت الموازنة العامة فى عهد الصديق الذى تميز بحزمه فى قيادة أمور الأمة •

الوضـــــوح :

الأموال العامة وايراداتها العامة الموضـــحة بالموازنة العامة هى أموال الشعب والحكومات نائبة عنه ، لذلك تعمد الدول حاليا الى ايضاح محتويات الموازنات العامة ســـنويا واعلانها بكافة الطرق ليعرف الشعب مصير أمواله •

وكانت موازنة الدولة الاسلامية فى عهد الصـــديق ستتسم بالوضوح لأن المال العام فى الاسلام مال الله والشعب مستخلف عليه، فكان الصـــديق سيتناولها فى خطبه ، وكان الصـــحابة يعلمون ويوضحون ويشرحون للشعب •

المـــــرونة :

تتضمن الموازنات العامة حاليا تأشيرات تتيح مرونة مســـار العمليات المالية بحيث لا تصادف عقبات تحول دون تنفيذها ما ورد من اعتمادات بالموازنة العامة •

والمالية العامة الاسلامية تتسم بطبيعتها بالمرونة ، فاذا لم تكف موارد الموازنة العامة للزكاة للانفاق على مصارفها المحددة بالقرآن، يمكن تغطية النقص والانفاق على بعض هذه المصارف أو كلها من الموازنة العامة للجزية والخراج فمواردها عامة غير مخصصة لنفقات محددة بالذات ، كذلك الشأن فى موازنة خمس الغنائم ، يمكن الانفاق على النفقات المحددة لها من ايرادات الجزية والخراج اذا لم تكف موارد الخمس لنفقاتها المخصصة ومن المرونة فى المالية العامة الاسلامية أيضا انه يمكن الانفاق العام على فتوح الاسلام من مصادر عدة وهى :

سهم فى سبيل الله من أموال الموازنة العامة للزكاة ·

سهم الرسول وسهم ذوى القربى بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وذلك من ايرادات الموازنة العامة لخمس الغنائم ·

ايرادات الموازنة العامة للجزية والخراج فيمكن توجيه جزء منها لنفقات السلاح والخيل والعتاد ·

التوازن :

وقد أوضحنا فيما سبق التوازن الكمى والتمويل بالعجز فى الموازنات العامة حاليا كما سبق أن أوضحنا أن المالية العامة الاسلامية فى عهد صديق توازنت وحققت فائضا مكنه من توزيع فئات من العطاء على المسلمين ·

مبدأ الاسلامية من المبادىء الأساسية للموازنة العامة فى عهد الصديق :

على أن الموازنة العامة للدولة فى عهد الصديق كانت ستتحلى بمبدأ هام لا يتحقق فى بعض الموازنات العامة حاليا ، وهو مبدأ « الاسلامية » لأن الدولة كانت اسلامية ، القرآن دستورها وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قانونها ، ورئيس الدولة وهو الخليفة

من المساهمين فى نشر الاسلام ، والسلطة التشريعية مكونة من صحابة تعلموا في مدرسة الرسول ، وشعب المسلمين قريب العهد برسول الاســلام ، والاسلامية الحقة تنشيء مبادىء هامة للمالية العامة فيه قوامها وهى :

الترشـــــيد :

تطبيقا لقول الله جل وعلا ق ترشيد الأموال عموما ومنها المال العام :

« ولا تؤتوا الســفهاء أموالكم التى جعــل الله لكم قياما » (النساء / من ٥)

الأمـــــانة :

أشاعة مبدأ الاسلامية ق الأموال العامة يعصمها من الخيانة والاختلاس والسرقة ويحيطها بأمانة الحكام والعاملين والمتعاملين معها وذلك استنادا لقول الله جل وعلا ق أكثر من آية وفيما يلى نماذج منها :

« يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون » (الأنفال / ٢٧)

« ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ، ان الله كان سميعا بصيرا » (النساء / ٥٨)

« والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله ، والله عزيز حكيم » (المائدة / ٣٨)

النمـــــاء :

بالعمل الجاد الدؤوب والانتاج المستمر المتزايد يزيد الدخــل القومى للأمة وتزداد ايراداتها العامة وتنمو ماليتها العامة وذلك

كله يدعو اليه مبدأ الاسلامية ، ولهذا المبدأ ـ بجانب هذه الوسائل العملية للنماء ـ وسائل أخرى معنوية لزيادة ثروات الامم ونمائها ·

فالله جل وعلا يقول :

« ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب » (الطلاق / من ٢ ، ٣)

ويقول سبحانه وتعالى :

« فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا ، يرسل السماء عليكم مدرارا ، ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا» (نوح / ١٠ ، ١١ ، ١٢)

ويقول جل وعلا أيضا :

« وياقوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين » ـ (هود/٥٢)

الطهـــــارة :

سبق أن ذكرنا عند الكلام عن الانفاق أن بعض الماليات العامة غير الاسلامية تجبى أنواعا من الايرادات العامة من مصادر غير طيبة كايرادات من ضرائب على الميسر أو الخمور أو من فوائد ربوية أو من سلب خيرات دول ضعيفة مستعمرة وغير ذلك ·

والاسلام يشترط فى الأموال العامة كما فى الأموال الخاصة أن تكون من كسب طيب فيمنع أى مال من الخمر والميسر ويمحق الربا ويؤثم أكل الأموال بالباطل ·

فيقول جل وعلا ناهيا عن الخمر والميسر :

« انما الخمر والميســر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » (المائدة ـ ٩٠)

ويقول سبحانه وتعالى ناهيا عن الربا :

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » (البقرة / ٢٧٨ ، ٢٧٩) ٠

ويقول جل وعلا ناهيا عن أكل الأموال بالباطل :

« ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون » (البقرة / ١٨٨)

وغير ذلك من المبادىء العامة الخيرة التى يضسفيها مبدأ الاسلامية على الماليات العامة للدول التى تلتزم بقواعد الاسلام فى عمليات أموالها العامة ٠

مرض الصديق ووصاياه عن المـال العام قبل موته

مرض الصديق ووصاياه عن المال العام قبل موته :

توفى أبو بكر الصديق رضى الله عنه وهو ابن ثلاث وستين سنة فى جمادى الآخرة يوم الاثنين لثمان بقين منه(١) وسبق أن أوضحنا أن خلافته سنتان وثلاثة أشهر وعشر ليال ، وقيل ان خلافته سنتان وأربعة أشهر الا أربع ليال(٢) ، وقيل أن سـبب وفاته أن اليهود سمته فأكل طعاما مسموما سم سنة ، فمات بعد سنة ، وقالوا أن سبب وفاته أنه اغتسل فى يوم بارد فحم خمسة عشر يوما لا يخرج الى الصلاة ، وكان يأمر عمر بن الخطاب أن يصلى بالناس(٣) .

وتمثل فى مرضه بالبيتين التاليين من الشعر :

---

(١) الطبرى ــ جزء ٣ مرجع سابق ص ٤٢١ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٢٠ .

(٣) الطبرى ــ جزء ٣ ــ مرجع سابق ص ٤١٩ .

وكل ذى ابـــــل مـــــــوروث

وكل ذى ســــلب مســـــ

وكل ذى غيبـــــة يئـــوب

وغـــــائب الموت لا يئوب

وكان آخر ما قاله « رب توفنى مسلما والحقنى بالصا

ومن وصاياه فى مرض الموت وصايا كان لها علاقة با
وهى :

اختيار أبى بكر الخليفة بعده كان خيرا وبركة على المال ا

لما مرض أبو بكر مرضه الذى توفى به دعا عبد ال
عوف :

فقال : أخبرنى عن عمر

فقال : ياخليفة رسول الله ، هو والله أفضل من رأي
رجل ، ولكن فيه غلظة ·

فقال أبو بكر : ذلك لأنه يرانى رقيقا ، ولو أفضى
لترك كثيرا مما هو عليه ، ويا أبا محمد قد رمقته ، فر
غضبت على الرجل فى الشىء أرانى الرضا عنه ، واذا لنت
الشدة عليه ، لا تذكر يا أبا محمد مما قلت لك شيئا ·

قال : نعم

ثم دعا أبو بكر عثمان بن عفان رضى الله عنهما

قال أبو بكر : يا أبا عبد الله ، أخبرنى عن عمر

---

(٤) المرجع السابق ص ٤٢١ ·

(٥) الصديق أبو بكر ــ محمد حسين هيكل ص ٣٢٩ ·

قال : أنت أخبر به

فقال أبو بكر : على ذاك يا أبا عبد الله !

قال عثمان : اللهم علمي به أن سريرته خير من علانيته ، وأن ليس فينا مثله .

قال أبو بكر رحمه الله : رحمك الله يا أبا عبد الله ، لا تذكر مما ذكرت لك شيئا .

قال : أفعل

فقال له أبو بكر : لو تركته ما عدوتك ، وما أدري لعله تاركه ، والخيرة له ألايلى من أموركم شيئا ولوددت أنى كنت خلوا من أموركم ، وأنى كنت فيمن مضى من سلفكم ، يا أبا عبد الله ، لاتذكرن مما قلت لك من أمر عمر ولا مما دعوتك له شيئا(٦) .

وأشرف أبو بكر على الناس

وقال : أترضون بمن أستخلف عليكم ؟ فاني والله ما ألوت من جهد الرأي ، ولا وليت ذا قرابة ، وانى قد استخلفت عمر بن الخطاب، فاسمعوا له وأطيعوا .

فقالوا : سمعنا وأطعنا

ودعا أبو بكر عثمان

فقال : أكتب

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما عهد أبو بكر بن أبى قحافة الى المسلمين

أما بعد .

ثم أغمى عليه

---

(٦) الطبرى ــ مرجع سابق ــ ص ٤٢٨ ، ٤٢٩ .

مكتب عثمان :

« أما بعد فانى قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب . ولم آلكم خير منه »

ثم أفاق أبو بكر فقال : اقرأ على

فقرأ عثمان عليه

فكبر أبو بكر وقال : أراك خفت ان يختلف الناس أن أقلتت نفسى فى غشيتى

قال عثمان : نعم

قال أبو بكر : جزاك الله خيرا عن الاسلام وأهله

وأقرها أبو بكر رضى الله عنه(٧)

وكان نقش خاتم أبى بكر رحمه الله « نعم القادر الله »(٨)

وكان أبو بكر موفقا فى اختيار عمر فكان استخلافه خيرا وبركة على الاسلام والمسلمين بصفة عامة وعلى بيت المال والمال العام بصفة خاصة .

ففى عهد عمر زادت الايرادات العامة زيادة كبيرة نتيجة زيادة أموال الزكاة بدخول مسلمين جدد فى الاسلام وزادت أموال الغنائم نتيجة الانتصارات المتوالية فى فتوحات الاسلام ، وزادت حصيلة الجزية من أهل الكتاب بعد أن علت هيبة الدولة وزادت قوتها ، ولم يوزع أراضى الفتوح بين الفـــاتحين فآلت للدولة وآل لبيت مال المسلمين خراجها ، وأضاف الى ايرادات بيت المال ايرادا جديدا من عشور التجارة وأدت النفقات العامة دورها فى تمويل الجهاد وأداء الخدمات العامة وحماية الدين وتعمير المســـاجد وأداء الفرائض

---

(٧) الطبرى ــ جزء ٣ ــ مرجع سابق ص ٤٢٩ .

(٨) الطبرى ــ جزء ٣ ــ مرجع سابق ص ٤٢٧ .

واقامة المدن الجديدة وانشاء خليج بين مصر والجزيرة العربية على النحو السابق ذكره ·

وكان لادارته المالية العامة تخطيطا وتنظيما ورقابة دورها فى تحقيق فائض مـــالى كبير مكنه من توزيع عطـــاء مـــرتفع على المسلمين(٩) ·

رد الصديق أجره لبيت المال :

لما حضرت الصديق الوفاة قال :

« ردوا ما عندنا من مال المسلمين ، فانى لا أصيب من هذا المال شيئا وان أرضى التى بمكان كذا وكذا للمسلمين بما أصبت من أموالهم » ·

فدفع ذلك الى عمر رضى الله عنه ولقوحا وعبدا وقطيفة ما تساوى خمسة دراهم ·

فقال عمر : لقد أتعب من بعده

وقال أبو بكر أيضا : أنظروا كم أنفقت منذ وليت من بيت المال فاقضوه عنى ·

فوجدوا مبلغه ثمانية آلاف درهم فى ولايته(١٠)

وبذلك رد أبو بكر أجره الذى أخذه من بيت مال المسلمين تعففا وزهدا ، وقدم لبيت المال أرضا كان يملكها حددها فى وصيته ·

أين هذا من بعض الملوك والرؤساء فى الأزمنة الحديثة ينالون خلال رئاستهم من الأموال والمنافع والمزايا والمخصـــصات مايفوق أجر ولايتهم فيثرون بطرق غير مشـــروعة ، ويتركون لورثتهم من

---

(٩) للتفاصيل يرجع لكتابنا « السياسة المالية لعمر بن الخطاب » مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ·

(١٠) الطبرى — جزء ٣ — مرجع سابق ص ٤٢٣ ·

بعدهم ثروات سلبت بعضها أو كلها من الأموال العامة ، وشعوبهم في فقر مدقع وتخلف مطبق .

بيت المال لا يتحمل نفقات تكفين أبي بكر ولا دفنه :

تتحمل خزائن الدول حاليا نفقات تجهيز وتكفين وتشـــييع جنازات الرؤساء والملوك وسط مظاهر عامة تلقى على الدول أعباء مالية وقد تفادى أبو بكر الصديق رضي الله عنه ذلك كله ، ففي مرضه حدث ابنته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

فقال : في كم كفن النبي صلى الله عليه وسلم ؟

قالت : في ثلاثة أثواب .

قال : اغسلوا ثوبي هذين ــ وكانا ممشقين[١١] ــ وابتاعوا لي ثوبا آخر

قلت : يا أبة ، انا موسرون !

قال : أي بنيه الحي أحق بالجـــديد من الميت ، وانما هما للمهلة[١٢] والصديد[١٣] .

وأوصى أن يدفن الى جنب النبي صلى الله عليه وسلم ، فحمل على السرير الذي حمل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفذوا وصيته فدفنوه الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعل رأسه عند كتفي الرسول ، وألصقوا اللحد بلحد النبي صلى الله عليه وسلم ، وجعل قبره مثل قبر النبي صلى الله عليه وسلم مسطحا ورش عليه الماء[١٤] .

---

(١١) الثوب المشق : المصبوغ بالمغرة .

(١٢) المهلة : القيح والصديد الذي يذوب من الجسد .

(١٣) الطبري جزء ٣ ص ٤٢١ .

(١٤) الطبري ــ جزء٣ ــ مرجع سابق ص ٤٢٣ .

وهكذا كما صاحب الصديق النبى فى الحياة وفى الغار صاحبه ميتا فى القبر .

وقد ارتجت المدينة لوفاة ابى بكر .

وأبنه على بن ابى طالب فقال :

« رحمك الله يا ابا بكر ! كنت والله أول القوم اسلاما، واخلصهم ايمانا ، وأشدهم يقينا واعظمهم غنى ، وأحفظهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأحدبهم على الاسلام ، وأحماهم عن أهله ، وأنسبهم برسول الله خلقا وفضلا وهديا وسمتا ، فجزاك الله عن الاسلام عن رسول الله وعن المسلمين خيرا . صـــدقت رسول الله حين كذبه الناس ، وواسيته حين بخلوا ، وقمت معه حين قعدوا ، وسماك الله فى كتابه صديقا فقال « والذى جاء بالصدق وصدق به » يريد محمدا ويريدك ، كنت والله للاسلام حصنا ، وللكافرين ناكبا ، ولم تضلل حجتك ، ولم تضعف بصيرتك ، ولم تجبن نفسك ، كالجبل لا تحركه العواصف ، ولاتزيله القواصف . كنت كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا فى بدنك ، قويا فى دينك ، متواضعا فى نفسك ، عظيما عند الله ، جليلا فى الارض كبيرا عند المؤمنين ، لم يكن لأحد عندك مطمع ولا هوى ، فالضعيف عندك قوى ، والقوى عندك ضعيف ، حتى تأخذ الحق من القوى وتأخذه للضعيف ، فلا حرمنا الله أجرك ، ولا أضلنا بعدك ! »(١٥) .

وابنته ابنته عائشة أم المؤمنين فقالت :

« نضر الله يا أبت وجهك ، وشكر لك صالح سعيك ، فقد كنت للدنيا مذلا بادبارك عنها ، وللآخرة معزا باقبالك عليها ، ولئن كان أعظم المصائب بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم رزءك ، وأكبر الأحداث بعده فقدك ، ان كتاب الله عز وجل ليعدنا بالصبر عنك حسن العوض . وأنا منتجزة من الله موعده فيك بالصبر عنك ، ومستعينة

---

(١٥) الصديق أبو بكر ــ محمد حسين هيكل ــ طبعة سادسة ص ٣٢٠ .

كثرة الاستغفار لك ، فسلام الله عليك ، توديع غير قالية لحيساتك ولا زارية على القضاء فيك »(١٦) .

وقال عمر بن الخطاب حين دخل على أبي بكر بعد موته :

« ياخليفة رسول الله ! لقد كلفت القوم بعدك تعبا ووليتهم نصبا .. فهيهات من شق غبارك ، فكيف اللحاق بك »(١٧) .

ونحن بعد مئات السنين من موت الصديق نقول :

« رحمك الله ياصديق ثبت الزكاة فحفظت حقوق الفقراء والضعفاء والمحتاجين ، ورفعت لواء الجهاد فآل لبيت المال نصيبه من غنائم النصر فرعيت به اليتامى وأبناء السبيل والمساكين ، وأرجعت أهل الكتاب الى الاعتدال بعد أن مالوا ، فأدوا الجزية عن يد وكانوا صاغرين ، ودعمت أمر خراج الأرض بسنة الرسول خاتم النبيين ، ورشدت الانفاق العام فكنت من المقسطين ، وأحسنت الادارة المالية وعففت عن مال الله الذى أتاه الامة ، فكنت من المحسنين ، ووازنت مالية الدولة ومنحت المسلمين عطاء متساويا فكنت من الموفقين ، فجزاك الله ثوابه الذى وعده الصديقين .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ،

تم بعون الله

قطب ابراهيم محمد

(١٦ ، ١٧) المرجع السابق ص ٢٣٢ .

بعض المـــراجع

- القرآن الكريم

- معجم ألفاظ القرآن الكريم :

المجلد الاول والثانى ـ صادر عن مجمع اللغة العربية ـ الهيئة العامة للتأليف والنشر .

- المنتخب فى تفسير القرآن الكريم :

صادر عن المجلس الأعلى للشئون الاسلامية .

- مختصر تفسير ابن كثير :

محمد على الصابونى ـ دار القرآن الكريم ببيروت .

- صحيح البخارى :

تأليف أبى عبد الله محمد بن اســـماعيل البخارى ـ المجلس الأعلى للشئون الاسلامية

- المنتخب من السنة :

الجلد السادس ـ صادر عن المجلس الأعلى للشئون الاسلامية

- تاريخ الطبرى :

لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ـ طبعة ثانية ـ دار المعارف

- صفوة السيرة المحمدية :

لفضيلة الشيخ أحمد حسن الباقورى ـ طبعة معهد الدراسات الاسلامية بالقاهرة ·

- السيرة النبوية لابن هشام :

أبى محمد عبد الملك بن هشام المعافرى ـ طبعة دار الجيل ببيروت ·

- الخلفاء الراشدون :

د · عبد المقصود نصار وآخرون ـ مطبعة دار الطباعة المحمدية ·

- مع الخلفاء الراشدين فى الاسلام :

عبد الخالق أبو رابية ـ طبعة المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ·

- مدرسة الرسول صلى الله عليه وسلم :

عبد المنعم حماده ـ أصدره المجلس الأعلى للشئون الاسلامية

- الأمـوال :

لأبى عبيد القاسم بن سلام تحقيق محمد خليل هراس ١٣٩٦ هـ ١٩٧٦ م ـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ·

- الخـراج :

للقاضى أبى يوسف يعقوب بن ابراهيم صاحب الامام أبى حنيفة ـ المطبعة السلفية ·

ـ المالية العامة للدولة الاسلامية :

قطب ابراهيم محمد ـ اصدار معهد الدراسات الاسلامية ٠

ـ الموازنة العامة للدولة :

قطب ابراهيم محمد ـ طبعة ثالثة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ٠

ـ السياسة المالية للرسول :

قطب ابراهيم محمد ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ٠

ـ السياسة المالية لعمر بن الخطاب :

قطب ابراهيم محمد ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ٠

ـ السياسة المالية لعثمان بن عفان :

قطب ابراهيم محمد ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ٠

ـ عبقرية الصـــديق :

عباس محمود العقاد ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٦١

ـ الصديق أبو بكر :

محمد حسين هيكل ـ دار المعارف بمصر ـ الطبعة السابعة

ـ رجال حول الرسول :

خالد محمد خالد ـ دار الريان للتراث

ـ مذكرات في نظام الحكم والادارة في الدولة الاسلامية :

المستشار عمر الشريف ـ طبعة معهد الدراسات الاسلامية ٠

ـ الجهـــــاد :

للدكتور أحمد محمد الحوفى ـ المجلس الأعلى للشــــئون الاسلامية ·

ـ الصديق أول الخلفاء :

عبد الرحمن الشرقاوى ·

ـ خالد بن الوليد :

تأليف اللواء أغا ابراهيم أكرم

ترجمة الأستاذ اسماعيل كشميرى ـ اصدار المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ·

ـ عبقرية خالد :

عباس محمود العقاد ـ طبعة ١٩٧٠ ـ وزارة التربية والتعليم

الفهـرس

الصد

الصفحة

رقم الايداع ١٩٨٩/٨٢٠٨

الترقيم الدولى ٤ ــ ٢٢٧٣ ــ ٠١ ــ ٩٧٧

الهيئة المصرية العامة للكتاب

● هذا الكتاب

ـــ تولى الصديق رضى الله عنه دولة الإسلام الناشئة وقد ادعى البعض النبوة ، وارتد البعض عن أداء الزكاة ، وتربص اهل الكتاب يأملون التوقف عن دفع الجزية وسداد الخراج .

ـــ مال بعض الصحابة للتهدئة ولكن الصديق صمم وواجه بالجهاد المدعيين والمرتدين والمتربصين حتى تحقق النصر المبين وهلك مدعو النبوة وعادت الزكاة والجزية والخراج وسائر الإيرادات العامة تتدفق طائعة لبيت مال المسلمين . وبذلك استقرت مالية الدولة الإسلامية ، فأدارها الصديق بسياسة عامة رشيدة التزمت أحكام القرآن المجيد وسنن الرسول الأمين فتوازنت وتوازن معها مجتمع المسلمين وعقيدتهم ، وأصبحت المالية العامة الإسلامية نموذجاً صالحاً للتطبيق فى كل زمان ومكان .

٣٩٠ قرشاً

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب